يهودية الدولة

إعداد: د. علي حسون

2020

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	3
الفصل الأول: التطور التاريخي لفكرة يهودية الدولة	5
المبحث الأول: الذرائع الدينية والتاريخية لقيام الدولة الصهيونية	5
المبحث الثاني: مفهوم النقاء العرقي وجذوره التاريخية عند اليهود	7
المبحث الثالث: الشخصية الإسرائيلية العنصرية في الفكر الصهيوني	10
المبحث الرابع: الجهود المبذولة لتكوين الدولة الصهيونية	13
المبحث الخامس: هرتزل والتأييد الدولي للحركة الصهيونية	17
المبحث السادس: الهجرة الصهيونيه الى فلسطين	22
الفصل الثاني: المضامين الدينية والسياسية للصراع العربي – الصهيوني	28
المبحث الأول: المضامين الدينية للصراع العربي – الصهيوني	28
المطلب الأول: الخلفية الدينية للعداء المسيحي– اليهودي	28
المطلب الثاني: الخلفية الدينية للعداء الإسلامي– اليهودي	33
المطلب الثالث: الأساطير الدينية المؤسسة للمشروع الصهيوني	35
المبحث الثاني: المضامين السياسية للصراع العربي – الصهيوني	47
المطلب الأول: التقاء المصالح الاستعمارية الغربية بأهداف المشروع الصهيوني	49
المطلب الثاني: المشروع الصهيوني السياسي وأبرز منظريه	55
المطلب الثالث: أساليب الصهيونية ووسائلها في تنفيذ مخططاتها	60
المطلب الرابع: بروتوكولات حكماء صهيون (التطبيق العملي لمخططات اليهود)	66
الفصل الثالث: "قانون قومية الدولة اليهودية المزعوم"	69
المبحث الأول: قراءة قانونية في مواد قانون القومية اليهودية..	72
المبحث الثاني: قانون القومية في ميزان القانون الدولي	82
المبحث الثالث: الإجراءات القانونية الواجب اتخاذها حيال قانون قومية الدولة	85
الفصل الرابع: يهودية الدولة في مناهج التربية في إسرائيل	87
المبحث الأول: التربية والتعليم لدى الفلسطينيين في إسرائيل	87

المبحث الثاني: التربية المدنيّة في إسرائيل	95
المبحث الثالث: كتاب المدنيات الجديد يؤكِد يهودية الدولة	100
المبحث الرابع: موقف التيارات الصهيونية من كتاب المدنيات الجديد	103
الفصل الخامس: الضفة الغربية في الفكر العقائدي الصهيوني	108
المبحث الأول: التركيبة الاستيطانية في الضفة الغربية	109
المبحث الثاني: المشاريع المُخطط لها في الضفة الغربية	110
المبحث الثالث: مشروع الليكود، ادارة الصراع، والضبابية المطلقة	111
المبحث الرابع: مشروع اليسار الإسرائيلي، من الحل السلمي الى الانسحاب أحادي الجانب	112
المبحث الخامس: خطة افيجدور ليبرمان، تبادل المناطق والاحتفاظ بالتجمعات الكبرى في الضفة الغربية	113
المراجع	115

مقدمة

أطلق نتنياهو الروح مجدداً بوعد في حملته الانتخابية حول ضم كل المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة وغور الأردن إذا فاز حزب الليكود في الانتخابات البرلمانية المقررة في 17 من أيلول من العام 2019.

قال نتنياهو "بعون الله سنمد السيادة اليهودية إلى كل المستوطنات كجزء من أرض إسرائيل التوراتية وكجزء من دولة إسرائيل، كان استخدام نتنياهو لتعبير "السيادة اليهودية" بدلاً من السيادة الإسرائيلية وإشارته إلى أرض إسرائيل أمراً مقصوداً ومتعمداً وهو يحاول أن يطبع الفكرة بأن اليهود الذين يعيشون في أي مكان في العالم يحظون بجنسية عليا تفوق بكثير الانتماء المحلي الفلسطيني على جانبي الخط الأخضر للعام 1967 والذي يرسم الحدود المعترف بها دولياً بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة[1].

أكد نتنياهو بخطابه أمام الكنيست بعد انتخابه رئيساً لحكومة "إسرائيل" في أيار عام 2020 على أنه "حان الوقت لتطبيق القانون الإسرائيلي وكتابة فصل آخر في تاريخ الصهيونية، وأشار إلى أن المستوطنات في المكان الذي ولد ونما فيه الشعب اليهودي". وأضاف أن مئات الألوف من إخواننا اليهود في يهودا والسامرة سيبقون دائماً في مكانهم كجزء من أي اتفاق سلام نهائي. ويهودا والسامرة هو الاسم العربي للضفة الغربية كما ورد في التوراة([2]).

ويقضي بادئ ذي بدء تعريف اليهودي وأكبر دليل أدى إلى توصيف اليهودي ما يقوله شلومو ساند أستاذ التاريخ بجامعة تل أبيب في كتابه "عندما توقفت عن كوني يهودياً" في العام 2018 إذ ينكر عن نفسه صفة اليهودي وفقاً للتعريف المعتمد لليهودمن قبل "الدولة الإسرائيلية" وكما فعل في كتابيه السابقين.

"اختراع الشعب اليهودي" و"اختراع أرض إسرائيل" يشير ساند إلى أن دولته "دولة إسرائيل" لا تعرفه كيهودي لأنه يتحدث بلغة يهودية أو يقرأ الكتب اليهودية، إنما فقط لأنها بحثت في أصوله ووجدت أمه وجدته لأمه كانتا يهوديتان، ومثلما أجبرت القومية العرقية الدينية التي ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر الشاعر الألماني هاينريش هاينه على التحول إلى المسيحية كي يعترف به كمواطن ألماني، كذلك رفضت القومية البولندية في ثلاثينيات القرن الماضي النظر إلى "والد ساند" كمواطن بولندي إلا بعد أن أصبح كاثولوكياً، وهكذا قرر الصهاينة أوائل القرن 21، داخل إسرائيل وخارجها، أن يرفضوا تماماً مبدأ الجنسية الإسرائيلية على الأساس المدني والمواطنة، وفقط اعترفوا بها على الأساس الديني ولا يمكن اكتساب هذه الجنسية الهيودية إلا من خلال مسار العمل الديني الذي يقترب من المستحيل ويعرب ساند عن أسفه لأنه أمضى وقتاً طويلاً حبيساً لفكرة موالاة إسرائيل التي يراها الآن بسبب قوانينها التي أشبه ما تكون بناد حصري أو قبيلة إثنية وهمية للمضطهدين وأنصارهم.

ورد مصطلح "دولة يهودية" أول ما ورد في قرار تقسيم فلسطين رقم 181 الصادر 29-11-1947 لكنه ورد بهذه الصيغة لا ليقرر صفة دينية لهذه الدولة بل لتميزها عن الدولة العربية الفلسطينية.

---

[1] – زها الحسن" الله معنا" ديوان "أيلول 2019

[2] – صحيفة النهار 17 آيار 2020

أما إعلان بلفور 2-11-1947 فقد ورد فيه عبارة الوطن القومي للشعب اليهودي وعندما سأل حاييم وايز لويد جورج بعد صدور إعلان بلفور عن معنى عبارة "الوطن القومي للشعب اليهودي" رد لويد جورج قائلاً "قصدنا بذلك دولة لليهود أما استخدام مصطلح homeland بدلاً من state فكان مجرد تكتيك لعدم إثارة العرب[1].

يتم التفريق عادة بين مصطلح "دولة يهود" ومصطلح "الدولة اليهودية" وتفريق المصطلحين معاً عن "دولة إسرائيل" هو تفريق صحيح من الناحية التاريخية، ومن ناحية دلالة المصطلح أيضاً، لكن هذه المصطلحات الثلاثة ما عادت الآن كثيرة الاختلاف في معانيها، بل تحولت إلى مرادفات متعددة لأمر واحد تقريباً وهو المعروف بمصطلح "دولة اليهود" كما صاغه ثيودور هرتزل في كتابه Der Jusolenstaat، ويشير إلى دولة ذات غالبية يهودية لا إلى دولة يهودية خالصة.

وبهذا المعنى فإن فكرة الدولة هي دولة مدنية علمانية أو شبه علمانية، أي أن قوانينها وضعية من قبل انكلترا بحسب تعريف هرتزل بنفسه، أما الدولة اليهودية فهي ذات أغلبية يهودية، ولكنها ذات قوانين يهودية أي أنها دولة تحكمها الشريعة اليهودية حتى أن جابوتنسكي أستاذ مناحيم بيغن وأسحاق شامير، أكد أمام لجنة بيل في سنة 1936 أنه يتطلع إلى قيام دولة لليهود تقطنها أغلبية يهودية. ولم يقل يهودية[2].

بغض النظر عن الجدل القائم حول المصطلحات من دولة يهودية إلى دولة اليهود وغيرها من المفردات تأتي هذه الدراسة "يهودية الدولة" لإيضاح كثير من المفاهيم التي يكتنفها الغموض نظراً لاستناد اليهود عما سيأتي في هذه الدراسة في قوانينهم على تنبؤات التلمودية سعياً منهم لتكريسها كقوانين وضعية وهي تخالف بشكل واضح كل مبادئ القانون الدولي كونها دولة تقوم على أساس "ديني تلمودي" مما يجعلها الدولة الوحيدة في العالم التي تنتمي للعصور البالية للدول التي أسست على نظريات عنصرية لذلك كان لزاماً علينا في دراستنا التي قسمناها إلى ستة فصول تناولنا فيها التطور التاريخي لقيام الدولة الصهيونية في الفصل الأول، أما في الفصل الثاني فتطرقنا إلى المضامين الدينية والساسية للصراع العربي –الصهيوني. في الفصل الثالث بيّنا فيه الجانب القانوني لقانون قيام الدولة اليهودية المزعوم وتناقضه الصارخ مع أحكام القانون الدولي. أما في الفصل الرابع سردنا بشكل مسهب لمناهج التربية المدنية لـ"إسرائيل" كونها تشكل الأساس التي تعتمده لبناء الجيل الصهيوني الذي بدوره يشكل ما بناه الأجداد وفق مناهجهم من نزعة التسلط والعنصرية في فلسطين المحتلة والدول العربية. في الفصل الخامس ولأن قضية يهودا والسامرا كما ورد في التوراة تحتل حيز كبير في الفكر الصهيوني، استعرضنا المشاريع الإسرائيلية. أما في الفصل السادس والأخير كان لابد من تحديد الجانب القانوني الذي تعتمده إسرائيل لشرعنة الاستيطان استكمالاً لمشروعها التهويدي والذي أتينا على ذكره سابقاً في دراستنا التهويد الصامت.

توخينا في هذه الدارسة أن تكون شاملة من النواحي التاريخية والسياسية والقانونية وأن تكون بمثابة تعريف يهودية الدولة ومشاريعها الاستعمارية في تصفية القضية الفلسطينية التي نسعى بإذن الله جعلها قضيتنا المركزية الأولى وصولاً إلى تحرير فلسطين.

---

[1] – مايكل برايز، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، دمشق، دار قدمس 2003.

[2] – صقر أبو فخر من دولة اليهود إلى يهودية الدولة إشكالات الهوية المضطربة في إسرائيل، صحيفة السفير 1 تشرين الأول.

الفصل الأول: التطور التاريخي لفكرة يهودية الدولة

المبحث الأول: الذرائع الدينية والتاريخية لقيام الدولة الصهيونية:

تعود تسمية بني إسرائيل إلى إسرائيل (يعقوب) بن اسحق بن ابراهيم، ولا تزال هذه التسمية تطلق على نسل يعقوب، وأقام اليهود دولتهم قبل الميلاد وأطلقوا عليها دولة (إسرائيل) ثم أعادوا ذلك عام 1948 وأقاموا كياناً أطلق عليه (إسرائيل) نسبة إلى يعقوب ابن اسحق بن إبراهيم الذي سماه التوراة بإسرائيل، أما تسمية اليهود فتعود إلى (يهوذا) وهو الولد الرابع ليعقوب، فلما تولى أمر إخوته بأمر والده منصباً نفسه عليهم.

أطلقت لفظة يهوذا، أي تسمية اليهوذ أطلقت على أولئك الذين رضوا بأن يكونوا تحت لواء يهوذا، وعندما نطق العرب كلمة يهوذا بدّلوا الذال بالدال فصارت اليهود[1].

اليهود هم قبائل آرامية بدوية تهيم في البراري ترعى الحمير والأغنام، وحين استوطنوا مصر لم يتمكنوا من الاندماج في المجتمع المصري لتشبثهم برعي الماشية، وهذه مهنة غير مستحبة لدى المصريين في التاريخ القديم، فعاشوا في الجزء الشمالي الشرقي من مصر بعيداً عن العاصمة ممفيس، يزاولوا الأعمال اليدوية الشاقة إضافة الى رعي الماشية وبيع الألبان، وكان فرعون مصر في عهد الهكسوس قد رحب بهم لكن بعد زوال حكم الهكسوس شددوا الفراعنة عليهم الخناق وضاقوا ذرعاً بهؤلاء الناس، حتى خرجوا تحت قيادة موسى عليه السلام، وبقوا في صحراء سيناء أربعين سنة ثم عادوا إلى مصر وهذه الجماعات التي سمّت نفسها بني إسرائيل في مصر تنتمي إلى القبائل الأرامية نسبة إلى آرام بن نوح، وحملت اسم (عبري أو عبراني) لتنقلها وراء الكلأ، وكلمه (عبيرو) تطلق على القبائل المتنقلة في شمال الجزيرة العربية، ومنها جاءت كلمة العبري أو العبراني[2].

ويظهر من التأمل في حياة هؤلاء القوم أن احتقار الشعوب لهم قد أزال من قلوبهم الرحمة، فهم في حروبهم ينطلقون كالذئاب المريضة يفتكون بالرجال والنساء والأطفال والعجزة باسم إلههم (يهوه) هذا الإله الذي اختاروه إلهاً خاصاً بهم، واختارهم كما يقولون شعباً مقدساً بين جميع الشعوب. ونهل من التوراة التي خطتها أيدي هؤلاء اليهود بعد الأسر البابلي وملأوها بالحقد والكراهية والطمع بامتلاك الأرض العربية من النيل إلى الفرات كثير من الذين اعتنقوا اليهودية من مغول وهنود وألمان وبولنديين ونمساويين وأمريكيين وإفريقيين وشدّوا الرحال إلى فلسطين[3].

إنهم يعتقدون أن صورة الإنسان تتجسم بهم فقط وأن الله خلقهم وحدهم على صورة الإنسان وسلطهم على جميع مخلوقاته... فقد جاء في سفر التكوين: (وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الأرض وكل الدايات الدابة على الأرض). ومن عنصرية بني إسرائيل أن الأرض لهم وحدهم، فقد جاء في مخاطبة إسحاق ليعقوب: (ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك من بعدك لترث أرض غربتك

---

[1] – سهير الفتلاوي، الصهيونية حركة استعمارية استيطانية توسعية، دراسة سياسية وقانونية، بغداد، مطبعة عصام، 1990، ص 15-16

[2] – أحمد السقاف، العنصرية الصهيونية في التوراة، الكويت، ط1 1984، ص7-8

[3] – أحمد السقاف، المصدر نفسه، ص8-9

التي وهبها الله لإبراهيم). إن قراءة التوراة من قبل غير بني إسرائيل تعدّ جريمة، لأنه يتضمن أموراً لا يصدقها الإنسان الواعي، فالتوراة ملك مخصوص باليهود وحدهم، والوثني الذي يدرس التوراة يستحق عقوبة الموت، على أساس أن التوراة ميراثهم، والغرض الأساس من ذلك، هو بقاء التمييز بين اليهود وغير اليهود، وإقامة الأسيجة حول المجتمع الديني المغلق والمنغلق على نفسه[1].

أدت سلسلة الأحداث والتطورات التي جرت في بعض دول أوروبا إلى الحد من الربا اليهود وإلى حرمان اليهود من حقهم في وراثة الأرض وحرمانهم من الوصول إلى وظائف الدولة، صاحب نشوء الرأسمالية الصناعية في أوروبا الغربية إلى انهيار وظيفة اليهود الاقتصادية والاجتماعية، مما اضطرهم إلى مغادرة بعض الدول أو طردهم من دول أوروبا الغربية فنزحوا إلى دول أوروبا الشرقية، واستمروا يزاولون دور التاجر والمرابي والخمار ووكيل الإقطاعي في استغلال الفلاح، حتى القرن التاسع عشر ظهرت الرأسمالية الصناعية في روسيا وبولندا، فاهتز وضع اليهود اهتزازاً تاماً، وبعد هجرة اليهود من دول أوروبا الغربية إلى دول أوروبا الشرقية واجهتهم نفس المشكلة في دول أوروبا الشرقية، مما أعاد اشتعال المشكلة اليهودية في سائر دول أوروبا، واشتداد اضطهاد اليهود أثر المجازر الروسية عام 1982، إضافة لرغبة الممولين اليهود الغربيين في توجيه هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا، فنشأت الحركة الصهيونية وحددت هدفها في إيجاد دولة يهودية خارج اوروبا[2].

إذ تستمد الصهيونية مادتها التربوية والثقافية والإيديولوجية من الأساطير اليهودية الدينية وفي مقدمتها: شعب الله المختار، أمة الكهنة والمقدسين، أرض الميعاد. ساعدت هذه الأساطير وغيرها اليهود عبر تاريخهم على الانسلاخ عن واقعهم التاريخي، وعلى إضفاء طابع صوفي مجرد على أنفسهم، وهم داخل إطار الميثولوجيا التلمودية[3].

الاستعمار الاستيطاني لا يستند في تصورهم إلى مخطط استعماري، ولا يصدر عن مصالح اقتصادية محددة، وإنما هو مجرد عودة الشعب إلى أرض الميعاد، والمهاجرين اليهود ليسوا بمستعمرين استيطانيين، وإنما هم (مجاهدين في العودة إلى أرض إسرائيل)، والعنصرية الصهيونية ليست عنصرية على الإطلاق، وإنما هي تعبير عن إرادة الشعب (الشعب المختار) ذي الرسالة الحضارية المجيدة. والفلسطينيون يصبحون مجرد كنعانيين، سكان مؤقتين في الأرض المقدسة ولا بد من إبادتهم لتحقيق (الوعي الإلهي). والظاهرة الصهيونية ما كانت لتصبح حركة جدية وخطيرة لولا رغبة الدول الصناعية في السيطرة على مقدرات الشعوب المتخلفة لأنها مصادر للخامات الصناعية وأسواقاً لاستهلاك المنتوجات الصناعية ومراكز جغرافية ضرورية لتأمين مواصلات الدول الصناعية من تجارية وعسكرية[4]. أي أضفوا صفة شرعية لاحتلال فلسطين وحل مشكلة اليهود وعدم مراعاة حقوق الشعب الفلسطيني.

---

[1] – أحمد السقاف، المصدر نفسه، ص12-13

[2] – أحمد السقاف، المصدر نفسه، ص48-49

[3] – حبيب غانم، الفدس تاريخياً وقضية لبنان، دار المنهل اللبناني، ط1، 2002، ص94-95.

[4] –مصطفى السعدي، أضواء على الصهيونية، القاهرة، ط1، 1966، ص31

ويجب الفصل بوضوح بين التطور التاريخي للفكر الصهيوني من جانب وتغلغل مفهوم العودة إلى القدس في الوجدان اليهودي وارتباط العلاقة الروحية بطبيعة التطور اليهودي للوظيفة العالمية للديانة اليهودية من جانب آخر. اذ تمثل القدس في الضمير التاريخي لكل من ينتمي إلى الديانة اليهودية مجموعة حقائق هي:

أولاً: رمز لمفهوم الرفض اليهودي، ثورة اليهود ضد الرومان تمركزت حول مدينة القدس ولذا دمرتها القوات الرومانية بل وغيّرت اسمها.

ثانياً: رمز استمرارية الوجود الفكري اليهودي في فلسطين، حيث ظلّت دراسة التوراة والكتب المقدسة رغم معاناة وتشتت المجتمع اليهودي خلال ألفي عام.

ثالثاً: رمز يلتقي حول جميع اليهود بغض النظر عن اختلافاتهم الفكرية والسياسية عن القدس ومستقبلها. وتعتبر القدس عاصمة مقدسة للدين اليهودي، وموقع تلتقي فيه جميع التيارات الفكرية اليهودية[1].

من ذلك نتوصل أن الصهيونية فكر سياسي يأخذ شكل بنية فكرية، تستمد وحداتها الأيديولوجية من التراث الديني، فتستغله إلى أقصى حد، لتكتسب بعداً تاريخياً وإنسانياً، وفي نفس الوقت توظف فيه الأفكار السياسية العلمانية والثورية[2].

إن اليهود عبارة عن قبائل بدوية لن تتمكن من التأقلم والانسجام مع المجتمعات الأخرى، على الرغم من أن اليهود أقليات موزعة في جميع دول العالم، يمارسوا المهن اليهودية التقليدية كالتاجر والمرابي والخمار ووكيل الإقطاعي في استغلال الفلاح. وبعد ظهور الرأسمالية الصناعية في دول أوروبا الغربية، أدى إلى تدمير وضع اليهود الاقتصادي والاجتماعي في أوروبا الغربية، ونتج عنه هجرتهم إلى دول أوروبا الشرقية، ثم اتجهوا للهجرة إلى فلسطين، وادّعوا بأنها أرض الميعاد وتذرّعوا بجميع الوسائل والحجج الدينية والتاريخية من أجل إضفاء صفة شرعية لاحتلال فلسطين وتشجيع الهجرة اليهودية إليها.

المبحث الثاني: مفهوم النقاء العرقي وجذوره التاريخية عند اليهود:

تقوم فكرة أو نظرية النقاء العرقي على أن اليهود أمّة وجدت وخلقت هكذا منذ القدم من صلب عرق أو جنس بعينه (وهو الجنس السامي) واحتفظت بوجودها العرقي والقومي برغم الاضطهاد والسبي والشتات، وذلك بفضل صفاتها الذاتية العرقية، صفات النقاء والصلابة والعناد والتفوق[3].

تمتد جذور فكرة النقاء العرقي والتمييز العنصري عبر التاريخ إلى التوراة، واليهود ثم حملة ميكروبه بأمر دينهم وأمر ربهم، فالتوراة ليست كتاباً واحداً ولكنها تتكون من مجموعة من الكتب، استغرق تأليفها قرون عديدة، والتوراة لم تكتب بلغة واحدة فكتبت بالعبرية ثم استكملت بالآرامية وختمت آخر كتبها باللغة الأغريقية، واشترك في كتابتها رجال حظهم من المعرفة قليل وضئيل. وتحوّل الكتاب المقدس (التوراة) إلى كتاب قبلي خاص باليهود، وأصبح يحض

---

[1] –مصطفى السعدي، المصدر نفسه، ص56

[2] – جاك تني، الأخوة الزائفة، ترجمة أحمد البازوري، سوريا– ط1– 1979–ص23، 24.

[3] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدرسابق، ص17–19

على كراهية غير اليهود، ويدعو الإسرائيليين إلى تجنبهم، وجعل من اليهود كحاجة هذا الكوكب من النواحي الدينية والعنصرية، وتطالب التوراة اليهود بسيادة العالم وامتلاك جميع الأرض، حيث جاء فيها (كل أرض وطأتها قدماك فهي لك)[1].

وتزعم اليهودية بأن اليهود هم (شعب الله المختار)، وأن كل ما عداهم من أقوام يعيشون خارج نطاق رحمته ومحبته (وستأتيكم ثروات الأمميين.. وسيبني أبناء الغرباء جدرانكم وسيحكمكم ملوكهم، وسترضعون لبن الأمميين) و(ستأكلون خيرات الأمميين.. وتنعمون في مجدهم...). فاليهودي ليس مجرد شخص ملتصق باليهودية، وبينما يعتبر اليهودي سامياً من ناحية عرقية، فإنه يضل شيئاً أكثر من ذلك، وإذا تخلّى عن تعصّبه فلا يغرق نفسه في الأجناس السامية، إنما يظل جزءاً من ذلك الفرع اليهودي الذي نشأ فيه. والواقع أن اليهودي يبقى يهودياً رغم انتمائه السياسي الواضح أو اتجاهه الديني ويوجد الشواذ هم الذين يبرهنون على صحة القاعدة العامة[2].

أهم ما تهدف إليه كتب التوراة هو إرجاع نسب موسى وجماعته الذين خرجوا من مصر إلى النبي إبراهيم، بهدف إرجاع أصلها المجهول إلى أقدس العروق من الأجناس البشرية، وتثبيت العقيدة الوهمية (الأرض الموعودة) ولتحقيق هذا الهدف ربط مدونو التوراة صلة قوم موسى رأساً بإبراهيم وبحفيده يعقوب، لرفع مكانتهم بين البشر غير أنهم لم يتطرقوا إلى الفاصل الذي يفصل بين جماعة موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو الفاصل الذي يمتد سبعمائة عام. أي عصر إبراهيم لم يكن له أي ارتباط بقوم موسى ولا علاقة لهم ببني إسرائيل لا في الثقافة ولا في اللغة ولا في العرق. ومن هذا يتضح أن التوراة حدد بأن الله منح إبراهيم الأرض من الفرات إلى النيل وتنقل إلى ذريته وهما اسحق ويعقوب، وحدد يوشع الأرض لبنى إسرائيل من الموسويين، أي التوراة جسد المشروع الاستيطاني للموسويين من بني إسرائيل[3].

التلمود هو المصدر الثاني لليهود، وهو أخطر كتب اليهود، ودستورهم الديني الذي يؤمنون به ويسيرون عليه ولا يحيدون عنه، (التلمود) كلمة عبرية معناها التعليم، وهو عبارة عن أحكام عامة زيادة عما ورد في التوراة تناقلها الخلف عن السلف، ويبدأ الكاهن (عزرا) في تدوينها بعد عودة اليهود من سبي بابل عام 39 ق.م، (ويشيرون إلى أن الله قد منح اليهود السلطة على جميع مقتنيات كل الشعوب)، وأيضاً (سخّر الله لشعبه المختار الحيوان والإنسان لأنه يعلم أن اليهود تحتاج لنوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والطير، ونوع ناطق: كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين من أهل الشرق والغرب، فقد سخّرهم لنا لخدمتنا، ولنا أن نمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم لمنفعتنا). وفيه (لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر)[4].

---

[1] – مصطفى السعدي، مصدر سابق، ص60-67

[2] –مصطفى السعدي، مصدر سابق، ص23.

[3] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص23-24

[4] – المصدر نفسه، ص34

نصت تعليمات التلمود على أن المجتمع العالمي ينبغي أن يقوم على طبقتين: الطبقه العليا وتتكون من السادة اليهود والطبقة السفلى وتتكون من بقية الجنس البشري من غير اليهود وأن اليهود هم شعب الله المختار. وعلى هذا فالتلمود كتاب خطير يلهب مشاعر اليهود ويرضي غرورهم إذ يرفعهم إلى أعلى عليين ويهبط بغيرهم إلى أسفل سافلين، وهو إلى ذلك يعتبر من أهم مصادر السياسة اليهودية، ويقتصر أحبار اليهود على طبع التوصيات الدينية والشرعية والصحية والاجتماعية من التلمود. أما التوصيات السياسيه والعدائية السرية فتلقى لتحفظ في الصدور [1].

وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض وجعل الناس عبيداً لليهود على اعتبارهم أنهم شعب الله المختار وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض. وتتجسم في التوراة انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها الله له، الإله الخاص به دون الآخرين، فإن التلمود يصور اليهود أنهم من طينة أرفع من طينة باقي العالم، وأن غيرهم خدم لهم كغيرهم من الحيوانات غير العاقلة. ورد في التلمود العديد من النصوص تؤكد على عنصرية اليهود فقد جاء فيه:

1 – أن نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات.

2 – أن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات.

3– على اليهودي أن يبذل الجهد لمنع استملاك باقي الأمم للأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم.

4– الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب.

5– حياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بأمواله.

6– اقتل الصالح والمجد من غير اليهودي.

7– قتل غير اليهودي من الأفعال التي يكافئ عليها الله [2].

ويعتبر التلمود العرب مخلوقاً ندم الله على خلقهم، حيث جاء في (سفر سوكاه 52ب، ص250) هناك أربعة أشياء يندم الواحد القدوس تبارك اسمه على خلقه إياها وهي: (النفس، الكلدانيون، الاسماعيليون وهم العرب، ونزعة الشر) ويصف التلمود العرب بالمخربين كما جاء في سفر أيوب 12:6 (خيام المخربين مستريحة والذين يغيظون الله مطمئنون) [3].

ومن بشاعتهم في الغدر والقتال بما ورد في التوراة من محاربتهم الفلسطينيين عندما حاصرهم شاول: (وضربوا الفلسطينيين في ذلك اليوم من مكماش إلى أبالون واعياً الشعب جداً وثار الشعب للنهب وأخذوا غنماً وبقراً

[1] – المصدر نفسه، ص35

[2] –سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص35

[3] – المصدر نفسه ص35

وعجولاً وذبحوا على الأرض وأكل الشعب الدم).. (وقال شاؤل لتنزل على أثر الفلسطينيين ليلاً وتنهبهم إلى ضوء الصباح ولا تبقي عنهم رجلاً)[1]

إن الصهيونية كفكرة أو حركة ارتكزت على مبدأ العنصرية، والتي دعت من خلاله إلى تمييز العرق والجنس اليهودي وتفوقه على جميع الأجناس البشرية باعتباره (شعب الله المختار)، واليهودي يبقى يهودياً رغم انتمائه الحزبي واتجاهه الديني، ويؤكد التلمود الكتاب الثاني لليهود وهو أخطر كتبهم ودستورهم الديني وفيه ما يرضي غرورهم ويلهب مشاعرهم، وبذلك اليهودية قامت على أسس وركائز ميّزتها عن غيرها من الأمم، وبالتالي يجب أن تكون لها السيطرة والسيادة على أي مكان في العالم.

المبحث الثالث: الشخصية الإسرائيلية العنصرية في الفكر الصهيوني:

بالنظر إلى أن اليهود لم يتمكّنوا من إقامة الدولة اليهوديه الدائمة وخضوعهم لسيادة الأقوام الأخرى القريبة والبعيدة عنهم وعدم قدرتهم على مقارعتهم أو التخلص منهم، فقد لجأوا إلى الغدر والخيانة والرذيلة، وكان ذلك بالنسبة لهم سمة يتصفون بها بين شعوب الأرض وفي مختلف الأزمنة[2].

استمد بنو إسرائيل أعمال الشر والخيانة والإرهاب والاستعلاء على الشعوب وحب السيطرة على أملاك الغير واستلابها منهم بالطرق الدنيئة من المصادر الآتية:

1- ما ورد في التوراة من نصوص محرفة تهديهم إلى هذة التصرفات.

2- ما ورد في التلمود من أحكام وتفسيرات للتوراة وضعها كبارهم من الحاخاميين.

3- أن اتجاههم إلى إقامة دولة أو كيان سياسي على أرض الغير جعل أصحاب الحق يقاومونهم ويحاربونهم على مر العصور، مما ولد لديهم عقدة الحقد ضد الآخرين وعدم إمكانهم التآلف والانسجام معهم.

4- التحالف مع الامبراطوريات القديمة التي تتصف بنزعة السيطرة والاستحواذ مثل الامبراطورية الفارسية، مما جعل الشعوب المغلوبة تجد في اليهود القاعدة المتقدمة لهذه الامبراطوريات وأن القضاء عليها يعني القضاء على السيطرة الأجنبية، وقد كان تحالف هذه الامبراطوريات دافعاً قوياً لأن يمتهنوا نزعة الشر والعدوان على أساس أنهم يستندون إلى قوة كبرى تحميهم من الآخرين[3].

وأدت فكرت النقاء العرقي عند اليهود وهي فكرة عنصرية سعت الصهونية إلى تجذيرها في نفوس اليهود وذلك من خلال تأصيلها وجعل مرجعها ديني مرتبط بالتعاليم اليهودية الصادرة من التوراة والتلمود إلى نتائج مرضية في الشخصية اليهودية، ومن هذه النتائج:

1- حدوث الهجرات المتتالية لليهود من مختلف أنحاء العالم إلى فلسطين وتكوين وطن قومي لليهود.

---

[1] -عبد الله التل، خطر اليهود على الإسلام والمسيحية، القاهرة، ط1، 1964، ص31.

[2] -غورانوف، الصهيونية والعنصرية، مترجم عن البلغارية، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية، بيروت، ط1، 1977، ص178-179.

[3] - السيد ياسين، الصهيونية ايديولوجية عنصرية، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية، بيروت، ط1، 1977، ص99.

2- العداء لكل الجنس البشري، وخاصة الجنس العربي، وبالتالي المواجهة ومحاولة القضاء على العرب وسلبهم ممتلكاتهم وأراضيهم[1].

3- سعي اليهود إلى طرد العرب من فلسطين وذلك بهدف حل المسألة المزدوجة. وتوفير الظروف الملائمة لتكوين إسرائيل كدولة يهودية متجانسة ونقية.

4- الشعور بالتفوق من حيث الجنس أو العرق فهم شعب الله المختار والسادة وبقية الناس عبيد، بل وصل بهم التطرف إلى أن يعتبروا أن اليهود بشراً وأن غير اليهود حيوانات ويتفقون على وجهة نظر واحدة تقول بأن (غير اليهودي في إسرائيل، ليس إنساناً).

5- الشعور بالتفوق من حيث الثقافة اليهودية والعقلية اليهودية على ثقافة وعقلية الشعوب الأخرى وخاصة العرب الذين يطلقون عليهم لفظ (قذرين) وهذا ناتج للسياسة الصهيونية والتعبئة الإعلامية والتنشئة والتربية اليهودية للنشأ اليهودي.

6- ومن الآثار والنتائج انغلاق المجتمع اليهودي على نفسه، كي يحافظ على نقاوة عرقه البشري كما يدعون[2].

الأيدولوجية العنصرية الصهيونية التي قامت على أساس عدد من الأوهام والأساطير الزائفة كان لا بد لها حين تؤسس تجمعاً بشرياً من خلال عملية استعمار استيطاني، أن تطبع هذا التجمع بطابعها عن طريق نشر وتدعيم استراتيجية عدوانية وعنصرية التنشئة الاجتماعية، ونتيجة لذلك ظهرت الشخصية الإسرائيلية وهي متأثرة بالجذور العنصرية الراسخة للصهيونية، والتحليل الدقيق للشخصية الجماعية في إسرائيل، يجعلنا نقرر منذ البداية الهوية الإسرائيلية في دور التكوين، تختلف في سماتها عن الهوية اليهودية السائدة في عدد من التجمعات اليهودية في العالم العربي. هذا الاختلاف اعتبرته الصهيونية مشكلة خاصة بتشكيل الهوية، وذلك في نقل السمات اليهودية التقليدية إلى الهوية الإسرائيلية البازغة[3].

ومن السمات الشخصية التي يمكن استخلاصها من تحليل تاريخ اليهودي، هي تلك السمات التي تتعلق بنظرة اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم كانوا دائماً أقلية مضطهدة، تعاني من القلق والإحساس بالدونية والشك وعدم الثقة من غير اليهود، وانتقلت بعض هذه السمات أو الصفات إلى المجتمع الإسرائيلي، ولوحظ سيادة مشاعر الشك وذلك لإحساسهم بتفردهم وامتيازهم من ناحية، وخضوعهم لغير اليهود من ناحية أخرى، خلال موجات الاضطهاد التي جرفتهم آزماناً طويلة، غير أن الإحساس النفسي بالدونية تحول إحساساً بالعظمة والتفوق لدى الفرد الإسرائيلي اتجاه العالم[4].

---

[1] – جودة السعدي، الأدب الصهيوني الحديث، بيروت، ط1، 1981، ص16.

[2] – السيد ياسين، مصدر سابق، ص101

[3] – المصدر السابق، 102

[4] –المصدر نفسه ص104-106

ويقرر عالم النفس اليهودي (روبنستين) في ملاحظاته الشخصية عن النفسية الإسرائيلية، أن الإسرائيليين كأفراد ومجتمع يتسمون باتجاهات شك عميقة الجذور اتجاه الآخرين، وهذا الشك في رأيه يسود العلاقات الشخصية في إسرائيل ويكشف عن نفسه في كل تفاعل مع العالم الخارجي، وهو يصف ثلاث مستويات من الشك والرفض:

- المستوى الأول: موجه ضد العرب.
- المستوى الثاني: موجه ضد العالم غير اليهودي.
- المستوى الثالث: موجه ضد النظم والأجهزة والدولية.

ويتوصل (روبنشتين) أن نفسية الفرد الإسرائيلي تتسم بالتبلور ويهيمن عليها التحديد، ويستمد هذا المرض النفسي جذوره من الشك اليهودي التقليدي في (الأغيار كل من سواهم يهودا) والذي تسرب إلى التكوين النفسي الإسرائيليين المعاصرين، لكي يتوجه إلى العرب وهذا ما انعكس سلباً وبشكل واضح على السياسات الإسرائيلية في النظرية والتطبيق[1].

أما الهوية الإسرائيلية البازغة، ينبغي الالتفات إلى تعدد التكوينات النفسية في إسرائيل بحسب الأجيال المختلفة التي ينتمي إليها الإسرائيليون، وإذا كان اختلاف الأجيال يعكس أثره بوضوح على بناء الهوية الإسرائيلية البازغة، فإن هناك أبعاداً لها دلالة هامة في قياس العوامل التي تشكل هذه الهوية في الوقت الراهن ولعل أهم هذة الأبعاد قاطبة هي:

1- الأصل السلالي (يهود شرقيون يهود غربيون)
2- درجه التدين (يهود علمانيون يهود متدينون)[2].

وقد وضعت الصفوة استراتيجية التنشئة الاجتماعية التي نسجت خيوطها من مسلمات الايدولوجية الصهيونية العنصرية، ولدعم ذلك سنستشهد بالبحوث النفسية الاجتماعية الميدانية الإسرائيلية ذاتها، والتي طبقها الإسرائيلي (سيمون هيرمان) على طلبة الثانوية والجامعة، ومن خلال النتائج يمكن أن نتوصل إلى المكونات العنصرية الأساسية في الشخصية الصهيونية الإسرائيلية، وهذه المكونات نحددها بالأفكار الرئيسية الآتية:

1- التأكيد على استمرارية الشعب اليهودي عبر التاريخ وتفرده.
2- التركيز على الاضطهاد الذي لاقاه اليهود في المجتمعات الغربية.
3- التركيز على الاعتداءات المزعومة التي دفعت على اليهود في البلاد الإسلامية.
4- إثارة الخوف الدائم من احتمال تكرار المذابح اليهودية.
5- تأكيد استمرارية معادات السامية في العالم.

هذه الأفكار هي التي نجحت الصفوة الحاكمة الإسرائيلية في زرعها في أذهان الإسرائيلين وأدت استراتيجية التنشئة الاجتماعية الإسرائيلية، إلى أن تصبغ الشخصية الإسرائيلية بطابع تسلطي واضح، فساعد على صياغة هذه

[1] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص39-40

[2] – عبدالوهاب المسيري، نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني، بيروت، ط1، 1979، ص12

الشخصية العنصرية بالإضافة إلى تدعيم القيم العنصرية والتي شجعت على العنف والعدوان إزاء العرب، وتكشف عن ذلك سياسية الردع والعدوان التي صاغ مبادئها ابن غوريون في الخمسينات والتي انطلقت من مسلمة عنصرية قاطعة مؤداها أن العرب لا يعرفون إلا لغة القوة والعنف[1].

نستدل من هذه الدراسة أن اليهود عانوا من الحرمان وعدم وجود وطن خاص بهم، وخضوعهم لسيادة الأقوام الأخرى والفكرة العنصرية التي سعى ساسة اليهود لغرسها في نفوس اليهود. جميع هذه العوامل ساعدت في طبع الشخصية اليهودية بالعدوانية والشر والخيانة والرذيلة وحب السيطرة على أملاك الغير واستلابها منهم بطرق رذيلة، بالإضافة إلى ذلك سعت المؤسسات العنصرية الصهيونية على نشر وتدعيم سياسة عدوانية وضعية من خلال تنشئتها الاجتماعية، جميع هذه العوامل ساعدت على إيجاد أرضية خصبة لتكوين شخصية إسرائيلية ذات سمات مرضيه تقوم على العنصرية والعدوانية، من أجل تنفيذ مشروع استيطان فلسطين، وبدلاً من مكافحة اللاسامية إنقاذ اليهود فإنهم استخدموها لإقامة المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين.

المبحث الرابع: الجهود المبذولة لتكوين الدولة الصهيونية

الصهيونيةكلمة مشتقة من (صهيون) وهي تل صغير في القدس، وهي تعني عودة الشعب اليهودي إلى أرض إسرائيل التي وردت في الكتب المقدمة لليهود، حيث يعتقد اليهود أن الشريعة اليهودية خرجت من صهيون وأن الله سكن فيه.

والصهيونية بدأت حركة سياسية عالمية تحاول أن تستند على مفاهيم دينية وقومية وتاريخية، وتهدف إلى الحفاظ على الكيان الذاتي للأقليات اليهودية في العالم، واستغلال هذه الأقليات في التأثير على الأوضاع السياسية والاقتصادية في تلك الدول بما يخدم قيام (دولة يهودية)، أما الصهيوني فهو كل من يؤيد الدعم السياسي لليهود في فلسطين بعض النظر عن ديانته[2].

تنتمي الحركة الصهيونية إلى حركة الردة والتي رأت أن العقل الإنساني غير قادر على خلق واقع إنساني جديد أو على التكيف مع الواقع التاريخي الجديد وأن على اليهود البقاء داخل مقدساتهم القومية[3]. والحركة الصهيونية هي في أساسها وأصلها حركة غير مدروسة هي هبة عاطفية عصية حمقاء، وكان الأجدر بها أن تبقى حلماً في مخيلة من استنبطوها وبقيت حلماً لو لم يسخر القدر لها دولة كبرى تحتضنها وتخرجها من عالم الخيال العالم الواقع.[4]

الصهيونية حركة قومية عنصرية متطرفة تستغل العاطفة في سبيل صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في وطن قومي واحد بالضغط والعنف والتهديد. وإسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة، الفكرة الصهيونية تنطوي في جوهرها على دعوة العودة إلى صهيون أي مناشدة اليهود في العالم، والعودة إلى (أرض إسرائيل)

---

[1] – نجيب صدقة، قضية فلسطين، قدم له عبد الرحمن عزام باشا والسيد جمالالحيني، بيروت، ط1، 1946، ص5-6

[2] – أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1972، ص 369

[3] –خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، 1908-1018، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ص 65-66.

[4] – صبري جرجس، التراث اليهودي في الفكر-أضواء على الاصول الصهيونية لفكر فرويد، ط1، 1970، ص22

بحدودها المذكورة في الكتب المقدسة لدى اليهود، والصهيونية بمفهومها السياسي وطابعها القومي اليهودي عبارة عن حركه سياسية عالمية منظمة تستند إلى مفاهيم شتى انطلاقاً من المفاهيم الدينية إلى المزاعم التاريخية والنيات الاستعمارية[1].

إن الصهيونية تستند على مفاهيم دينية وتاريخية وقومية وسياسية من أجل الحصول على دعم وإسناد جميع القوميات والأديان في كل بلدان العالم، بهدف إنجاز مشروع استيطان فلسطين وتنفيذ مخططات الدول الاستعمارية.

الحركة الصهيونية هي مجموعة قضايا أو مشكلات متعددة لو مزجت معاً كانت الصهيونية، في جذورها تقاليد دينية وأساطير، فاليهود كلهم صهيونيون بمعنى أو بآخر، والقضية الغير أسطورية (الشوق إلى صهيون) تكمن وراء الحركة الصهيونية هي قضية الاضطهاد اليهودي، فكانت أوروبا مركز استيطان الطوائف اليهودية في العصر الحديث، وفي أوساطها نشأت الفكرة الصهيونية، والطوائف تقوم حول نواة تجارية مالية وتؤلف طوائف انعزالية (نظام الجيتو)، وولدت موقع الطوائف الاقتصادي والتعصب الديني ظروف الاضطهاد، النظرة الاجتماعية المتدنية التي عانى منها اليهود في العالم، على الرغم من وظائف الشرف والوظائف الرفيعة التي حصلوا عليها، فاليهود بطريقة شعورية أو لا شعورية، يحسوا كونهم يهود وهي وصمة عار اجتماعية، وازداد اضطهاد اليهود مع ظهور النظام الرأسمالي في أوروبا، فالتنافس بين الرأسمالية الغربية والرأسمالية اليهودية واستغلال الرأي العام اليهودي لخدمة أغراضهم، إضافة إلى إطلاق اسم جديد على اضطهاد اليهود وذلك وفق التأثر بنظرية الأجناس والتي تدعي تفوق العرق، وهو اسم (مقاومة السامية) وتعني اضطهاد العنصر السامي برمته ومنهم العرب لقلة وجود شعوب سامية في أوروبا من غير اليهود واقتصرت الحركه على اليهود. التقت هذه الظروف مع الفكرة الصهيونية[2]، وادعى أصحابها أنها الرد الوحيد لمقاومة السامية، ورغم وجود تناقض بين الحركتين، إلا أن إحداهما تغذي الأخرى، فوجدت الصهيونية في مقاومة السامية عاملاً مساعداً في تحقيق أهدافها، وعزز الاضطهاد الشعور الصهيوني[3].

الفكرة الصهيونية لم تأخذ في طريقها، الأبعد تكسر جدران (الجيتو) أمام الأحداث السياسية التي حدثت في نهاية القرن الثامن عشر وما بعده، منها إخفاق الأفكار الليبرالية التي نادت بها الثورة الفرنسية والحروب النابوليونية، في فرض مبادئ الإخاء والمساواة على المجتمعات الأوروبية وظهور الحركات القومية في أوروبا[4] ونمت الحركة الاندماجية اليهودية أو حركة التنوير بين الطبقات المثقفة اليهودية من أجل إزالة الحواجز بين اليهود والأمم الأخرى، وكتب الحقوق المدنية وتشجيع اندماج الطوائف اليهودية بالشعوب التي تعيش بينها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، وتفاوتت عملية اندماج أوروبا وشرقها، خاصة في روسية فيها يهود الجيتو، فثلاثة أرباع اليهود يعيشون في

---

[1] – أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمة الاولى، الكويت، 1984، ص16-17

[2] – ناصر موسى زيد الكيلاني، إسرائيل دولة المهاجرين، عمان، 1984، ص9-10

[3] – خيرية قاسم، مصدر سابق، ص16

[4] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدر ساب، ص41-42

دول أوروبا الشرقية ونصف اليهود يعيشون في روسيا القيصرية[1]، ونشأت بين هؤلاء بذور الفكرة الصهيونية، وأن الحركة الصهيونية وجدت اليهود لإنقاذهم واعتبر بعض المتطرفين من مثقفي أوروبا الشرقية اليهود حركة الاندماج هذه (قوة محطمة، بل هي أكثر تهديماً لليهودية المتميزة من الاضطهادات أو عزلة العصور الوسطى)[2] ودعى المثقفون اليهود الروس (المسكيليم) إلى حل المسألة اليهودية عن طريق دمج اليهود في حياة المجتمع الروسي ليصبحوا مواطنين روسيين، وعدم الهجرة إلى فلسطين، وأنجح الوسائل لحل المشكلة اليهودية في روسيا ورفع مستوى معيشتهم هو العمل على نشر العلم والثقافة بينهم وتدريسهم اللغة الروسية لتقربهم من الثقافة الروسية ودمجهم مع المجتمع الروسي وتحويلهم من حياة البطالة والفقر إلى دائرة العمل وكذلك وجد بين هؤلاء من يدعو إلى إصلاح الديانة اليهودية، وأطلق على هذه الحركه اسم (الهسكلاه)[3]، وحركة الصهيونيون العموميون وهدف هذه الحركات استثارة الحس الوطني اليهودي باعتباره منتمياً إلى بلد، بل إلى شعبه المضطهد المشرد والمفروض عليه حياة الذل والمسكنة في القرى والمدن الروسية والأوروبية[4] وحركة أحباء صهيون، وهي حركة حاولت صياغة أفكار علمية وإعطاءها صفة القومية، حلم التخلص من المنفى وبعث الحياة القومية، الثقافة العبرية والعودة إلى الأرض والطبيعة، إقامة حياة اقتصادية لها جذورها في التربة لوضع نهاية التجول اليهودي في العالم.

الفكرة الصهيونية هي حصيلة لحركة التنوير اليهودية التي نشأت في القرن التاسع عشر، وأسهم اليهود في حياة المجتمع العلماني المعاصر دون أن يفقدوا هويتهم، وأول مظاهره هو حركة التنوير والإصلاح العبري في المانيا، وهدف الإصلاح المحافظة على العناصر المسكونية وإلغاء الجوانب التي باتت بالية وأقل أهمية لليهود المعاصرين وساد عليهم المنحى الأخلاقي على المحتوى الطقسي في دينهم. وضمن هذا الإطار بالذات، نشأت حركات متنوعة حول الصهيونية ومنها فكرة القومية اليهودية الإقليمية (أو المرتبطة بالوطن)، والثانية على بعث الحضارة اليهودية من خلال بعث العبرية كلغة شعبية وأدبية، أما الحركة الثالثة اهتمت بتشجيع اليد العاملة اليهودية وقطاع الزراعة، والحركة الرابعة انجذبت بفكرة استعمار اليهود لفلسطين، وهذه الحركة عمّت أوروبا في القرن التاسع عشر ولم تكن على أساس ديني فرفضها اليهود ورفضوا حركة الإصلاح.

ونتيجة لهذه العوامل ظهر العديد من المفكرين اليهود الذين يعملوا في الصحافة والتأليف في القرن التاسع عشر، يدعوا لحل المسألة اليهودية على غرار النزعة القومية التي ظهرت في أوروبا، بالدعوة لهجرة اليهود من أوروبا إلى فلسطين، وإقامة مستوطناتهم وتجمعهم فيها، وإقامة الدولة اليهودية لتكون ملاذاً لليهود في العالم.

وأبرز هؤلاء المفكرين الأوائل ويطلق عليهم (طلائع اليهودية):

---

[1] – ناصر موسى زيد الكيلاني، مصدر سابق، ص10-11.

[2] – خيرية قاسمية، مصدر سابق، ص17

[3] – عبد الوهاب الكيلاني، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية، لغداد، 8-12 تشرين 1976، الصهيونية والعنصرية، المجلد 2، العراق، –بغداد، ط1، 1977، ص69-70

[4] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص42

أولاً: الحاخام "يهودا القالي": نشر أفكاره عام؛ 1834 بعنوان (اسمعي يا إسرائيل، لإقامة مستعمرات يهودية في فلسطين)، وتعتبر أفكاره الأساس النظري للحركة الصهيونية، ووضع أسس إقامة دولة إسرائيل، وتشجيع الاستيطان في فلسطين، وتبنى هرتزل أفكاره فيما بعد.

ثانياً: الحاخام زفي هيرش كاليشر: وضع نظرية في إنشاء الدولة اليهودية عام 1836 في رسالة بعث بها إلى عائلة روتشيلد في برلين، وفي عام 1862 وضع كتابه (السعي الصهيوني)، وتقوم أفكاره على أساس وهمي، أن الطبيعة لا تشكل الدول والحكومات والعكس هو الصحيح، والطبيعة تؤدي إلى زوال الدول والحكومات كالكوارث الطبيعية والحرب من الأسباب الطبيعية.

ثالثاً: موسى هس: من كبار الصهاينة وضع أفكاره في كتابه (روما والقدس) عام 1862 تكلم فيه عن اضطهاد اليهود، وهاجم فيه المسيحية والإسلام، ووجه نداء إلى اليهود جاء فيه (سنكون مركز اتصال عظيم بين القارات الثلاث وحملة الحضارة إلى الشعوب، وتعودون إلى فلسطين، وستشفوا من جميع أمراضكم)، وبربط قيام الدولة اليهودية بالاستعمار الفرنسي.

رابعاً: بيريتز سمولنسكين: عبّر عن الصهيونية في مقالاته وكتابه (المتجول في سبيل الحياة)، دعا فيه لهجرة اليهود إلى فلسطين، وحذرهم من الهجرة إلى غير فلسطين ودعا في مقالاته عام 1881 إلى الهجرة الجماعية والاستيطان في فلسطين ويؤكد في كتاباته على البؤس والاقتلاع والآلام وأن اليهود أمة).

خامساً: يهوذا (ليو) بنسكر: هو رئيس حركة أحباء صهيون 1884، وضع كراساً عنوانه (التحرير الذاتي) 1882، وحدد مشكلة اليهود في أنهم يسكنون بين الأمم المختلفة، واليهودي ليس مواطناً في بلدة وليس أجنبي أنما هو غريب بكل معنى الكلمة، ومن أجل تخلص اليهود من مشكلتهم يرى يهوذا ضرورة إيجاد وطن لليهود، وفكرته ليست الهجرة إلى فلسطين مباشرة، إنما الهجرة إلى أرض أخرى عن طريق الشراء، ومن ثم تجميع اليهود فيها، وبعد ذلك يتوجهون إلى فلسطين.

سادساً: ثيودور هرتزل: يعد مؤسس الصهيونية الحديثة[1].

وبشكل مختصر يمكن القول، الصهيونية تعني عودة اليهود إلى أرض إسرائيل لأن اليهود أقلية في كل دول العالم، وبعد ظهور الرأسمالية في أوروبا، زاد من معاناة اليهود واضطهادهم ومنها مقاومة السامية ثم تكسر جدران الجيتو، ولهذا نشأت بين اليهود الفكرة الصهيونية، ثم ظهرت العديد من الحركات وأهمها (حركة أحباء صهيون) وهدفها إقامة دولة يهودية في فلسطين، وظهور العديد من المفكرين الصهاينة دعوا لحل المسألة اليهودية وإقامة دولة يهودية رغم أنهم اختلفوا في الوسائل لإقامة هذا الوطن.

[1] -سهيل حين الفتلاوي، مصدر سابق، ص42-49

المبحث الخامس: هرتزل والتأييد الدولي للحركة الصهيونية:

الاهتمام الشديد الذي أبداه يهود الغرب البارزين بمصير يهود أوروبا الشرقية منهم عائلة روتشيلد اليهودية الشهيرة والبالغة الثراء، وفرت الركيزة المالية للجهود المبذولة لتقليل الهجرة اليهودية إلى أوروبا الغربية وتحويلها بدلاً من ذلك إلى فلسطين لتجنب الآثار الوخيمة للعداء السامي من ناحية ولربط اليهود بالمصالح الامبريالية المطرد الاتساع في الشرق الأوسط في عصر ما بعد قناة السويس[1].

وساهم في تمويل الهجرة البارون سوريس دي هيرش الثري النمساوي، الذي أسس في 1891 جمعية الاستيطان اليهودي برأسمال قدره عشرة ملايين جنيه، وهدف الجمعية تسهيل هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى الارجنتيين، ويشجع المهاجرين على العمل الزراعي، واستمرت الجمعية تعمل لنقل اليهود إلى أمريكا الجنوبية حتى وفاته، فتحول صندوقها بعد ذلك لخدمة الاستيطان في فلسطين، وفي عام 1923 تم دمج مؤسستي روتشيلد وهيرش باسم –بيكو جمعية الاستيطان اليهودي في فلسطين، وبلغ مجموعه ما استملكته المؤسسة خلال ربع قرن من ١٩٩٨–١٩٢٣ مساحته(450 ألف دونم)، أي ثلث ما كان بحوزة اليهود من أراضي عند إعلان قيام دولة إسرائيل في 1948/5/5([2]).

هرتزل كشاب يهودي، اصطدم لأول مرة مع اللاسامية بشكل جاد عام 1882، حيث قرأ كتاب (افيغان ديرينغ) بعنوان (مسألة اليهود كمسألة عنصر، عادات، وثقافة)، كتاب لاسامي هز هرتزل وأخرجه من بيئه الشخصية الهادئة، ورأى (ديرينغ) أن العنصر اليهودي مخرب بطبعه ويشكل خطراً على الشعوب، والحل المثالي لمسألة اليهود هو تجمعيهم في بلد خاص بهم، وهذا الحل غير ممكن الآن، فدعا إلى حجزهم في الغيتوات بعد حرمانهم من الحقوق المتساوية وإمكانية الاندماج ومصادرة الممتلكات اليهودية ومنع الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم. و(ديرينغ) هو مثقف الماني بارز([3]).

ظل هرتزل يؤيد فكرة الاندماج الكامل لليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وفي تشرين الأول عام 1894 عرضت في باريس مسرحية (الكسندر ديما الابن) زوجه كلود، التي يقول فيها أحد الأبطال اليهودي (دنيال) بأن على اليهود العودة إلى (أرض إسرائيل). وكتب هرتزل مقالة عن المسرحية رفض فيها هذا الحل، بدعوى أن اليهود ليسوا شعباً واحداً حتى الآن، وأنهم مجموعات مختلفة بعد مئات السنين من التأثير بالثقافات والقوميات المتعددة[4].

درايفوس هو ضابط يهودي في سلاح المدفعية الفرنسية، وألصقت به تهمة خيانه الوطن، باكتشاف معطيات حول تسليم معلومات عسكرية إلى المانيا، واستمرت بتحقيق يفتقر إلى أي منطق مرفق بتقارير مزيفة وشهادت كاذبة وتحريض للجمهور الأمر الذي أثار عاصفة في فرنسا والعالم المتنور لعدة سنوات، وفي شهر كانون الأول عام

---

[1] –أديب ديمتري، الماركسية والدولة الصهيونية، بيروت، 1971، ص4

[2] – هاني المندي، حول الصهيونية وإسرائيل، بيروت، ط1، 1971، ص38

[3] –شخصيات صهيونية، أدباء الحركة الصهيونية، ترجمة عبد الكريم النيب، عمان، ط1، 1987، ص9–10

[4] – شخصيات صهيونية، مصدر ساب، ص12–13

1894 تمت إدانة درايفوس وصدر عليه الحكم بالسجن المؤبد والنفي إلى (جزيرة الموت) إحدى جزر المستعمرات الفرنسية، في البداية صدق هرتزل بتهمة درايفوس، ثم استنتج فيما بعد الأسباب نفسية أنه غير مذنب، عندما صاح درايفوس خلال مراسيم حرمانه من رتبه العسكرية قائلاً (إنني بريء، عاشت فرنسا)، وصاح الجمهور الفرنسي (الموت للخائن، الموت لليهود)، وفرنسا المتحضرة المثقفة بعد مئة عام من إعلان حقوق الإنسان[1]. وفيما بعد أعيدت محاكمته وثبتت براءته بعد سنوات من السجن[2].

قضية درايفوس هزت أوروبا هزة عنيفة، واقتنع هرتزل باستحالة الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن وجود اليهود في الدول هو مثار للشك، وحولت هرتزل من موقف اللامبالاة بيهودية إلى اليهودية النشطة، فأصدر في عام 1899 كتابه (الدوله اليهودية) الذي أصبح انجيل الحركة الصهيونية وكتابها المقدس، وتناول الكتاب وضع اليهود، وأن المسألة اليهودية لن تحل إلا عن طريق إقامة دولة لهم في أرض يمتلكونها وحدهم، واعتبر الكتاب نقطة تحول كبرى في مسيرة اليهود لعشرات السنين، واحتضنته البورجوازية اليهودية، وبدأت تنشط بشكل جدي لتحويلها إلى برنامج عمل[3].

وضع هرتزل نظرية متكاملة للحركة الصهيونية في كتاب (الدولة اليهودية) محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية[4].

وضع فيه متطلبات إعادة بناء الدولة اليهودية والذي وضع فيه ما يأتي 1- المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية.

2- وبصفتها مسألة قومية لا يمكن حلها، إلا إذا كانت قضية سياسية على الصعيد العالمي.

3- الوحدة التاريخية للشعب اليهودي حقيقة لا سبيل إلى نكرانها.

4 - أن القوة الدافعة للدولة اليهودية تتمثل بالبؤس الذي يعانيه اليهود.

5- أن العداء للسامية من زاوية يهودية محصلة من القوى العاملة لمصلحة الدعوة الصهيونية وتوفر التربة الخصبة لنشاط الصهيونية.

6- أن فكرة الدولة اليهودية هي المحك الذي يشحذ هم اليهود ويمدهم بالقوة لتحقيق ما يصبون إليه، اذ لا يوجد إنسان يملك من الثروة والسلطان ما يكفي لاقتلاع أمة ونقلها من بيئة طبيعية إلى أخرى. والفكره وحدها تستطيع إنجاز ذلك، وفكرة الدولة تمتلك القوة اللازمة.

---

[1] - شخصيات صهوينة، المصدر السابق، ص13-14

[2] -thoolore hrzl, the jucish state, ahempt a hoderu solution of th jeucish question, sylive davir, loudn, 1946 p.p15-16

[3] - هاني المندي، مصدر سابق، ص40

[4] - عبد الوهاب الكيلاني، مصدر سابق، ص12

7 – أن خروج اليهود من أوطانهم إلى فلسطين ليس انتقالهم من المدنية الى الصحراء القاحلة، بل سيتم تنفيذ المشروع في عقر دار المدينة[1].

واصل هرتزل جهوده وعمل بإصرار لإنجاح خطته في فيينا وباريس ولندن بعد أن تعرف على (أحباء صهيون) وأعضاء رابطة الطلبة اليهود الذين عملوا من أجل (أرض إسرائيل) وعلى شخصيات يهودية بارزة[2].

لذا نستدل، أن هرتزل اقتنع من خلال الأحداث التي واجهته بصورة مباشرة في عمله من تحويل أفكاره بصعوبة اندماج اليهود واستحالة بقاء اليهود في دول أوروبا، ومن الضروري عمل كل الوسائل والإمكانات لتسهيل هجرة اليهود من دول أوروبا إلى فلسطين.

حاول هرتزل الحصول على تأييد معظم دول اوروبا ومسؤوليها، وكان على استعداد لعرض خدماته على كل واحد منهم، زاعماً أمام كل منهم أن مخططه الصهيوني لن يخدم إلا مصالح تلك الدولة التي ينتمي محدثه إليها، وبدأ مع (الدوق بادن الكبير) الألماني بمظهر الصديق الحميم لألمانية الساعي وراء مصلحتها، وفي الوقت نفسه يجري اتصالات أخرى مع غيره في 1894/4/23، وحاول هرتزل الاتصال بالبابا وفشل لأن الظروف غير ملائمة له، ونجح في 1894/5/19 بمقابله (القاصد الرسولي) في فيينا وطلب منه مساعدة البابا للمشروع الصهيوني، وفي الوقت نفسه بذل هرتزل جهداً كبيراً للاتصال بمسؤولي الحكومة البريطانية، بعد فشل مساعيه السابقة في تشرين الثاني 1895، وبعد مساعي طويلة نجح في الحصول على رسالة من (كلادستون) رئيس الحكومة البريطانية، الى (صموئيل مونتاجو) اليهودي وعضو مجلس العموم البريطاني، في مدح كتيب هرتزل (الدولة اليهودية) الذي بعث مونتاجو به إلى الرئيس البريطاني في حزيران 1896، ونص الرسالة هو: (أن موضوع الكتيب الذي تفضلت بارساله إليّ شيق للغاية، ومن الصعب على الغريب عن الموضوع بأن يتوصل إلى حكم بخصوصه وأن يتمكن من إبداء أي حكم، ولكني دهشت جداً لمدى الكدر الذي استولى على اليهود، وأنا بالطبع أعارض اللاسامية معارضة شديدة).

كما نجح هرتزل في كسب تأييد المطران الانجليكاني البريطاني ولكنسن الذي كتب هرتزل عنه أنه (اعتبر الأمر عملية، وحتى لو كانت بدايته بداية عمل مصلحي إلا أنه قد يصبح عملاً عظيماً. وبعد. ألم تقم امبراطورية انكلترا في الهند بطريقة عفوية، وفي النهاية باركني وطلب بركة الله على هذا المشروع)[3]

محاولات هرتزل مع المسؤولين في المانيا والنمسا وروسيا وروما وانكلتر، هي في الواقع تمهيدات للاتصال بالسلطان العثماني (عبد الحميد)، لأن فلسطين تقع ضمن ممتلكاته الأسيوية، وصديق الصهيوني (لاندو) قد أوحى له، منذ 1894/2/21 بفكرة وصفها هرتزل بأنها جيدة، وهي أن يوسط مع السلطان صديقه (نيولنكسي) ناشر بريد الشرق. كما أن صديقاً آخر لهرتزل (صموئيل مونتاجو) أوحى له بفكرة أخرى من خلال مقال كتبه هذا السياسي البريطاني في نقد الكتيب (الدولة اليهودية) في جريدة (الديلي كرونكل في الأسبوع الأخير من شباط 1896، وهي

---

[1] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص51

[2] – شخصيات صهيونية، مصدر سابق، ص51

[3] –أنيس الصايغ– يوميات هرتزل، ترجمة هيلا شعبان صايغ، بيروت، ط1، 1973، ص26-27.

فكرة رشوة السلطان بمليون جنيه مقابل الحصول على فلسطين. هاتان الفكرتان وقفتا وراء مساعي هرتزل، منذ أوائل ايار عام 1896 للاتصال بالسلطان العثماني، وحتى يبرهن هرتزل للسلطان العثماني على فائدة اليهود له إن هو تعاون معهم، قبل أن يخوض قضية الخلاف الشديد الذي كان ناشباً آنذاك بين الحكومة التركية والعناصر الأرمنية الاستقلالية التحررية، وأن يقف إلى جانب الحكومة ضد إرادة الشعب الأرمني[1].

قام هرتزل بزيارة الأستانة عام 1899 وقابل فيها الصدر الأعظم. ولم ييأس هرتزل من قرار السلطان السلبي، بل ظل مواصل اتصالاته مع المسؤولين العثمانيين، ولم تنج محاولاته، طيلة سنوات حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1879-1909)، إذ شكل حكمه عقبة في وجه المشاريع اليهودية وخاصة في فلسطين، بسبب تأثير بعض رجال حاشية من العرب، وحرص السلطان على الترويج لسياسته الإسلامية من ناحية أخرى، وكذلك الشكوك التي ساورت السلطان بشأن النوايا الصهيونية، كانت قويه جداً[2].

بعد نشر كتاب هرتزل (الدولة اليهودية) عام 1899، أيّد فكرة عدد كبير من الدوائر اليهودية وغيرها، ثم قرر هرتزل عقد مؤتمر عالمي للصهاينة، وهي فكرة اقترحها أصلاً مبدع كلمة (الصهيونية) (ناثان بيرنبارم)، ونجح هرتزل مع عقد أول مؤتمر صهيوني في بازل في شهر آب 1897، والمؤتمر بالنسبة للحركة الصهيونية مكان المؤتمر الدستوري الولايات المتحدة، وقال هرتزل في خطاب الافتتاح (اننا هنا لنرسي حجر الأساس للبيت الذي سيظل الأمة اليهودية)، وتضمن برنامج المؤتمر ما يأتي:

1- ايجاد استعمار يهودي لفلسطين منظم وعلى نطاق واسع.

2- الحصول على حق شرعي معترف به دولياً، لاستعمار فلسطين.

3- إنشاء منظمة دائمة لتوحد جميع اليهود من اجل قضية الصهيونية.

ولخص هدف المؤتمر (أن هدف الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون العام)[3]

بعد أن نجح هرتزل في تحديد هدف الصهيونية وخلق الإطار التنظيمي لها، بدأ عمله لتحضير ادوات الاستعمار وربطها بالجهاز الإداري الصهيوني، الذي يقوم بأعمال التخطيط والإشراف على عملية الاستعمار في فلسطين، بالإضافه الى تولي مهام الجهود الديبلوماسية ورعاية العلاقات بالدول الكبرى، وهكذا أقر المؤتمر الصهيوني الثاني 1868 تشكيل (لجنة الاستعمار) وإنشاء (المصرف الاستعماري اليهودي)، ومقر المصرف والمؤسسات الصهيونية في انكلترا، وخطة هرتزل تقضي في الحصول على ميثاق من السلطان العثماني عبد الحميد يمنح اليهود حق إقامة مستوطن يهودي في فلسطين يتمتع بحكم ذاتي[4].

---

[1] - أنيس الصايغ، مصر سابق، ص28-29

[2] -عبد العزيز محمد عوض، مقدمة في تاريخ فلسطين الحيث، 1831-1914، كلية الآداب، جامعة اليرموك 1983، ص30.

[3] - ألن ثاير، تاريخ الحركة الصهيونية -تحليل للدبولوماسية الصهيونية 1897-1947، ترجمة بسام أبو غزالة، بيروت، ط1، 1966، ص15-16

[4] - عبد الوهاب الكيلاني، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، 1973، ص37

في الولايات المتحدة، نمو الصهاينة بطيئة جداً، وفي عام 1898 تجمعت مئة جمعية صهيونية مستقلة اتحاد الصهاينة الأميركيين، وصل عدد أعضائه بعد سنتين إلى ثمانية آلاف شخص، وتشكل في الولايات المتحدة عام 1905 تجمع العمال الصهاينة يدعو إلى حكومة اشتراكية في فلسطين وأسس هؤلاء الذين يحثون لإقامة دولة في ظل مبادئ دينية (منظمة ميزراشي الأميركية) عام 1912، أما باقي الصهاينة يعرفون بالصهاينة العامين لعدم التزامهم بأي نظريات دينية أو اقتصادية خاصة، وشكلوا مع المنظمة النسائية الصهيونية (أوهداسا) تأسست في عام 1912، وشكلت القوة الرئيسية في الصهيونية الأميركية [1].

أعلن هرتزل في المؤتمر الثالث للمنظمة الصهيونية العالمية 1899، هدف حركته هو الحصول على موافقة الحكومة التركية للبدء بتنفيذ خطته في استيطان فلسطين تحت حماية السلطان، وتفضل الصهيونية الحصول على ترخيص من تركيا بدلاً من إرسال اليهود بطرق غير مشروعة الى فلسطين. واتصل هرتزل بأستاذ جامعي يهودي في جامعة بودابست يدعى (فامبيري) يتحدث باثنتي عشر لغة، واعتنق خمسة أديان، وكان فامبيري على علاقة شخصية بالسلطان عبد الحميد، ووعده هرتزل بمساعدة مالية إذا أثمرت جهوده مع السلطان، وفي عام 1901 اقترح هرتزل مساعدة مالية إلى الحكومة العثمانية لتوحيد ديونها للممولين الأجانب بواسطة قرض يقدمه بعض الرأسماليين اليهود مقابل السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين[2]، وقابل هرتزل السلطان عبد الحميد الثاني في 1901/5/18، وحاول إقناعه بأن اليهود مستعدون لتقديم كل الخدمات المالية وغيرها لمساعدة الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين بشكل رسمي[3]. وبعد هذه المقابلة استدعى عزت باشا (أحد مستشاري السلطان) هرتزل للتفاوض معه بشأن اقتراحه الأخير لتوحيد الديون، وأبلغه أن اليهود يستطيعون دخول الدولة العثمانية شرط أن يوافقوا على قبول الجنسية العثمانية، ولن يسمح لهم بالاستيطان في فلسطين، إلا بعد أن تحدد الحكومة العثمانية الأماكن التي يسمح لهم بالاستيطان فيها، غير أن هرتزل رفض العرض. وأكد فامبيري لهرتزل أن السلطان يرفض السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين وقد يسمح لهم بالاستيطان في آسيا الصغرى أو العراق[4].

وبعد فشل هرتزل في الحصول على تأييد لاستعمار يهودي لفلسطين من رعاية القيصر الألماني مقابل دعم مصالح وسياسة المانيا في الشرق الأدنى، ومن السلطان العثماني، ركّز اهتمامه على انكلترا، وخطة هرتزل تعارض التسلسل التدريجي لفلسطين، وخطته تقضي بإقامة مستوطن يهودي في فلسطين يتمتع بحكم ذاتي، لكن جهوده لدى السلطان باءت بالفشل، على الرغم من تأييد بريطانيا والدول الاستعمارية له، وفي المؤتمر الصهيوني الخامس 1901 أنشأ ما يعرف بالصندوق القومي اليهودي، لشراء الأراضي وتسجيلها كملكية أبدية للشعب اليهودي[5].

---

[1] – محمد شديد، الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية، بيروت، ط1، 1981، ص32

[2] – سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص54

[3]– ملف وثائق فلسطين، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية، ج1، القاهرة، 1969، ص129–130

[4] – سهيل حسين الفتلاوي، مصر سابق، ص55

[5] – عبدالوهاب الكيلاني، الموجزفي تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، 1971، ص20

ففي تشرين الأول عام 1902، جرت مباحثات بين المسؤولين اليهود والحكومة البريطانية للحصول على إقرار بأجزاء من شبه جزيرة سيناء لإقامة استعمار يهودي ذي حكم ذاتي فيها، لكن المباحثات فشلت بسبب بعض الشروط المصرية، وهي إشارة للمقاومة العربية للصهيونيه وبوفاة هرتزل عام 1904، انقسمت الصهيونية الى فريقين أحدهما أيّد رأي هرتزل، في أن القضية الرئيسية هي التصديق العالمي وإيجاد حل فوري للمسألة اليهودية سواء في فلسطين أو في غيرها، وعرفت هذه الجماعة (بالسياسيين)، والفريق الأخر هو متأثر جداً بالإحياء الثقافي، مذهب جمعيات (شوقيفي زيون)، رفض النظر في أي عرض لإقامة وطن او أمة يهودية في أي مكان غير فلسطين ولقب هؤلاء (بالعمليين)، وفي المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905، أظهر العمليين قوة أعظم، واتخذ قرار أعلن فيه أن الصهيونية معنية بفلسطين وحدها. وهذه الألقاب هي مضللة لهم، فكلتا الجماعتين كانت مؤيدة للصهيونية السياسية والفرق الوحيد بينهما، أحدهما أكدت على الشرعية، والأخرى على استعمار فلسطين وعلى خيالية تاريخية ثقافية. وأخيراً، فإن الاتجاهين السياسي الواقعي والخيالي القومي، التقيا معا واستنا خطة واحدة، وفيما بعد أصبح العنصر الثالث في البرنامج، وهو استقطاب يهود العالم حول القضيه (هم الصهاينة الأكبر)، إذ أن في عام 1914، كان من الثلاثة عشر مليون يهودي (130 الف) صهيوني فقط. وهكذا التأم برنامج هرتزل الثلاثي، واستمر استعمار فلسطين تدريجياً من عام 1905- 1914، وبنشوب الحرب العالمية الأولى، كان في فلسطين تسع وخمسون مستعمرة فيها اثني عشر ألف نسمة[1].

لذا يمكن أن نستخلص ان اهتمام يهود أوروبا الغربية بمصير يهود أوروبا الشرقية ومنهم عائلة روتشيلد اليهودية البالغة الثراء، والبارون موريس دي هيرش النمساوي الثري، وفّرت الركيزة المالية من أجل الهجرة اليهودية إلى فلسطين. واقتنع هرتزل بعد قضية درايفوس باستحالة اندماج اليهود بالمجتمعات التي يعيشون فيها، ولهذا أصدر كتاب (الدولة اليهودية) عام 1899، وفيما بعد أصبح إنجيل الحركة الصهيونية وكتابها المقدس، إذ وضع هرتزل نظرية متكاملة للحركة الصهيونية، ثم عمل في الحصول على تأييد من الدول الأوربية من أجل التمهيد للحصول على تأييد الدولة العثمانيه لأن فلسطين تقع ضمن ممتلكاتها، لكن السلطان عبد الحميد ظل يشكل عقبة في وجه تنفيذ المشروع الصهيوني، وبعد وفاة هرتزل عام 1904 انقسمت الصهيونية الى قسمين، الأول، أيّد رأي هرتزل بإيجاد حل فوري لليهود في فلسطين أو غيرها وعرفوا بالسياسيين، والثاني، رفضوا أي وطن غير فلسطين وعرفوا بالعمليين، ثم اتفقوا مع الفريق الثالث هدفهم استقطاب يهود العالم حول القضية، وكونوا برنامج هرتزل الثلاثي.

المبحث السادس: الهجرة الصهيونيه الى فلسطين:

يعرف المؤرخون المسألة اليهودية بأنها حالتا الاضطراب والفقر اللذان عانى منهما اليهود في شرق أوروبا، بين نهاية القرن التاسع عشر وبين مطلع القرن العشرين، وزاد عدد اليهود من مليون نسمة إلى خمسة ملايين، الأمر الذي أدى لتزايد المستعيشين على المهن اليهودية التقليدية كالتجارة والسمسرة والربا، والمجتمع الروسي يعيش مرحلة تطور رأسمالي

[1] -ألن ثاير، مصدر سابق، ص19-20

تفرض القضاء على هذه المهن، فما حتّم الموقف على اليهود خيارين، الأول يعيد يهود روسيا توزيع أنفسهم على الطبقة العاملة الجديدة في المجتمع، والثاني أن يهاجر اليهود جماعياً كجالية متكاملة إلى بلدان أخرى، ونتيجة هذه الحالة الاجتماعية الطارئة رافقت موجة الهجرة اليهودية الجماعية من بلاد روسيا وشرق أوروبا الى بلدان أوروبا الغربية والولايات المتحدة بين سنوات 1882-1925، وحلّت جميع المشاكل الناجمة عن هجرتهم للحالة الاجتماعية والاقتصادية التي يتمتع بهما يهود أميركا وأوروبا. وفيما بعد الحركة الصهيونية تحولت كأداة يهودية منفذة لدى الدول الإمبريالية، وبذلت الحركة الصهيونية قصارى جهدها لحمل يهود العالم على هجرة قسرية إلى فلسطين، تنفيذاً لاتفاقيات سرية مبرمة مع الدول الاستعمارية من أجل مصالح الدول الغربية وضرب مصالح اليهود، وأدركت الصهيونية الصعاب التي تنتظر اليهود القادمين إلى فلسطين ليغصبوا أرضاً ويشردوا أهلها، وتعلّم بأن الشعب الفلسطيني لم يستكين ويفرط بحقوقه المصيرية والتاريخية[1].

عمل بعض المفكرين الصهاينة على ربط وجود الدولة اليهودية في فلسطين بحماية المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية. ومفكرين صهاينة آخرون إضفاء النزعة الاشتراكية على الصهيونية من أجل أن تتسع لليهود من ذوي الاتجاه الاشتراكي وتوفير الدعم والحماية لها من المؤسسات الاشتراكية الدولية. فالحركة الصهيونيه ليست حركة دينية لأنها تضم عدة اتجاهات، والأحزاب الدينية مثل اغودات إسرائيل وحزب مزراحي والحزب الشيوعي وحركات علمانية والحركة الصهيونية ليست حركه قومية لأنها تعمل على هجرة جميع يهود العالم الى فلسطين المحتلة، بغض النظر عن قوميتهم كاليهود السوفيت والتايلنديين والهنود والأثيوبيين والفهود السود والفلاشا وغيرهم، والحركة الصهيونية ليست حركة ذات أهداف اجتماعية معينة إنها تهدف لاستيعاب جميع المهاجرين الذين يأتون من دول ذات أنظمة اجتماعية معينة. ويقول (ناحوم غولدمان) رئيس المنظمة الصهيونية العالميه (نحن اليهود لا يهمنا أن نكون في جانب واحد من التيارات السياسية العالمية ما دمنا نعيش في أنحاء العالم كيهود فقط.. لا يهمنا أن نكون رأسماليين أو شيوعيين لا نفكر إلا في أننا يهود)[2].

كانت نسبة اليهود في فلسطين 10% من نسبة السكان الأصليين، ولهذا دأبت الصهيونية العالمية لتنظيم هجرات يهودية إلى فلسطين، واستخدمت وسائل متعددة منها:

1- إغراء اليهود بالهجرة إلى فلسطين عن طريق تحفيز العامل الديني والاقتصادي وإيهامهم بأن إقامة دولة يهودية سوف توفر لهم سبل الراحة والأمان والعيش في ظل ظروف اقتصادية جيدة.

2- التهديد والإرهاب الذي استخدمته الصهيونية ضد اليهود الذين يرفضون الهجرة الى فلسطين.

3- افتعال حوادث وأعمال شغب وتآمر ضد حكومات بعض الدول، قامت بها الصهيونية العالمية من أجل أن تأزم العلاقة بين حكومات هذه الدول واليهود فيها لدفعهم للهجرة الى فلسطين.

---

[1] - إعداد قسم الدرسات منشورات فلسطين المحتلة-التمييز العنصري-أبرز معالم الصهيونية، بيروت، ط2، 1982، ص14-19

[2]- سهيل حسين الفتلاوي، مصر سابق، ص60-61

4- الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الأولى والثانية مما دفع إعداد كبيرة من اليهود الملتحقين في الجيوش المشتركة في الحرب، الهجرة الى فلسطين والاختفاء في مزارعها هرباً من الجندية.

5- أن الوجبات الأولى من المهاجرين اليهود استطاعت بالتعاون مع الصهيونية أن تهيئ ملاذاً لليهود الآخرين مما شجع اليهود على الهجرة الى فلسطين.

6- التهويل الذي ادعته اليهودية العالمية عن مذابح هتلر لليهود وحرقهم في أفران الغاز (وقد ثبت كذب هذا الافتراء في الحرب العالمية الثانية لاستدرار عطف العالم على الحركة الصهيونية والاعتراف بها كحركة إنسانية تعمل على إنقاذ اليهود من جحيم النازية[1].

وقد أسفرت هذه الوسائل على هجرة أعداد كبيرة من اليهود منذ عام 1882 إلى عام 1916 على شكل موجات هجرة، استطاعت أن تغير نسبة التركيب السكاني في فلسطين المحتلة[2] أي ساسة اليهود أضفوا صفة شرعية لاحتلال فلسطين وحل مشكلة اليهود، وعدم المبالاة بحقوق الشعب الفلسطيني.

1- موجه الهجرة الأولى الى فلسطين (1882-1903):

تم اغتيال القيصر الروسي الكساندر الثاني في عام 1881، وتبيّن أن بعض الشباب اليهود اشتركوا في ذلك، ونظراً لشعبية القيصر القتيل كان رد فعل الشعب الروسي، استباحة ممتلكات اليهود وإحراق المزارع والمنازل فهرب الكثير من يهود روسيا إلى فلسطين وأوروبا الغربية وأمريكا، ونشأت (جمعيات أحباء صهيون) بين يهود أوروبا الشرقية، وجذبت هذه الجمعيات عدد كبير من الشباب والفتيات لعضويتها في روسيا ورومانيا وبريطانيا. ومن خلال جهود جمعيات أحباء صهيون، تم تشكيل جمعيات طلابية في روسيا عرفت بـ(بيلو Bilu) وكانت أول تطبيق عملي لأفكار الصهيونية العالمية وكان ذلك في عام 1882. ووصلت أول مجموعة منها إلى فلسطين في 5 آب عام 1882 ليؤسسوا مستعمرة ريشون ليتسيون بين القدس ويافا، وسرعان ما انتشرت فكرة البيلو في أوساط يهود أوروبا الشرقية، وأجرت اتصالات مع المسؤولين في بريطانيا ومنهم الوراس اوليفانت سبق أن تزعم الدعوة إلى مشروع الاستعمار اليهودي في شرقي الأردن التي تضم (حوران والجولان)، واتسعت نشاطات الجمعية وافتتحت مكتبين جديدين في (أوديسة والأستانة)، ووجهت نداء (مانفستو البيلو) في مناشدة السلطان العثماني، وبعثت بمندوبين الى اسطنبول لشراء الأراضي الفلسطينية لكن المحاولة لم تنجح، وتمكنت حركة البيلو عام 1882 من ايصال بعض المهاجرين الى الأراضي الفلسطينية، وحوّل هؤلاء عدة قرى عربية صغيرة ثانية الى مستعمرات صهيونية مثل عيون قارة أي (الأول في صهيون) وملبس (أي باب الأمل) وزمارين، وشكلت هذه المستعمرات الأولى المراكز الرئيسة للاستعمار الزراعي الصهيوني[3].

---

[1] - سهيل حسين الفتلاوي، مصر سابق، ص132-133

[2] - حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1897 -1909، بيروت، ط2، 1980، ص48

[3] - عبد الحميد عارفعلي العبيدي، دراسات في الصراع العربي الصهيوني، ط1، 1989، ص15

تراوحت أعداد هذه الموجة بين العشرين والثلاثين ألف مهاجر، غلبت عليهم الانتماء إلى الطبقات الوسطى في روسيا وبولندا ورمانيا وغيرت هذه الموجة من طبيعة المجتمع اليهودي في فلسطين، فبعد أن كان اليهود أقلية دينية يعتمدون على المساعدات الخارجية، تأثّر المهاجرون الجدد بالآمال القومية وحاولوا الاعتماد على أنفسهم في بدء حياة جديدة تقوم على الزراعة[1]، وبين عامين 1884-1882 أنشئت تسع مستوطنات، وضعت اساس الاستيطان الحديث في فلسطين[2].

واجه العمل الاستيطاني في بدايته مشاكل عديدة منها معارضة السكان العرب، والقيود التي وضعتها السلطات التركية، وكانوا يجهلون أساليب الزراعة بالإضافة الى عدم تعودهم على الطقس وصعوبة المعيشة في مناطق انتشرت فيها أمراض الملاريا وقلّة مياه الشرب، وغيرها من العوامل التي جعلتهم في حالة من اليأس الشديد، وكان لابد من الحصول على المساعدات الخارجية، وتمكّن مندوبو أحباء صهيون من إقناع البارون (ادموند دي روتشيلده -1845 1934) الذي اهتم بعمليات الاستيطان اليهودي، كي يتقدم للمساعدة، ويفضل الأموال التي قدمها البارون استطاعت المستوطنات الأولى أن تستمر، وتم الحصول على مساحات واسعة من الأراضي منها شراء (عاقر وقطرة)، وأسست مستوطنات أخرى بين عامي 1884-1890، كما أرسل البارون خبراء من فرنسا لإرشاد المستوطنين في زراعة الكروم وزراعة الحبوب وبناء معامل الخمور وقدّم معونات مالية للتعليم والصحة، ومنح المستوطنين راتباً شهرياً ثابتاً، ومع ذلك فاليهودي ليس ناجحاً في العمل الزراعي، والإدارة الفرنسية التي وضعها البارون لم تجد فائدة للمستوطنين الذين استكانوا إلى الفقر والكسل، وفكر كثير منهم بالعودة، ونتيجة لذلك فقد عهد البارون بإدارة مشاريعه إلى منظمه Assoclation jewish colonization باختصار (ICA) وهي منظمة للاستيطان الزراعي أسسها البارون دي هيرش (النمساوي الأصل)، وعمل المؤسسة لم يقتصر على فلسطين، اذ كانت تساعد اليهود على الهجرة والاستيطان في دول الأرجنتين وكندا والولايات المتحدة والبرازيل[3].

2- موجة الهجرة الثانية إلى فلسطين (1904-1914):

نما الوعي القومي اليهودي بصورة خاصة، أثر نشر هرتزل كتابه الثاني الدولة اليهودية عام 1899، حيث انعقدت خمسة مؤتمرات للمنظمة الصهيونية العالمية، تمكّنوا من خلالها توفير الأموال اللازمة لاستيطان عشرة آلاف يهودي في فلسطين، وشراء الأراضي اللازمة لهؤلاء المهاجرين بواسطة الشركة البريطانية الفلسطينية ثم أصبح البنك البريطاني الفلسطيني، وأسست شركة عقارية لشراء الأراضي تعرف باسم الشركة اليهودية للاستعمار، وتمكنت المنظمة الصهيونية من استمالة الوالي التركي في متصرفية القدس (أحمد رشيد بك)، فأيّد الهجرة اليهودية علانية، على الرغم من القوانين التي أصدرها الباب العالي العثماني، بحظر الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفي عهد أحمد رشيد بك، ارتفع عدد اليهود في فلسطين بشكل كبير، اذ وصل عددهم 23 ألف عام 1882، وكان عددهم 53 الف بين عامي -1882

[1] - سهيل حسين الفتلاوي، مصر سابق، ص 133-134

[2] - خيرية قاسمية، مصدر سابق، ص18

[3] - خيرية قاسمية، مصدر سابق، ص72

1903، وبلغ عددهم 85 ألفاً عام 1904-1913، منهم أربعة وعشرون يهودي روسي، من أصل مليون يهودي غادروا روسيا نتيجة الاضطهادات وأبرز قادة اليهود دافيد بن غورين واسحق بن زفي، وإن المهاجرين أدخلوا أفكار العمل الجسدي ودين العمل على الزراعة، وأقاموا مشاريع الاستعمار الزراعي الكيبوتز والموشاق. وبين عامين 1899 -1908 أسست ثمانية مستوطنات جديدة، وإن الاستيطان الزراعي لم ينجح في فلسطين[1].

أخذت صعوبات الاستيطان في فلسطين (ذات إقليم نصف جاف) تظهر بوضوح أمام رؤساء مكاتب الصهيونية وهم في الأصل من بورجوازية صغيرة لا يملكون الخبرة بالأعمال الفلاحية، وبسبب هذه المتاعب التي واجهتهم، وجدوا من الحكمة أن يشجعوا هجرة الشبان اليهود الأوربيين بموازاة دفع اليهود الفلسطينيين المحليين والسيفراديين إلى الأعمال الإنتاجية وأن يشجعوا هجرة اليهود الفارسيين واليمنيين، وبهذا يتمكنون من توسيع سوق العمل وطرد الشغيلة العرب الفلسطينيين، وتكوين جيش احتياطي من المهاجرين الوافدين من البلدان النامية[2]. وقدموا التسهيلات ليهود اليمن من أجل الهجرة إلى فلسطين فهاجر ألف وخمسمائة يهودي يمني إلى فلسطين، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى، وصل عدد اليهود في فلسطين نحو خمسة وثمانون ألف يهودي[3].

وإذا فشلت محاولات الحركة الصهيونية مع السلطان عبد الحميد الثاني، فقد واصلت مساعيها مع جمعية الاتحاد والترقي التي تولت الحكم بعد ثورة تموز 1908، وتمكن اليهود من تحقيق النجاح مع الحكومة بفضل عناصر في الحكم من اليهود الدونمة، ورحبت الأوساط الصهيونية بالثورة، وأسست مكتباً لها في الأستانة باسم (مكتب فلسطين)، وفي مجلس المبعوثان العثماني طالب أحد مبعوثي القدس بفعالية قرارات منع الهجرة اليهودية، فأعيد العمل بالقيود التي فرضها السلطان عبد الحميد في أيلول عام 1909، وعندما تولت حكومة الحرية والائتلاف الحكم في صيف عام 1912، تساهلت مع الحركة الصهيونية بسبب حاجتها الماسة إلى الأموال لتدعيم خزينتها بعد حروبها مع البلقان، وعندما عاد الاتحاديون إلى الحكم في بداية عام 1913 وازدادت وطأة الدين والحاجة إلى الأموال، ألغى الاتحاديون تقييد الهجرة اليهودية في خريف عام 1913، وفي آذار عام 1916 ألغيت القيود المفروضة على تملك اليهود للأراضي في فلسطين، وبذلك ألغيت كل القيود بوجه الهجرة اليهودية الى فلسطين[4].

نستخلص من ذلك، أن المؤرخون يعرفون المسألة اليهودية، بأنها حالة الاضطراب والفقر اللذان عانى منهما اليهود في شرق أوروبا بين نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وبداية ظهور الرأسمالية في المجتمع الروسي، وزيادة عدد اليهود من مليون إلى خمسة ملايين يمارسون المهن اليهودية التقليدية كالتجارة والسمسرة والربا، وحتم الموقف على اليهود توزيع أنفسهم على الطبقة العاملة الجديدة في المجتمع أو الهجرة اليهودية إلى الدول العربية. وفي تلك الأثناء تحولت الحركة الصهيونيه كأداة يهودية منفذة لدى الدول الاستعمارية، بهدف تشجيع الهجرة اليهودية

---

[1] – خيرية قاسمية، مصر سابق، ص19

[2] – مجموعة من الكتاب اليهود –إسرائيل الثانية –المشكلة السفاردية، ترجمة فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، (د.ت)، ص102

[3] – أمين عبد الله، مصدر سابق، ص153

[4] – عبد العزيز محمد عوض، مصدر سابق، ص30-ص31

من دول أوروبا الى فلسطين، وتنفيذاً لاتفاقيات سرية مبرمة مع الدول الاستعمارية، وربط بعض المفكرين الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحماية مصالح الدول الاستعمارية، بهدف الحصول على الدعم الدولي للهجرة. وعملت الصهيونية العالمية لاستخدام وسائل متعددة، بهدف زيادة نسبة المهاجرين اليهود، وازدادت نسبة المهاجرين اليهود بين عام 1919-1992 بشكل موجات استطاعت أن تغيّر نسبة تركيب السكان في فلسطين لصالح اليهود.

الفصل الثاني: المضامين الدينية والسياسية للصراع العربي – الصهيوني

المبحث الأول: المضامين الدينية للصراع العربي – الصهيوني:

انطلقت الحركة الصهيونية في مساعيها لإيجاد وطن قومي لليهود من منطلقات نورانية تضمنت الوعد الإلهي لشعب اليهود المختار ومنحهم أرض فلسطين بعهد أبدي، الأمر الذي دفع الحركة الصهيونية للإرتكاز على هذا المنطلق الديني لإحياء العودة لفلسطين بين اليهود، والتأثير على الرأي العام الأوروبي بوصفه حقاً دينياً، والتي تؤكد العلاقة الوثيقة بين الديانة اليهودية والمشروع الصهيوني على أرض فلسطين[1]. وفيما يخص الجانب العربي فإن التوافق مع الرؤى الاسلامية حول أرض الإسراء، ومهد الرسالات التي يؤمن بأنه وريثها، لما يحمله من إرث تاريخي وديني فيها، وحملت الدفاع عنها في صميم العقيدة الإسلامية. وتعد هذه المنطلقات الدينية جوهر الصراع العربي – الصهيوني، الذي أخذ بعداً دينياً أكثر منه سياسياً، وجعله أكثر عمقاً وتعقيداً لاستحالة تلاقي تلك المعتقدات لكلا الطرفين، وعليه فإن أي محاولة لفهم هذا الصراع وتحليله يجب أن توضح المضامين الدينية لهذا الصراع ولتوضيح ذلك تم تقسيم المبحث للمطالب الأتية:

المطلب الأول: الخلفية الدينية للعداء المسيحي – اليهودي

كانت الكنيسة الكاثوليكية قبل القرن السادس عشر تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى الأمة اليهودية "قد انتهى، وأن الرب طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب اليهود للمسيح. وهكذا كانت الكنيسة تعتبر اليهود مارقين وقتلة، وأن النبوءات التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأنها حدثت بالفعل على يد الامبراطور الفارسي قورش. وكان هذا الاعتقاد رؤية القديس أوغسطين الذي اعتبر أن القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين[2].

استمر الموقف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية خلال ما يقرب من ألفي عام- اتجاه اليهود يقوم على ثلاث نظريات:

- الأولى: أن اليهود يقتلهم يسوع المسيح (عيسى عليه السلام) فهم الشعب (قاتل الإله)
- الثانية: أن الشعب المختار من الرب منذ ذلك الوقت في الكنيسة.
- الثالثة: العهد القديم هو تجسيد رمزي مسبق للعهد الجديد. في تلك الفترة لم تكن فلسطين تذكر، إلا أنها أرض المسيح المقدسة، وظلت كذلك طوال مئات السنين التالية، إلى درجة أن المواطن الإنجليزي كان يقول "حينما أموت ستجد فلسطين ساكنة في قلبي"، استمرت فلسطين، أرض مقدسة، تحتل مكاناً بارزاً في خيال أوروبا المسيحية وطموحاتها؛ سواء لأسباب اقتصادية أم سياسية أم دينية[3]. وكانت الكنيسة الكاثوليكية ترى أنها الكنيسة الوحيدة

---

[1] -يحي علي الدجني، تحدي الحركة الصهيونية للوى العربية والإسلامية، دمشق، دار النمير، ص33

[2] – رضا هلال المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط1، القاهرة، 2000، مكتبة الشروق، ص31

[3] – يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الامريكية اتجاه الصراع العربي–الصهيوني، بيروت، 1990، مركز دراسات الوحدة العربية، ص15

التي تمتد جذورها إلى المسيحية الأولى، وبذلك فهي تجسد المسيحية بمبادئها وتراثها وتقاليدها وتعاليمها وطقوسها وصلواتها، وهي لا تنسى دور اليهود في محاربة المسيحية منذ أيامها الأولى. لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وتبعاً لهذا المنطق الكاثوليكي، لم يعد هناك مجال للتمسك بحلم مجيء مسيح آت يخلص اليهود ويقيم مملكة الله (مملكة يهوه على الأرض)، فالمسيح الذي بشّرت بمجيئه النبوءات الواردة في أسفار العهد القديم قد جاء بالفعل، و(الخلاص) قد بات في متناول كل البشر بما علمهم به، وأن مسيرة التاريخ اكتملت بقيامها مملكة الله على الأرض، أما بالنسبة لليهود، وبسبب محاكم التفتيش في أوروبا في القرون الوسطى، فقد أصبحت المسيحية في الوعي الجمعي العام قرينة القتل الجماعي، والتصفيات العرقية المتكررة ومصادرة الأملاك، وحملات التهجير القسرية والجماعية[1]. أما العقيدة اليهودية فقد ناصبت العداء للمسيح منذ بداية دعوته فقد جاء بالتلمود بأنه مضلل وثني ملعون في جهنم"[2]. وقد جاء أيضاً (أن التلمود يوجب على كل يهودي أن يلعن في كل يوم النصارى ثلاث مرات، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفني سلوكهم وحكامهم ويوجب عليهم سلب ما استطاعوا من مقتنياتهم بأية طريقة كانت، وابذلوا كل جهدكم في سفك دمهم، وإذا شاهد يهودي مسيحياً على حافة هوة فليرمه بيده إلى أسفل؛ لأن ممالك النصارى هي أكثر نجاسة من جميع الممالك، وحرام على اليهود الخدمة عند الحاكم الوثني، وأما عند الحاكم النصراني فغير جائز أصلاً وجريمة لا تغتفر، وكنائس النصارى كبيوت الضالين ومعابد الأصنام يجب على اليهود خرابها، وأناجيل النصارى عين الضلال والنقص، ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله مدوناً فيها)[3].

وهكذا فإن أوروبا قبل القرن السادس عشر كانت تعتبر اليهودي، إذا كان مختاراً لأمر فإنها اللعنة، ولم تكن هناك ذرّة حب عاطفي للمجد القديم للجنس العبري، ولم تكن هناك أدنى بارقة أمل في إعادة لبعث اليهود روحياً أو قومياً، ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين، وكانت اليهودية تعني مجرد اسم الديانة، بل ديانة دنيا، حتى بدأت رياح التغيير تهب على الموقف المسيحي اتجاه اليهود مع بداية مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات المسيحية اليهودية، حيث برزت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في الكنيسة المسيحية.

كانت المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني عام 1517 مغايرة تماماً لمبادئ الكاثوليكية السابقة، ويعتبر مارتن لوثر (1483 - 1546) الراهب الألماني، والقسيس، وأستاذ اللاهوت، وهو مؤسس وزعيم حركة الإصلاح البروتستانتي مسؤولاً إلى حد بعيد عن ظهور المناخ الروحي والديني، الذي أوجد أرضاً خصبة لانتشار المسيحية اليهودية، فقد كتب كتابه عام 1523م بعنوان المسيح ولد يهودياً وقد طبع سبع مرات في العام نفسه، حيث، شرح فيه المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود، محتجاً بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد، وكان يلوم البابوية لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود من أعمالها وقال فيه "إن

---

[1] – محمد بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، ط1، الرياض، 2003، مكتبة فهد الوطنية، ص70-73.

[2] –زهدي الفاتح، فضح التلمود، ط1، بيروت، 1991، دار النفيس، ص66

[3] –إيليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، 1964، دار الاتحاد

اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماماً كالمرأة الكنعانية"[1].

وكان من أهم مبادئها:

- رفض الاتجار بـ (صكوك الغفران)
- الاعتماد على الكتاب المقدس وترجمته إلى الألمانية.
- رفض الوساطة بين الخالق والمخلوق
- وكان أخطر ما حملته مطالب لوثر دعوته للعودة إلى كتاب التوراة العمرانية القديمة وإعادة قراءته بطريقة جديدة بالإضافة إلى اعتماد الطقوس العربية في الصلاة عوضاً عن الطقوس الكاثوليكية المعقدة والربط بين اليهود المعاصرين والإسرائيليين القدماء، ويعتبر مارتن لوثر أنه عمل على تهويد المسيحية عندما أصرّ على اعتماد التوراة العبرانية بدلاً عن كتاب العهد الجديد، وقد قام عدد من رجال الدين البروتستانت مثل القس الإنجليزي جون نلسون داربي بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود، ومنحهم مكانة متميزة حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية هي حاملة لواء الصهيونية المسيحية أينما حلّت، وإن دخول اليهود في الدين المسيحي لن يتم إلا عبر عودتهم لأرض فلسطين وعودة المسيح الذي سيقودهم ويعلنون دخولهم في الدين المسيحي حتى يعم السلام العالم ألف عام[2]، وهكذا تم تحريف المسيحية حيث وصفت الحركة البروتستانتية بأنها بعث "عبري أو يهودي"، حيث تم إعادة اكتشاف العهد القديم الذي كان عنصراً أساسياً في هذه الحركة، حيث شكل هذا العهد القديم الجزء الأكبر من الإنجيل وأصبح يعرف بالتوراة اليهودية أو العبرية الذي يتضمن مجموعة من الأساطير والخرافات والقصص التاريخية والعبارات النبوية، تلك الخاصة بسفر الرؤيا. وساد الاعتقاد بأن قدوم المسيح المنتظر والعهد الألفي السعيد لن يتم إلا إذا تجمع اليهود في فلسطين. ويقتضي تحقق العصر الألفي وبداية الألفية السعيدة التي يحكم فيها المسيح استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح، وعملية الاسترجاع هذه هي مركز وعصب العقيدة الألفية، ويرى الاسترجاعيون أن عودة اليهود إلى فلسطين هي بشرى للألف عام السعيدة، وأن الفردوس الأرضي الألفي لن يتحقق إلا بهذه العودة. كما يرون أن اليهود هم شعب الله المختار القديم أو الأول؛ باعتبار أن المسيحيين هم شعب الله المختار الجديد أو الثاني، ولذا فإن أرض فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الله بها ووعود الرب لا تسقط حتى وإن خرج الشعب القديم عن الطريق ورفض المسيح وصلبه وبناء عليه فإن كل من يقف في وجه هذه العودة يعتبر من أعداء الإله ويقف ضد الخلاص المسيحي، فأعداء اليهود هم أعداء الإله[3]. وهذا ما قوى النزعة اليهودية لحركة النهضة البروتستانتية، وبسبب هذا

---

[1] – رضا هلال، مصدر سابق، ص31-32

[2] –فدوى بنعيش، الكنيسة البروستانتية وعلاقتها باليهودية الصهيونية، WWW.ALJOYERA.NWT

[3] – نهاد الشيخ خليل، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني في رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية في غزة، فلسطين، 2003، ص63.

الإرث المشترك الذي جمع بين عودة اليهود لفلسطين وتحولهم للمسيحية بقدوم المسيح، أشار بن غوريون أن الكتاب المقدس المسيحي "صك اليهود" المقدس لملكية فلسطين الذي يرجع إلى 3500 سنة[1].

وفي هذه الفترة التي أصبح فيها العهد القديم مصدر المعلومات التاريخية العامة، بدأت عملية التزوير التاريخي، وقد وجد التزوير الصهيوني الحالي للتاريخ الذي يدعي (حقاً تاريخياً) في فلسطين مادته المسيحية في التمسك بحرفية الكتاب المقدس، وأخذ التاريخ الشامل لفلسطين يقلص بشكل تدريجي إلى أن اقتصر على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي وحده، وأصبح الأوروبيون مع مرور الوقت مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن هناك في فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية والخرافات الواردة في العهد القديم، والتي لم تعد تؤخذ على حقيقتها، بل اعتبرت تاريخياً صحيحاً، فصارت لا هجرة سوى هجرة إبراهيم ولا وجود لمملكة غير مملكة داود التي سبقتها وتلتها ممالك كثيرة، ولم يعد الناس يذكرون من الثورات إلا ثورة المكابيين (167 ق.م). وكان يبدو وكأن لا وجود للشعوب الكثيرة التي استوطنت وعاشت في فلسطين، مع أن معظمها عاش فترات أطول من اليهود الشريف[2] وعندما ترجم الكتاب المقدس للغات القومية أصبحت أرض فلسطين أرض يهودية في الفكر الغربي، وغدت قصص العهد القديم وشخصياته مألوفة، وأصبح كثير من البروتستانتيين يرددونها عن ظهر قلب، وأصبح الفلسطينيين هم اليهود الغرباء في أوروبا، وأصبح ذلك من طقوس العبادات والصلوات في الكنيسة. لقد كان هذا التلاعب بالتاريخ بدعة من بدع فترة الإصلاح الديني [3]. وهكذا تجاورت اليهودية حدود العقيدة الدينية، وتحول الكتاب المقدس – العهد القديم – من كتاب دين إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدسة للشعب اليهودي المختار، وتعتبر المرحلة البيوريتارية العصر الذهبي لهذه المعتقدات. وبظهور الطبعة الأولى من العهد القديم الذي بدوره فتح الباب على مصارعيه للتأويل الأحكام والفلسفة الدينية بعد أن كانتا محتكرتين على الكنيسة عموماً والبابوية خصوصاً ومن أبرز مظاهر هذا التطرف المسيحي الصهيوني الشخصي:

1- استعمال العبرية لغة للصلاة في الكنائس أثناء تلاوة الكتاب المقدس.

2- تعميد الأطفال بالكنائس بأسماء عبرية بعد أن كان يتم تعميدهم بأسماء القديسين المسيحيين.

3- نقل يوم الاحتفال الديني ببعث المسيح إلى يوم السبت.

سعت الصهيونية المسيحية إلى تشكيل جمعيات في شتى بقاع العالم، فدست يهوداً متنصرين على الكهنوت الكاثوليكي بدأت تضغط على الفاتيكان للاعتراف بإسرائيل، بما يمثله هذا الاعتراف من قوة أدبية ضخمة لإسرائيل الصهيونية في أنحاء العالم كافة. وقد كان نشاط الجمعيات المسيحية يهدف إلى:

الهدف الأول: التقليل من نظام المركزية في الفاتيكان، مما أدى إلى إضعاف الموقف الواحد للكنيسة.

الهدف الثاني: إثارة الرأي العام ضد الفاتيكان لموقفها من اضطهاد الحركة النازية لليهود.

---

[1] –روجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جورها في التاريخ الغربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1985، ص24

[2] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص25-26

[3] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص25

الهدف الثالث: الزج برجالات الكنيسة الكاثوليكية في القضية الصهيونية، والفوز بتأييدهم أمام شعوبهم.

الهدف الرابع: تحريف تفسير الكتاب المقدس تحريفاً يؤدي إلى إعادة كتابة دور اليهود في اضطهاد المسيحيين الأوائل، وعلى الأخص فيما يتعلق بصلب المسيح[1].

ولم تقف أدبيات الصهيونية المسيحية عند حدود الكنيسة، من أجل تأصيل هذه الأدبيات وتعميمها في جميع شرائح المجتمع، كان لا بد من بناء هيكل أدبي فوق قواعدها الفكرية، إن المطالع لكتابات فلاسفة القرنين السابع والثامن عشر البارزين كجون لوك واسحق نيوتن وجوزيف الكيميائي وجان جاك روسو وبيليز باسكال يلمس مناصرة أوروبية لقضية عودة اليهود إلى فلسطين، حيث كتب جون لوك واضع النظرية السياسية الليبرالية "أن الله قادر على جمع اليهود في كيان واحد وجعلهم في وضع مزدهر في وطنهم"، كما توصل نيوتن في كتابه "ملاحظات حول نبوءات دانيال ورؤيا القديس جون" "أن اليهود سيعودون إلى وطنهم لا أدري كيف سيتم ذلك، ولنترك الزمن يفسره"[2]. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك حين حاول أن يضع جدولاً زمنياً للأحداث التي تقضي إلى العودة، وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل إعادة اليهود المشتتين. أما جوزيف الكيميائي الذي اكتشف الأوكسجين، فكان شديد الإيمان برسالة الشعب اليهودي المسيحية وهو قس بروتستانتي موحد، وعلى قناعة بأن اليهودية والمسيحية تكمل كل منهما الأخرى. وتظهر دولة إسرائيل المستقبلية في كتابات جان جاك روسو، وهو من أسرة بروتستانتية، فقد جاء في كتابه عام 1762م "لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود أبداً حتى تكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم"[3]. أما بليز باسكال فيلسوف الصوفية الكاثوليكية الفرنسية فقد عبّر عن احترامه الشديد لإنجازات اليهود الأمة الأولى وتمسكهم الصادق بدينهم، وهو يرى أن إسرائيل هي البشير الرمزي للمسيح المنتظر([4]).

وظهرت هذه الأفكار جلية في أدب وشعر اللورد بايرن، حيث تناولت قصائده في مجموعته الشعرية "الألحان العبرية" عام 1815م الأفكار التوراتية والفلسطينيين. وركز على أن هناك رابطة أبدية بين فلسطين واليهود. كما عزف وليم زورش على وتر مشابه لبايرون في قصيدته أغنية لليهودي المتجول "وأسرة يهودية". أما روبرت براونشج الكاتب الإنجليزي فقد تبنى في قصيدته "يوم الصلب المقدس" عام 1855م قضية عودة إلى فلسطين وعبّر عن تعاطفه وتأييده لعودة اليهود إلى القدس[5]. وكتب جورج إليوت عام 1874م رواية جعلت من البطل صهيونية حقيقية يكتشف بنفسه قوميته وإرثه اليهودي، حيث تمثل الرواية ذروة الصهيونية غير اليهودية في مجال الأدب تتويجاً للمبادئ التي ابتدأت بالفكرة البروتستانتية عن البعث اليهودي التي كانت تتطلب أن يعتنق اليهود النصرانية كخطوة أولى نحو فلسطين. ثم سمح بأن يكون التحول بعد العودة، وكانت رواية إليوت هي المقدمة الأدبية "لوعد بلفور الذي

---

[1] – محمد بن آل عمر، مصدر سابق، ص77-78

[2] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص55

[3] –روجينا الشريف، مصدر سابق، ص55

[4] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص65-66

[5] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص67

جعل إقامة دولة يهودية في فلسطين ضرورة تاريخية، والرؤية التي عبرت عنها شخصية اليهودي الصوفي فيها هي عودة اليهود إلى فلسطين واستعادة الأرض، كوطن للشعب اليهودي، وفي القرن التاسع عشر لم يعد التحول شرط ضروري، وأصبحت العودة تعني عودة الإرث العبري، وظهرت فكرة أن الخطيئة العظمى كانت ارتداد اليهود عن اليهودية، وأصبح التعليم بالقيم اليهودية هو الطريق الوحيد للخلاص.

كل هذه الشخصيات البارزة التي اعتبرت نفسها أداة أرسلها الرب لتحقيق الوعد وإرجاع الأرض المقدسة إلى بني إسرائيل، وهذا ما يعرف بالصهيونية غير اليهودية مما جعل الفكرة الصهيونية أرضاً خصبة وبيئة مناسبة واستعداداً شعبياً وسط مسيحيي أوروبا خصوصاً البروتستانت لقبولها ونموها وتطورها.

وهكذا برزت الجذور الاجتماعية للصهيونية غير اليهودية في المحيط الديني الذي كان سائداً في الدول البروتستانتية، وأصبحت جزءاً راسخاً من الثقافة الغربية. وتسربت الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة المسيحية وكانت تدور حول ثلاث أمور:

الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

الأمر الثاني: هو أن ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح وقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.

هذه الأمور الثلاثة ألفت في الماضي، وهي تؤلف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدين بالقومية، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية[1]، إن توظيف الدافع الديني لتحقيق مكاسب سياسية ذات بعد استراتيجي أسس القاعدة الثابتة للصهيونية المسيحية أولاً في بريطانيا وأوروبا وبعد ذلك في الولايات المتحدة[2].

المطلب الثاني: الخلفية الدينية للعداء الإسلامي – اليهودي

كان اليهود يعيشون في شمال الحجاز وخصوصاً حول المدينة (يثرب)، وقد بشّر أحبارهم بمجيء النبي محمد عليه الصلاة والسلام في كتبهم وتنبوءاتهم، فلما بعث النبي من الجزيرة العربية كذبوه وأظهروا له العداوة منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا، لأنهم رأوا في هذا الدين الجديد منافسة خطيرة سيقضي على نفوذهم وينتزع الزعامة الدينية التي كان يدعونها[3].

إن اليهود كانوا يأملون في أن يكون النبي الجديد إسرائيلياً، فلما رأوه عربياً كفروا به حسداً وتعصباً للعنصرية اليهودية، لأن العقلية اليهودية تأبى أن تعترف بنبي من غير بني إسرائيل، لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن يحصروا الوحي

---

[1] – محمد السماك: الصهيونية المسيحية، ط4، دار النفائس، 2004، ص34

[2] – محمد السماك، مصدر سابق، ص40

[3] – عبد الله التل، الأفعى اليهودية في محافل الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي، 1971، ص94

والفضل والنبوة فيهم وحدهم ولا يقبلون من الله ولا من غيره إلا ما يوافق أهواءهم ومصالحهم، إن الإسلام حول اليهود من موقع القوة والنفوذ السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى موقع الضعف والهوان وأبطل ادعاء التهم بالتفوق العلمي والاجتماعي، وقضى على اليهودية المحرفة على أحلام بني إسرائيل، فامتلأت قلوب اليهود قديماً وحديثاً بالغيظ والأحقاد على هذا الدين وأتباعه، فقد اهتم هذا الدين بمحاربة الربا والاحتكار والغش وجميع أنواع وأشكال استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فلم ينسجم ذلك مع أطماعهم ومصالحهم، بل رأوه يتنافى مع تلك الأطماع ومع أهدافهم ومصالحهم الشخصية، فاليهود يعيشون على الغش والربا والدعارة والاحتكار والفساد بكل أشكاله، والإسلام يحرم كل ذلك، وكانوا يحتكرون صياغة الذهب والفضة وصناعة الأسلحة ويتاجرون بالربا ولا يتورعون عن الاستغلال والاحتكار، ومعنى هذا أن اليهود يفقدون بوجود الإسلام جميع مصادر الثراء والأرباح، ويفقدون أيضاً أطماعهم ومصالحهم ومنافعهم المادية الخاصة. لقد رأى اليهود كيف أن الإسلام يزداد قوة واتساعاً ويقوى يوماً بعد يوم، ورأوا أن نفوذهم كمصدر وحيد للمعارف والعلوم والتفوق العلمي بدأ ينحسر أمام حركة الإسلام ومعارفه وأحكامه ومفاهيمه، ورأوا أيضاً أن هذا الدين يرفض إعطاء الامتيازات على أساس عرقي أو عنصري وهو يساوي بين الناس جميعاً يساوي بين اليهود وغيرهم، ويبطل مزاعمهم وادعاءاتهم بالتفوق الاجتماعي وبأنهم شعب الله المختار[1].

كان أول مواجهة بين المسلمين واليهود بغزوة بني الفينقاع والتي كانت نتيجتها جلاء اليهود عن المدينة وتلاها غزوتي بني النضير وبني قريظة وجميعها كانت تعكس مدى حقد اليهود على الإسلام والمسلمين وتواطؤهم للقضاء عليه، وكان آخرها غزوة خيبر والتي تم فيها استسلام اليهود الذين طلبوا من الرسول عليه السلام بقاء جزء منهم لتصريف شؤونهم، ومن الجدير بالذكر أن امرأة يهودية قدمت شاة مسمومة للرسول والذي ظل يشكو منها حتى مات عليه أفضل الصلاة والتسليم. وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب تم إخلاء بقايا اليهود من خيبر ولهذا تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود[2]. وبذلك تكون معركة خيبر هي المعركة الفاصلة والأخيرة بين المسلمين واليهود منذ العهد النبوي حتى نهاية الخلافة العثمانية وفي العصر الحديث وبداية المشروع الصهيوني.

وهكذا تعاظم الحقد على الإسلام والعروبة معاً، ولأن اليهودية لم تتصور أن تكون النبوة في غير ملتها، ولا السيادة في غير شعبها. وقد توارثت الجماعات اليهودية جيلاً بعد جيل الكراهية والحقد على الإسلام والعروبة ولا تزال تحقد عليها حتى يومنا هذا. فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن نفوسهم مصدرها الله المقدسة، وأنهم الشعب الوحيد الجدير بالخلود، مما جعلهم يشعرون بالتفوق والاستعلاء على الشعوب الأخرى وينظرون إليهم نظرة احتقار وكراهية، ويتهمونهم باللاسامية والعنصرية، ومن هذه الخلفية الدينية بنت الحركة الصهيونية أيديولوجيتها ومارستها ضد العرب، ويعود ذلك إلى أن العرب يشكلون النقيض الرئيسي للمخطط الصهيوني في فلسطين، فالحق التاريخي والديني الذي يعتمد عليه اليهود في أحقيتهم بأرض فلسطين، تقابلها الحقوق التاريخية والدينية للعرب

[1] – قناة المنار، 2013، Archise.almanar.com.lb

[2] – عبد الله التل، مرجع سابق، ص 113-115

والفلسطينيين في فلسطين، لهذا قام اليهود بتشويه سمعة العرب بشتى الوسائل، من أجل خلق حقائق يهودية ودولية تخدم مصالحها. وهكذا نجد أن الصراع العربي – الصهيوني فرض نفسه على المفكرين الصهاينة، الذين كتبوا عن الشخصية العربية مستندين إلى المأثور الديني والتاريخي في الكتب اليهودية المقدسة. فقد كتب الصهيوني هوجينز برج عند زيارته لفلسطين عام 1891 (نحن نفكر بأن العرب كلهم من الحوش الهمج الذين يعيشون كالحيوانات ولا يفقهون ما يدور حولهم)[1] وقد ركز اليهود على تشويه صورة العربي وأظهر صورة اليهودي المتحضر الذي لا يقهر، المحاط بالعرب الجبناء والمتخلفين الذين يريدون رمي اليهودي بالبحر، وقد ظهر العربي في الفكر الصهيوني على أنه جبان وخبيث وماكر وقذر، ومتعطش للدماء وغادر ومتخلف وقد وصف الحاخام اليهودي عوفاديا يوسف العرب بأنهم "أفاعٍ سامة"[2]. وهذا الفكر خلق حلة من الكراهية والاحتقار والعنصرية في نفوس اليهود ضد العرب.

نشرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) اليهودية مقال جاء فيه (إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة مهمة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العربي طوال ثلاثين عاماً. ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن تلك المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا لك في استمرار منع استيقاظ الروح الدينية بأي شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف لإخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا [3].

أما المسلمين فهم ينظرون إلى اليهود بأنهم ملعونين بسبب تطاولهم على الذات الإلهية خطتها أيدي خاماتهم في كتبهم المحرفة، وأنهم قتلة الأنبياء، وأن صفاتهم وأخلاقهم الذميمة والتي هي جزء من عقيدتهم من أكل الربا وسفك الدماء، والكذب والخيانة ونقض العهود، وأخيراً عدائهم وكفرهم بالرسول عليه السلام ومحاولتهم القضاء عليه وعلى دعوتهم، كل هذه الصفات جعلت العداء بين المسلمين واليهود على مدى تاريخ الدعوة الاسلامية يتجذر، وقد ذكر صفات اليهود وعدائهم للمسلمين وللأنبياء بالقرآن الكريم في مواقع كثيرة من أهمها سورة البقرة وهي أطول سورة بالقرآن.

المطلب الثالث: الأساطير الدينية المؤسسة للمشروع الصهيوني

لقد أدرك الصهاينة دور العقيدة في حياة الشعوب، فجعلوا الدين ركيزة تنطلق منها السياسة لتحقيق مخططهم الرامي إلى تجميع اليهود من شتى أصقاع الأرض ليقيموا دولتهم المزعومة فقاموا بتحريف نصوص منتقاة من التوراة المحرفة للتتوائم مع أهدافهم السياسية وجعلوها أساطير تاريخية يحرم انتقادها أو دحضها واستطاعوا إقناع العالم الغربي بها، ليقيموا دولتهم على أرض فلسطين. جاء في سفر المزامير "على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون، على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا لأنه هناك من سألونا فرحاً قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون،

[1] –أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، دار الحمرا للنشر والطباعة، 2002، ص68

[2] –مجلة ضد التمييز 2005

[3] – بديعوت أحرنوت العدد تاريخ 1987/11/3

كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة. إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك وإن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي (سفر المزامير، 5: 37-7) وهذا يؤكد البعد الديني لقيام الدولة الصهيونية، التي اكتسبت مكانتها الدينية من قدسية جبل صهيون ومدينة القدس في التراث اليهودي[1].

إن كبار السياسيين اليوم، الذين يتبجحون لديمقراطية إسرائيل وبعلمانيتها، هم الذين يتبجحون في الوقت نفسه بالجذر الديني والمستقبل الديني فقد قال بن غوريون في إثر قيام إسرائيل: "إن أورشليم ليست فقط عاصمة إسرائيل اليهودية العالمية، إنها تتوق لتصبح المركز الروحي للعالم كما صورها الأنبياء". وكان موشي دايان أكثر وضوحاً عندما خاطب الجمهور الإسرائيلي بعد حرب 1967 م، حين قال: "ما دام عندكم كتاب التوراة، وما دمتم شعب التوراة فيجب أن تكون لكم أرض التوراة، قد لا يكون هذا برنامج سياسي، لكنه أكثر أهمية لأنه برنامج يحقق لشعبنا نبوءة الأنبياء إن الحركة الصهيونية الحديثة ما كان ممكناً أن يكون لها دور أو تقوم لها قائمة، لولا الجذر الديني الذي اعتمدته جسراً أوحد لا بديل عنه بين الشتات والدولة، فهذا الجسر هو صلة الوصل بين اليهود أينما كانوا، وبين الهدف الرئيسي للحركة الصهيونية، وهو تجميع اليهود وإقامة دولة خاصة بهم على أرض فلسطين. إن الانغماس الواضح بكل ما هو ديني صهيوني، لا يؤكد أهمية الجذر الديني للحركة الصهيونية والمجتمع الإسرائيلي فحسب، وإنما يؤكد أيضاً أهمية استمرار هذا الجذر، وأنه الجذر الرئيسي لقيام الدولة الصهيونية[2]. والحقيقة أن المزاعم التي يستند إليها اليهود في تبرير اغتصابهم لأرض فلسطين، تقوم على الأوهام والخرافات والأساطير ذات الطابع الديني التي استطاع الصهاينة توظيفها لخدمة أهدافهم السياسية وإقامة دولتهم المزعومة، وكسب تعاطف العالم الغربي المسيحي في اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، لتحقيق آمال الصهاينة السياسية والاستعمارية وأحلامهم في فلسطين[3].

ستحاول الباحثة مقاربة أهم الأساطير والمراسم الدينية التي بنت عليها إسرائيل دولتها النقاط الآتية:

أولاً: أسطورة شعب الله المختار

مما لا شك فيه أن أسطورة شعب الله المختار ولدت في نفوس اليهود شعوراً بالتعالي ولوعة من الاعتداد بالنقد يصل إلى حد الغرور، وخلقت لديهم مفاهيم عنصرية غريبة جعلتهم يقسمون البشر إلى قسمين:

1- القسم الأول: هم اليهود - شعب الله المختار - الذين لولاهم لما خلقت السماوات والأرض، ولولاهم ما كان هناك حياة، لأن بركة الرب لا تحل إلا باليهود، لأنهم الشعب الذي اختاره الرب وفضله على العالمين.

2- القسم الثاني: هم الشعوب غير اليهودية أو ما يطلق عليهم اسم الأغيار أو الغوييم أو الأمميون "الذين يختلفون اختلافاً بيولوجياً عن اليهود، فهم قد خلقوا من نطفة حصان، ولكن على هيئة آدمية ليكونوا جديرين بخدمة شعب الله المختار ليلاً ونهاراً[4].

---

[1] - يحي علي يحي الدجني مرجع سابق، ص19

[2] - بيان نويهض الحوت، فلسطين الضية الشعب الحضارة، ط1، دار الاستقلال للدراسات والنشر 1991، ص277-278.

[3] - عصام موسى قنيبي الصراع على الديار المقدسة، ط1، دمش، دار الطليعة الجديدة 2003، ص20

[4] - روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، ط4، القاهرة، دار الشروق، 2002، ص54

إن كتاب العهد القديم يحتوي على كثير من النصوص التي توهم اليهود بأنهم شعب الله المختار، سنختار منها بعض الأمثلة للاستدلال والتوثيق، فقد جاء في سفر التثنية "لأنك شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (سفر التثنية: 24). ويصف الكتاب المقدس إسرائيل كشعب مختار، والأمة الوحيدة التي تحظى بعقد مع الله عبر الميثاق حيث جاء في سفر عاموس "إياكم وحدكم اخترت من بين جميع قبائل الأرض لهذا أعاقبكم على جميع آثامكم" (سفر عاموس: 2-3)، وجاء في سفر التثنية "لأنكم شعب مقدس للرب، فإياكم قد اختار الرب من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص، ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عدداً من سائر الشعوب فأنتم أقل الأمم عدداً، بل من محبته وحفاظاً على القسم الذي أقسم به لآبائكم" (سفر التثنية: 7). ويأتي السؤال لماذا خص يهوة "إبراهيم ونسله بهذا العهد دون سائر البشر؟ ولماذا خص يهوة بني إسرائيل شعباً مختاراً؟"[1]

ورد في سفر التكوين على لسان الرب لإبراهيم: "في ذلك اليوم قطع الرب ميثاقاً مع إبرام قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات"، فالأرض أعطيت لنسل إبراهيم عليه السلام ويزعم اليهود أنهم وحدهم هم نسل إبراهيم عليه السلام، وهذا تحريف بالنص التوراتي لأن نسل إبراهيم لا يقتصر على إسحاق ويعقوب عليهما السلام، وإنما جميع المنحدرين من نسله، فإسماعيل عليه السلام وذريته من نسل إبراهيم، حيث يعتبر الجد الأكبر لكثير من القبائل العربية التي يفوق عددها أعداد اليهود بملايين المرات، وهكذا فإن إلغاء القسم الأكبر من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام وذريته، إنما هو تحريف النصوص التوراتية والتلاعب بالعبارات لتتوافق مع الأهداف السياسية للدولة الصهيونية[2].

والحقيقة أن مسألة الاختيار الإلهي كانت مشروطة بمدى التزام نسل إبراهيم بأوامر الله تعالى ونواهيه، وأن الله تعالي اختار بني إسرائيل في الزمن الغابر ليحملوا على كاهلهم لواء الديانة الموسوية، وهكذا اعتبروا شعباً مختاراً بسبب الرسالة الموسوية التي حملوها لكي يقوموا بتبليغها للشعوب، وليس بسبب قوميتهم التي ينتمون إليها أو العرق الذي ينتسبون إليه، وعندما كفر بنو إسرائيل وأشركوا وضلوا الطريق بعد إيمانهم، وأصروا على الكفر، انتزع الله النبوة والاختيار من بين أيديهم وإلى الأبد، وقام باختيار الشعب العربي ليحمل عقيدة التوحيد ومسؤولية نشرها في جميع أنحاء العالم كديانة سماوية خاتمة. وهكذا فإن الاختيار والتفضيل يكون لحمل رسالة التوحيد ولفترة زمنية محددة ويكون مشروطاً بمدى الالتزام بأوامر الله[3].

أما ما يخص المزاعم الصهيونية بأن فلسطين مهد الديانة اليهودية فإن الدراسات التاريخية الحديثة تشير إلى أن فلسطين لم تكن موطن اليهود القدماء، وأن الرسالة السماوية لم تنزل على سيدنا موسى في فلسطين، وإنما على جبل غرب الجزيرة العربية، وهكذا فإن فلسطين ليست البيئة الطبيعية للتوراة. ومما لا شك فيه أن نبيا الله موسى وهارون

1

[2] -رجا عبد الحميد عرابي، سفرالتاريخ اليهودي، ط2، دمشق، دار الأوائل، 2006، ص455.

[3] - محمد يونس هاشم، مرجع سابق، ص67

عليهما السلام لم يولدا في فلسطين ولم يعيشا فيها، ولم تطأ أقدامهما قط أرضها ولو مرة واحدة طيلة سنوات حياتهما، وهكذا فإن فلسطين ليست مهد الديانة اليهودية وإنما صحراء سيناء المصرية، حيث أنزلت التوراة على موسى، ومع هذا فإن علماء الآثار إبان حرب عام 1967م، لم يتمكنوا من العثور حتى ولو على أثر واحد يدل على إقامة بني إسرائيل نحو أربعين عاماً بعد خروجهم من مصر، ومن ناحية أخرى إذا كان اليهود يعتبرون وجودهم في فلسطين أمراً مهماً جداً لأن طقوس العبادة والصلوات يجب أن تقام في هيكل أورشليم "القدس"، لأن الصلوات يجب أن تقام في بيئتها الأصلية، وإذا كان هذا صحيحاً، فإنه لا يحق للمسلم تأدية الصلوات إلا في مكة المكرمة أو المدينة المنوّرة كونها مهد الديانة الإسلامية وهذا غير صحيح على الإطلاق[1].

ثانياً: أسطورة الوعد الإلهي بـ "أرض الميعاد"

يزعم اليهود بأن الله وعدهم بتملك أرض كنعان "فلسطين العربية " وما حولها من أراضي تمتد بين نهري الفرات والنيل، لأن الرب كان قد وعدهم إياها ملكاً أبدياً لإبراهيم وتسلم من بعده وهذا الوعد يتنافى تماماً مع النصوص التوراتية في العهد القديم، فقد ورد في أكثر من سفر من أسفار الكتاب ما يدل على أن ملكية الأرض جميعها تعود للرب وحده، ولم يخص بها شعباً معيناً، ولم يهبها لشعب معين بعينه ومن هذه النصوص:

1- في سفر الخروج: الإصحاح التاسع: "إن الأرض للرب"

2- في سفر الأوابين: الإصحاح الخامس والعشرون: "والأرض لا تباع بتة لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي".

3- في المزمور الرابع والعشرين "للرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين"

وهكذا فإن النصوص التوراتية كلها تؤكد على أن الأرض جميعها لله تعالى، وأنها لا توعد ولا توهب ولا تباع ولا تشترى، وأن الله يعاقب كل من يغتصب الأرض من أصحابها[2]

أما فيما يتعلق بالوعد لنسل إبراهيم بتملك "أرض كنعان"، فإن النص التوراتي الذي أمر به الرب أن يترك سيدنا إبراهيم أهله وزوجته ويتوجه إلى أرض كنعان مع نفر قليل ممن آمن يدعونه حيث ظهر له الرب حين وصل إليها بعد رحلة طويلة وشاقة وقال له "فأتوا إلى أرض كنعان، واجتاز إبرام- "إبراهيم" إلى مكان شكيم (نابلس) إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال: "لنسلك أعطي هذه الأرض". ويتضح من النص السابق ما يلي:

1- اعتراف النص التوراتي أن الكنعانيين كانوا يقطنون أرض كنعان في الزمن الذي وصل فيه إبراهيم عليه السلام إليها، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض "فكيف تحولت أرض كنعان إلى أرض العبرانيين كما يزعم اليهود؟".

2- ورد في النص التوراتي أن الرب أعطى لنسل إبراهيم الأرض ولم يكن لإبراهيم عليه السلام نسل وقتئذٍ لأن زوجته سارة كانت عاقراً وكان نسله في عالم الغيب.

---

[1] - عصام موسى قنيبي، الصراع على الديار المقدسة، مصدر سابق، 2003، ص20

[2] - موسى محمد هاشم، مرجع سابق، ص51

أما بالنسبة لجغرافية الأرض الموعودة فإن كتبة التوراة لا يريدون مكاناً آمناً لإقامة إبراهيم، وإنما يتطلعون إلى ملكية جميع الأراضي الممتدة بين النيل والفرات ملكاً أبدياً حسب إرادة الرب وبعد طرد القبائل العربية حسب ما ورد في الإصحاح: "في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الكبير إلى النهر الكبير" (لنهر الفرات) (سفر التكوين 15-18)، وبذلك تصبح الأرض الموعودة ملكا أبدياً خالصة لليهود، "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم" (سفر التكوين 7: 17-8).

وقد دحض الكثير من علماء الدراسات التوراتية، المزاعم اليهودية المتعلقة بالوعد الإلهي وأيضاً بحق اليهود في تملك أرض فلسطين، وفي مقدمتهم البروفيسور ألفريد غليوم أستاذ الدراسات التوراتية بجامعة لندن حيث قال: "إن أسطورة الوعد الإلهي الأبدي بتملّك اليهود لأرض كنعان فلسطين مبنية على مزاعم ومفاهيم مغلوطة وبطالة، وعلى تفسيرات توراتية انتقائية مغرضة، وينكر غليوم أن يكون وعد الرب بملكية أرض كنعان مقصورة على اليهود فقط لأنه إذا كان الوعد فعلاً لنسل إبراهيم فإنه يشمل العرب سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين لأنهم من نسل إبراهيم وسوف نتناول نسل ابراهيم لاحقاً. وأضاف أيضاً أن هنالك سوء فهم لبعض الكلمات التي وردت في الأصل العبري للكتاب المقدس فكلمة (عولام – Olam) في الترجمات العربية اعتبرت إنها للأبد وبالإنجليزية (Forever) لكن الحقيقة أنها تعني لحين من الدهر أو لفترة من الزمن، وهذا يعني أن الوعد لإبراهيم (إن كان هناك وعد) لم يكن وعداً أبدياً وأنما وعداً محدداً بفترة زمنية معينة.

أما فيما يخص نسل إبراهيم عليه السلام، فإن اليهود يعترفون بالتوراة بأن إسماعيل عليه السلام هو الابن البكر والأكبر لإبراهيم، فقد ورد في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين "وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق، ورأت سارة ابن هاجر المصرية التي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها ابن الجارية لا يرث مع ابني اسحاق، فقال الله لإبراهيم: اسمع لقولها لأنه إسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة عظيمة لأنه من نسلك"، كما أن التوراة تشير إلى أن نسل إبراهيم كان كبيراً جداً، فهل يعقل أن يكون اليهود بهذه الضخامة وقد عانوا كأقليات ضئيلة في المجتمعات التي عاشوا فيها على مدى تاريخهم كله. والحقيقة أن نسل إبراهيم الأكبر هم المسلمون والمسيحيون الذين وصفتهم التوراة بعدد النجوم وحبات الرمل، وهم الورثة الشرعيون لنسل إبراهيم عليه السلام، وإذا كان هناك وعداً إلهي لإبراهيم بملكية "أرض كنعان" فإن الشعب العربي أولى وأحق بهذا الوعد، أما يهود بني إسرائيل فقد انقرضوا منذ زمن بعيد، وأما اليهود المعاصرون فهم لا ينتمون لهم ولا لنسل إبراهيم عليه السلام وذريته، فمن المعروف أن 90 % من اليهود المعاصرين ينحدرون بجذورهم العرقية أصلاً من سلالة شعب الجزر الآسيوي، المصنف أنه ينحدر من سلالة يافث بن نوح وليس من سلالة سام بن نوح التي ينتمي إليها سيدنا إبراهيم عليه السلام ونسله، وهكذا فإن شعب الخزر لا يمت للشعوب السامية التي يزعم اليهود أنهم منها، إلا أن الصهاينة نجحوا، إلى حد كبير، في إخفاء حقيقتهم الخزرية عن وسائل الإعلام في أوروبا وأمريكا، حتي يظهروا أمام العالم المسيحي أنهم امتداد عرقي نقي للآباء الأوائل من بني إسرائيل ولقبيلة يسوع المسيح الإسرائيلية.

ورداً على المزاعم اليهودية بأن اليهود هم من نسل إبراهيم، فقد جاء في الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا ما يلي: "لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع فيه منكم، أنتم من أب هو إبليس وبشهوات أبيكم تعملون[1].

والحقيقة أن النبوءات التوراتية التي تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين لا تعني العودة المعاصرة لها، وإنما تعني تلك العودة التي تمت قبل 2500 عام، أي بعد السبي الآشوري لليهود ثم الأسر البابلي حيث خلت فلسطين من اليهود، وكان ذلك بمثابة عقاب إلهي لهم بسبب معصيتهم لربهم "يهوه" وكفرهم به، إلا أن قسماً منهم عاد إلى فلسطين وبذلك تكون النبوءة قد تحققت.

ثالثا: أسطورة عودة المسيح (اليهودي المنتظر ومعركة آخر الزمان "هرمجدون")

ذكرت الباحثة في الفصل الأول كيف قام اليهود بتحريف النبوءات التوراتية لتتواءم مع نبوءة الألفية السعيدة التي شاعت في القرن التاسع عشر، حيث أصبح البعث اليهودي ضمن خطة الرب لنهاية التاريخ (تعالى الله عما يصفون) وقبل المجيء الثاني للمسيح ليحكم العالم في ألف سنة سعيدة، وهذه العقيدة اليهودية تقوم على الإيمان بمخلص سوف يأتي ليفدي شعب إسرائيل وينقذه من عذاب المنفى ويقوده عائداً إلى أورشليم ليفرض منها الحكم على كل أمم الأرض.

والمسيح (اليهودي) المنتظر، ستكون مهمته حكم العالم بشريعة صهيون؛ حيث ورد في "سفر إشعياء" ويحدث في آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم، وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك في سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب، فيقضي بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة شيئاً ولا يتدربون على الحرب فيما بعد ومما لا شك فيه أن الخلط بين مفهوم عودة المسيح في آخر الزمان ومفهوم مجيء اليهودي أدى إلى ظهور نتائج خاطئة ومضللة، إذ أن طوائف مسيحية معينة انساقت وراء الخرافات التوراتية واعتبرت أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ومسيح اليهود شخص واحد الأمر الذي شجع العالم المسيحي الغربي للتعاطف مع المزاعم الصهيونية وأيدوا بشدة عودة اليهود إلى فلسطين العربية، وإنشاء دولة لهم فيها تمهيداً لعودة المسيح المنتظر. ويعتبر اليهود هذه القضية محورية في الفكر الديني اليهودي، لكنهم يؤمنون أن المسيح المنتظر لم يأت بعد، والذي جاء قبل ألفي عام ليس هو مسيحهم، وإنما رجل محتال، ولذلك يردد اليهود في صلواتهم قائلين "إني مؤمن إيماناً كاملاً أن المسيح سوف يأتي، وحتى إن تأخر مجيئه فسأظل أنتظر قدومه كل يوم من أيام حياتي". وتمهيداً لعودة المسيح المنتظر، تعتقد الصهيونية أن تلك العودة سيسبقها حروب عربية – إسرائيلية تدور رحاها على أرض فلسطين المقدسة، وهذه المعركة ستكون نووية محرقة، وأطلقوا عليها معركة "هرمجدون" التي سوف تندلع بين الأشرار المسلمين وقوى الخير اليهودية (حسب زعمهم).

[1] – عصام موسى قنيبي، الصراع على الديار المقدسة، مصدر سابق، ص50-59

ويعتقد الصهاينة بأنهم سوف ينجون من هذه المحرقة. ومن أخطر الحركات الإنجيلية التي تبنت هذه المعتقدات الحركة التدميرية التي تضم أكثر من أربعين مليون أمريكي، ومن أهم أعضائها الرئيس الأمريكي السابق ريجان، وبوش الابن، وبيل كلينتون، بالإضافة إلى كبار المسؤولين في البيت الأبيض، وقد قام زعماء هذه الحركة بعمل رحلات سياحية إلى الأراضي الفلسطينية، وخاصة تل هرمجدون التي تقع عليها الحروب المرتقبة، وهم على قناعة تامة أن الحرب النووية قادمة لا محالة، يقول الرئيس ريجان في مقر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل (يعقوب عليه السلام) من بين الوثنيين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك بعد ألفي عام، ولأول مرة يبدو أن كل شيء في مكانه في انتظار معركة هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح". في عام 1980م أجرت الكاتبة والمؤرخة جريس هالسل تحقيقاً حول ما يقوله الإنجيليون الأصوليون في موضوع هرمجدون، فكتبت: في عام 1970 حذر (بيلي غراهام) من أن العالم "يتحرك الأن بسرعة كبيرة نحو هرمجدون وأن الجيل الثاني من الشباب قد يكون آخر جيل في التاريخ"[1]، وصرح الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين (س، كريب) في عام 1977 م قائلاً "في هذه المعركة النهائية فإن المسيح الملك سوف يسحق كلياً ملايين العسكريين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح)[2] وتذكر الكاتبة بعض المقتطفات من كتاب للمؤلف ليندسي، الذي فسّر تاريخ العالم والشرق الأوسط في كتابه: "آخر أعظم كرة أرضية"، حيث فسر الرؤى الدينية بشكل حديث، يقول في كتابه "رأي جون في الحلم جرادة لها أذيال العقارب، حيث فسر ليلكسي ذلك أنها طائرات هليكوبتر كوبرا التي تطلق من أذيالها غاز الأعصاب، ويكمل بأن الجيل الثاني الذي ولد عام 1984 م، سوف يشهد العودة الثانية للمسيح ولكن عليه قبل ذلك خوض حربين الأولى ضد يأجوج ومأجوج، والثانية هرمجدون التي سوف يتحالف فيها كل العرب مع السوفيات ويهاجمون إسرائيل، أما في كتابه "العالم الجديد القادم" فكتب يقول: "فكروا فيما لا يقل عن (200 مليون جندي من الشرق مع ملايين أخرى من الغرب يقودها أعداء المسيح من الامبراطورية الرومانية المستحدثة (أوروبا الغربية)، وأكمل يقول: إن عيسى المسيح سوف يضرب الذين دنسوا مدينة القدس ثم يضرب الجيوش المحتشدة في هرمجدون، فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة 200 ميل من القدس وسوف يملأ الوادي بجثث الرجال والدماء والأدوات الحربية والحيوانات. إن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه الإنسانية من الإنسان ومع ذلك فإن الله يمكن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها ويستطرد بقوله "إن القوة الشرقية وحدها سوف تزيل ثلث العالم، وسوف يبقي فقط الله 114 ألف يهودي على قيد الحياة المعركة وسينحني كل واحد منهم أمام المسيح، كمتحولين للمسيحية"[3].

---

[1] – جريس هالسل يد الله ولماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل، ترجمة محمد السماك، ط2، القاهرة، دار الشروق 2003، ص37

[2] – جريس هالسل، مصدر سابق، ص37

[3] – جريس هالسل: مرجع سابق، ص37 –ص40

رابعاً: أسطورة هيكل سليمان

جاء في سفر الملوك "حينئذٍ تكلم سليمان وقال للرب: إنه يسكن الضباب إني قد بنيت لك بيتاً سكنياً مكاناً لسكناك إلى الأبد". يزعم اليهود في الكتاب المقدس أن النبي داود عليه السلام اشترى أرضاً من أرونة اليبوسي لبناء الهيكل، ولكنه لم يشرع في بنائه لانشغاله بالحروب وسفكه دماء كثيرة، ولهذا فقد منعه الربا من البناء لأجل ذلك، وقد وعد الرب داود عليه السلام أن ابنه سليمان عليه السلام هو الذي سيقوم ببناء الهيكل، وحسب المزاعم اليهودية فإن سليمان بنى الهيكل فوق جبل مريا في القدس، الذي يوجد فوقها سور الحرم الشريف، ويسمي اليهود هذا المكان بجبل الهيكل اكتسب الهيكل أهمية دينية، يقول المؤرخ تودز: "لقد بالغ العهد القديم في أهمية بناء الهيكل في أورشليم، وأصبح يأخذ مكانة مميزة في الديانة اليهودية، وسيطر على خيالهم، فأورشليم اقترنت به، وهو كنز الإله مثل جماعة إسرائيل، وهو عند الإله أثمن من السموات والأرض لأنه خلقها بكلتا يديه، وخلق الهيكل بيد واحدة، وأن قدس الأقداس الذي يقع في وسط العالم بمنزلة سرة العالم[1].

ويزعم اليهود أن الرب، بعد تدمير الهيكل وإلى الآن، لم ينقطع عن البكاء والنحيب، ويردد عبارات الندم على سماحه بهدم الهيكل، ومنها "تباً لي أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي". ويقول المحامي الإسرائيلي "غورشون سلمون": "إن أحداً لا يستطيع أن يتصور حياة اليهود دون الهيكل، ولا بد من إقامة الهيكل. ولا يستطيع أحد أن يمنعنا ولا العرب. لأنها إرادة الله وإرادة التاريخ.

ومما يثبت خرافة الهيكل إن الروايات التوراتية حول الهيكل المزعوم تحوي كثيراً من التناقضات منها:

1- أن داود عليه السلام حرمه الرب من بناء الهيكل لأنه سفك دماء كثيرة بينها سليمان عليه السلام، فقد وعد الله داود أن يولد له صاحب راحة، وهو الذي يبني بيت الرب، بل يكون لله إبناً والله له أباً. جاء في سفر أخبار الأيام الأول "قال داود السليمان: يا بني قد كان في قلبي أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي فكان إلى كلام الرب: قد سفكت دماً كثيراً وعملت حروباً عظيمة فلا تبني بيتاً لاسمي لأنك سفكت دماً كثيراً على الأرض أمامي. هو ذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة "يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد". بينما يذكر سفر الملوك أن سليمان لم يحفظ وصايا الرب وعهوده وفرائضه كما فعل داود عليه السلام وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه لاستقامته وحسن عبادته للرب... فغضب الرب على سليمان لأن قلبه خال من الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وقال الرب لسليمان "من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بهيا فأني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها عبدك"، وهكذا يظهر التناقض بين السفرين، أن الرب يثبت كرسي ملك سليمان على إسرائيل إلى الأبد في مسفر أخبار الأيام الأول بينما الرب سيمزق المملكة عنه تمزيقاً كما في سفر الملوك الأول[2].

---

[1] – عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، الاهرة، دار الشروق، 2006، ص194

[2] – صالح حسن الرقب، نقض مزاعم الصهيونية في هيكل سليمان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية –غزة، فلسطين، 2002، ص56-57

2- إن الدارس لنصوص الكتاب المقدس عند اليهود المتعلقة ببناء الهيكل، يجزم بأنها خرافة وأسطورة نسجتها الأوهام لكثرة ما فيها من تناقض وتهويل. فقد جاء في الكتاب المقدس أن داود عليه السلام هيأ لبناء الهيكل: مائة ألف وزنة من ذهب ومليون وزنة فضة ونحاس وحديد كثير، وسبعين ألفاً من العمال ولحمل الأثقال ثمانين ألفاً، وستة آلاف من المشرفين، وعلى الرغم من هذه المواد الضخمة والأعداد الهائلة من العمال والمشرفين فإن هيكل سليمان في روايات الكتاب المقدس لا يتجاوز الستين ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً "وقد علّق الباحث "ويلز" قائلاً إن قياسات هيكل سليمان عبارة عن قياسات قصر صغير"[1].

3- وبخصوص موقع الهيكل التناقضات كثيرة فيقول في سفر التكوين "بكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقام عموداً، وصب زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ونذر يعقوب قائلاً: إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه، يكون الرب لي إلهاً، وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله"، أي أن يعقوب رأى حلماً بعد أن نام على حجر في "بيت إيل"، وهي منطقة تقع شمال القدس وجنوب رام الله، وفي سفر يوشع فقد جاء "حينئد بنى يوشع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبل عيبال" وهو جبل يقع في نابلس اليوم، أما سفر الأيام الذي ذكر سابقاً فقد جاء أن سليمان بنى بيت الرب في أورشليم "القدس" في جبل المريّا حيث تراءى لأبيه داود[2]، كل هذه التناقضات حول من الذي بنى الهيكل وحجمه ومكانه، فإن أمر الهدم يبقى السؤال الأهم، إذ أن الأسفار تفيد بأن الرب هو الذي أمر بهدمه ولم يأمر بإعادة بنائه (إذا سلمنا بصحة رواية الكتاب المقدس)، وذلك عقاباً لسليمان على ترك عبادة الله وميله إلى عبادة آلهة أخرى[3].

لقد أكد العلماء والباحثون الإسرائيليون المعاصرون أن الأبحاث وأعمال التنقيب الأثرية التي قام بها العلماء اليهود في فلسطين، أنهم ولغاية الآن لم يعثروا على أي دليل أو شاهد أثري يثبت صحة روايات قصص التوراة، ومن هؤلاء العلماء الباحث زئيف هيرتسوغ أستاذ في قسم الآثار وحضارة الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب حيث أصدر بحثاً قال فيه "إن الحقائق الأثرية تدحض الادعاءات التوراتية حول تاريخ شعب إسرائيل[4]". يقول الباحث (كونفليد): أن جميع البحوثات والدراسات أثبتت أنه لا يوجد لأي أثر لهيكل سليمان تحت قبة الصخرة أو حوله، وأن لون التربة هو اللون الأصلي لتراب المنطقة والحجارة المستخرجة كان لونها طبيعياً ولم تكن محروقة"[5].

كما نشرت مجلة جورسالم ريبورت تصريحاً لعالم الآثار اليهودي (إسرائيل الانكشتاين) من جامعة تل أبيب، أن العلماء لم يعثروا على شواهد تاريخية تدل على وجود الهيكل وأنه مجرد خرافة، ليس لها وجود، وأن كتبة التوراة في القرن الثالث أضافوا قصصاً لم تحدث" ومع ذلك نجد أن اليهود يتغافلون عن هذه الحقائق مشددين في كل إعلان

---

[1] - أحمد عيسى الأحمدي داوود وسليمان في العهد القديموالقرآن الكريم، الكويت، مطبعة الكويت 1190، ص113

[2] - صالح حسن الرقب، مصدر سابق، 64-65

[3] - مجلة الجامعة الإسلامية 2002 ص63

[4] - هارتس الإسرائيلية تاريخ 24-10-1990

[5] - موقع الموسوعة الفلسطينية www.palestiocdia.net

أو تصريح على أن الصخرة المشرفة قائمة فوق أطلال هيكلهم المزعوم، مما يؤكد أن الكيان الإسرائيلي كله قائم على مجموعة من الأساطير والخرافات التي نشرت تحت ستار الدين والتوراة. وأخيراً فإن الروايات التاريخية تثبت أن المسجد قد بني قبل هيكل سليمان بألف سنة على يد نبي الله ابراهيم وبالتالي دحض خرافة أن المسجد بني على أنقاض الهيكل. والحقيقة أن نبي الله سليمان قد جدد بناء المسجد ولم يبنِ هيكلاً. وقد أقر علماء المسيحية بهذه الحقيقة. يقول المؤرخ "ابن العبري": في السنة الرابعة من ملكه، شرع سليمان عليه السلام ببناء بيت المقدس، وهو المعروف بالمسجد الأقصى في جبل الأموريين في أرتان"[1].

خامساً: أسطورة العرق السامي

مفهوم "العداء للسامية" مفهوم يهودي صهيوني معناه الحرفي "ضد السامية"، ويترجم أحياناً إلى "العربية" بالمعاداة "السامية"، و"اللاسامية"، و"كراهية السياسية". أما السياميون "فالمقصود بهم حرفياً سلالة سام بن نوح عليه السلام، وتذكر دائرة المعارف اليهودية في تعريف مصطلح "معاداة السامية" بأنه مستخدم منذ نهاية القرن التاسع عشر للإشارة إلى أي حركة منظمة ضد اليهود أو أي شكل أخر من أشكال العداء لليهود. ويعني المصطلح كراهية اليهود بشكل عام، وهو عداء موجه إلى أشخاص يدينون باليهودية او يعودون إلى أصول يهودية، ولذلك فهي مختلفة عن التعصب ضد اليهود في العصر الوسيط لأن هذا التعصب ديني وكان من الممكن أن ينتهي بالدخول في المسيحية. وقد استندت نظرية معاداة السامية في العصر الحديث إلى التمييز بين عرقين: العرق الآري والعرق السامي ونسبة صفات معينة متميزة لهذين الجنسين، وانتشر هذا الاعتقاد في المانيا حيث أدى النشاط اليهودي في كل مجالات الحياة إلى إثارة كراهية الألمان وحقدهم على اليهود. وكان الصحفي وليام مار أول من استخدم مصطلح معاداة السامية عام 1879 وذلك لتعبير الحركة المضادة لليهود[2].

يلاحظ أن مصطلح العداء للسامية يحتوي ضمناً على العديد من المغالطات التاريخية والإثنية، إذ إن اليهود الأوروبيين الذين اخترعوا هذا المصطلح لا ينتمون إلى الساميين، بل هم أوروبيون يعيشون في أوروبا منذ عام 70م بعد أن طرد الرومان اليهود من فلسطين وشتتوهم في كل بلاد العالم فيما يعرف بالشتات اليهودي العام. وبالعودة إلى المصادر التاريخية اليهودية نجد أن مصطلحي "المشكلة اليهودية" و"العداء للسامية" لا يوجدان في قاموس العلاقات بين اليهود والشعوب الشرقية، ولكنهما سائدان في قاموس العلاقات بين اليهود والشعوب الغربية التي وعواض، وقد ابتدعت الصهيونية مفهوم "معاداة السامية" وبدأت توظفه لتحقيق مصالحها بعدما اتخذت القيادات الصهيونية من ظاهرة معاداة السامية ذريعة لفصل الجماعات اليهودية في اوروبا عن المجتمعات المسيحية التي كانت تعيش بينها، وطورت على أساسها الفكرة القومية الموجهة لإنشاء ما يسمى بالوطن القومي لليهود، وكان هرتزل يعتقد أن القوى الكبرى يجب أن تعمل من جانبها على مساعدة اليهود في التخلص من العداء للسامية عن طريق إنشاء دولة يتم تهجير اليهود إليها، فيتحقق لهذه الدول الخلاص من العنصر اليهودي، وتنتهي بذلك ظاهرة معاداة

[1] – غريفوريوس الملطي تاريخ مختصر الدول، ط3، بيروت، دار الشروق، 1992، ص137

[2] – جوزف زيتون، لماذا يتكنى اليهود بالسامية، 2018، www.josephyeitoun.com

السامية. وهكذا جعل هرتزل معاداة السامية مشكلة العالم الغربي وليست مشكلة خاصة باليهود، وقد وضح هرتزل هذا الرأي في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في بازل عام 1897[1].

لم يكتف زعماء الصهيونية بتوظيف فكرة معاداة السامية لخدمة الأهداف القومية اليهودية في التاريخ اليهودي الحديث والمعاصر، وإنما نجدهم أسقطوا هذا المفهوم على التاريخ اليهودي في الماضي وأعادوا تفسيره من وجهة نظر مفهوم معاداة السامية حتى أصبح التاريخ اليهودي القديم والوسيط لا يفهمان الآن إلا من خلال معاداة السامية. ونلاحظ هنا أن إسقاط مفهوم معاداة السامية على التاريخ القديم يحتوي على مغالطة صهيونية كبيرة تتمثل في النظر إلى اليهود في العالم القديم على أنهم الممثلون الوحيدون للعنصر السامي، وذلك رغم أنهم أضعف العناصر الممثلة لهذا العنصر بسبب شتاتهم واختلاطهم بالشعوب الأخرى. فالساميون في التاريخ القديم يمثلون أساساً عرب شبه الجزيرة العربية أصل الساميين، وبلادهم تمثل "العهد الأول" للساميين ولغتهم تمثل "اللغة السامية الأم"[2].

إن اتهام العرب بالعداء للسامية يدخل ضمن إطار تعميم نظرية معاداة السامية لتشمل العالم كله. ويتم في نفس الوقت قصر الساميين على اليهود، وهذا فيه مغالطتان هما: اتهام البشرية كلها بمعاداة السامية، وتحديد اليهود فقط كساميين. وكأن العداء البشري لليهود عداء عرقي إثني[3]. ومن الجدير بالذكر أن الصهيونية ولفت "معاداة السامية" سياسياً بما يعرف بالهولوكوست أو المحرقة النازية وستحاول الباحثة مقارنة هذا الموضوع لارتباطه بأسطورة العرق السامي.

الهولوكوست أو المحرقة

لقد أضحت خرافة الهولوكوست كنزاً لا يفنى بالنسبة للحركة الصهيونية، فهي أداة لابتزاز الدعم السياسي والعسكري والمالي لمواقف العدو الإجرامية. ولولا أموال التعويضات التي دفعت من قبل الدول الأوروبية ولا سيما ألمانيا، والتي تتسلمها الدولة لا أهالي الضحايا لما تمكنت الصهيونية من البقاء بقوة حتى اليوم. وأصبحت المحرقة قضية على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لمراكز صنع القرار السياسي والاقتصادي في الغرب، لتبرير دعمه للحركة الصهيونية أمام الرأي العام. ولعل أدق تعبير لتعريف "الهولوكوست" ما جاء على لسان الكاتب الإسرائيلي "بواس إيفردن" الذي قال: "إن المحرقة عملية تلقين دعائية رسمية تمخضت عن شعارات وتصورات زائفة عن العالم وليس هدفها الماضي على الإطلاق، بل التلاعب بالحاضر". وما زالت الدولة الصهيونية تمارس دور الضحية المهدد حتى بعد أن أقامت إسرائيل دولتها على (80 % من أرض فلسطين) واحتلت أجزاء من أراضٍ عربية بدعم من الدول الأوروبية والأمريكية[4].

---

[1] – محمد خليفة حسن 2004، www.aljoyroc.net

[2] – كامل سعفان، اليهود من سراديب الفيتو إلى ماصير الفاتيكان، القاهرة، دار الفضيلة، 2000، ص295

[3] – عبد الفتاح الغنيمي: شعوب إسرائيل وخرافة الانتساب للسامية، ط1، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2002، ص103

[4] – ندى الشقيفي، الهوكوست حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، ط1، بيروت، باح للدراسات 2011، ص105-108

أطلق مصطلح الهولوكوست، الذي يعني الحرق، لوصف ما قيل بأن النازيين قد ارتكبوه حين أبادوا عدداً كبيراً من يهود أوروبا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية عن طريق حرقهم في أفران الغاز. وقد استطاعت الصهيونية توظيفه سياسياً بعد أن ضخمت الحدث وغذته بسلسلة من الخرافات والأكاذيب، وهكذا استطاعت الحصول على قرار من هيئة الأمم المتحدة في 1-11 2005 م باعتبار أن يوم 27 من كانون الثاني هو يوم ذكرى المحرقة اليهودية". وقد استطاع اليهود ترسيخ أسطورة الهولوكوست في أذهان المجتمعات العربية بشتى الوسائل الإعلامية لاستدرار المال والتعاطف لإقامة كيانهم الهجين في فلسطين، وهكذا استطاعت الحصول على ما يقارب (70 بليون دولار كتعويضات تدفعها ألمانيا)، والحقيقة أن هتلر أراد إقامة وطن قومي للشعب الألماني، الذي كان في نظره أسمى جنس على وجه الأرض، وهذه النظرة جعلته يعمل على إبادة الأجناس الأخرى، وحتى الألمان أنفسهم كالمجانين والمعاقين لأنهم في رأيه عالة عليه (وهذا ما قامت به إسرائيل بالضبط مع الشعب الفلسطيني بحجة أنهم شعب الله المختار). غير أن المؤرخين كشفوا زيف هذه الأسطورة كسركر سيمون وايزنتال الصهيوني في الولايات المتحدة، حيث تكشف الحقائق أن عشرات آلاف من اليهود قتلوا في الحرب العالمية الثانية كغيرهم من القتلى. وقد دفع بعض المؤرخين أثماناً باهظة مقابل دحضهم هذه الأكاذيب، فتعرضوا للقتل أو الطرد من العمل أو الجامعات أو مراكز الأبحاث مع حملات تشهير بهم[1]. وفيما يخص المحاكم التي أقامها الحلفاء لمحاكمة مجرمي الحرب من الألمان، فقد اعتمد اليهود على تقارير شفوية أو مكتوبة عرفت (بشهود عيان) أثبت المؤرخون ضعفها ووجود أخطاء فيها وتناقضات كثيرة، ومن أهم هذه التقارير تقرير "كورت غيرشتاين" وهو متطوع في الجيش الألماني سلّم نفسه للقوات الفرنسية وقد راعى باعترافه ما يرضي الحلفاء، وقد أطلق عليه اليهود رجل الحقيقة رغم كل الأكاذيب والتناقضات التي تضمنها اعترافه، ويرى عالم الإحصاء الأمريكي اليهودي اليستونقيكيى" أن عدد اليهود الذين اختفوا من المانيا أثناء الحكم النازي ما بين (350-500) الف يهودي وأن المبالغة بهذا الرقم بجعله ستة ملايين أمر مخجل"، أما في وثائق الحرب فتفيد أن 8 ملايين يهودي قضوا جراء ذلك، أما تقرير الاتحاد السوفياتي المقدم للمحاكم في نورمبرغ فيصل إلى 4 ملايين. وقد علّق الكاتب الفرنسي روجيه جارودي قائلاً: بعد كل هذا التضارب الصارخ كيف يمكن أن نصل إلى الحقيقة؟ ويؤكد كثير من المؤرخين مثل "راؤول هيليرغ " أن عدد ضحايا اليهود كان مليونا و250 الف شخص، وأن الستة ملايين أكذوبة كبيرة "[2]. أما بخصوص أفران الغاز فقد فند العلماء الكيماويون مزاعم الصهيونية والاستحالة لوجود التقنية لمثل هذه المسالخ الكيميائية السخيفة، يقول "روبير فيرسون" وهو أستاذ في جامعة ليون الفرنسية حيث بحث لمدة عشرين عاماً وقام بجولات ميدالية داخل معسكرات الاعتقال النازية، كمعسكر أوشفيتز": "إن أسطورة غرف الغاز النازية ماتت يوم 12-23-1979م على صفحات جريدة اللوموند عندما عجز 34 مؤرخاً فرنسياً عن قبول تحدي الاستحالة التقنية لهذه المسالخ السخيفة ويقول أيضاً: لقد عرفت البشرية مائة محرقة حافلة بخسائر رهيبة بالأرواح ولكن معاصرينا لم يتذكروا إلا واحدة فقط" محرقة اليهود حتى أصبحت كلمة محرقة

[1] – كامل سفيان، مصدر سابق، ص293

[2] – روجيه جارودي، مصدر سابق، ص200

تخص اليهود وحدهم، كما لم تؤد أي محرقة سابقة لدفع تعويضات مادية تشبه التي نالها اليهود، ثم يتابع "لقد ذهبت إلى هذه المعسكرات ولم أرَ إلا فرناً واحداً لا يتسع إلا لجثة واحدة كانت تحرق فيه الجثث المصابة بالتيفوئيد لئلا ينتشر المرض بين الناس، وقد نشر كتاباً بهذا الشأن؛ وبسبب ذلك تم طرده من الجامعة وقدم للمحاكمة، حيث قال: "لقد دفعت المانيا الثمن من أموالها واقتصادها، وبعد هزيمتها دفع الشعب الفلسطيني الثمن غالياً، ودفع وطنه لليهود لبناء دولتهم على أنقاض هذه الكذبة الكبيرة البشعة مع الغرب الأوروبي وأمريكا". ويضيف: "لم يتمكن احد في معسكر "اوشفنتيز" أو أي مكان آخر أن يرينا عينة واحدة من هذه المسالخ الكيميائية، ولم يستطع أحد أن يصف لنا شكلها أو طرق تشغيلها ولا يوجد وثيقة واحدة تثبت أن هتلر وقع على هذه المحرقة، وتشير الدراسات إلى أن غاز الزيلكون يتطلب احتياجات بيئية مكلفة مما يعني استحالة استخدامه على نطاق واسع في الحرب. ويقول العالم الكيميائي الألماني "غيرمار ردلف" أنه في حال استخدام هذا الغاز فإن أثاره ستبقى لعدة قرون في التربة، ولكنه يقول إنه لم يعثر على أي أثر في معسكرات الاعتقال النازية، مما ينفي احتمال استخدامة"، ويعتبر الباحث هنري روكيه أن أفران الغاز غير موجودة إلا في خيال اليهود وبسبب موقفه ألغت الحكومة الفرنسية في سابقة لها قرار لجنة الدكاترة التي منحته درجة الدكتوراه وسحبت الدرجة العلمية منه. وهكذا يتضح أن العناصر الثلاثة التي قامت عليها الأسطورة غير صحيحة مما يعني انهيارها من أساسها[1] .

المبحث الثاني: المضامين السياسية للصراع العربي – الصهيوني

برزت فكرة البعث القومي اليهودي من جديد في الثقافة الغربية الأوروبية في أكثر الأوقات ملاءمة من ناحية سياسية، فأصبح الوجود اليهودي في فلسطين خلال القرن التاسع عشر، بغض النظر عن دلالاته النبوئية الدينية السابقة، ودلالاته النفعية والسامية، قضية سياسية بالنسبة للدول الأوروبية التي كانت تصبو إلى التوسع فيما وراء البحار وإقامة الإمبراطوريات، وهكذا تم ربط الأفكار الدينية والإنسانية بذكاء مع السياسة الدافعية للحصول على نفوذ في الشرق الأدنى، ووجدت فلسطين نفسها فجأة تدور في فلك السياسة الأوروبية، وواقعة تحت قوى النفوذ المتصارعة، أما نقطة الارتكاز بما يسمى "المسألة الشرقية"، هي وضع الإمبراطورية العثمانية التي كانت فلسطين جزءاً منها[2].

تهدف الصهيونية بمدلولها السياسي الحديث إلى السيطرة على العالم في المدى البعيد بدعوى أن الله استخلفهم على العالمين، أنهم "الشعب الله المختار"، فهي بذلك تعتبر أقدم مبدأ عنصري استعماري ظهر على وجه الأرض. وتعتبر الصهيونية بهذا المفهوم هي الفلسفة القومية للغالبية العظمى من اليهود في العالم، أما فلسطين فهي هدف الصهيونية القريب، منها يسعون إلى تحقيق هدفهم البعيد[3].

---

[1] – روجية جارودي، مصدر سابق، ص210

[2] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص78

[3] – حسن صبري الخولي، فلسطين بين المؤامرات الصهيونية والاستعمار، الاسكندرية، مؤسسة دار التحرير للنشر والطباعة، 1986، ص9

اشتق لفظ الصهيونية من "صهيون "وهو أحد الجبال المحيطة بالقدس حيث أقام عليه داود عليه السلام حصناً كما جاء في التوراة، وسماها "مدينة داود" وصار لفظ صهيون يرد بعد ذلك في التلمود "ويدل على عاصمة المملكة التي هي، في نظر اليهود، رمز لمجدهم"[1].

ويذهب البعض إلى أن كلمة "الصهيونية" قد تحولت إلى مصطلح سياسي على يد الكاتب النمساوي ناثان برنباوم N.Brinbaum (1864-1937) ليعبر عن تحول النزعات والتطلعات الدينية اليهودية التقليدية، التي بدأت في الظهور منذ منتصف القرن السادس عشر ميلادي، إلى حركة سياسية.

ويعرّف بعض العلماء الصهيونية "بأنها حركة معقدة تتألف من ثلاثة عناصر أساسيه على الأقل: السياسة اللاهوتية، والاستعمار الاستيطاني، والازدواج القومي. فالعنصر الأول يوظف المعتقدات الدينية التي تنطلق من تفسير خاص للعهد القديم، والعنصر الثاني يصنع قومية استعمارية لليهود، والعنصر الثالث ربط بين قوى الاستعمار الدولي والكيان الإسرائيلي بمصالح مشتركة، ويجعل الصهيوني دائم الانشداد إلى تلك القوى ومواطنها الغربية "[2].

ومفهوم الصهيونية بمعناها الخاص هو الاعتقاد بضرورة تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه بنفسه في فلسطين، وتحقيق أمل اليهود بالعودة إلى الأرض المقدسة. والصهيونية بمعناها العام هي حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود كما تستمد حيويتها من ارتباط الفكر اليهودي بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في أذهانهم[3].

وتعرف الصهيونية بأنها مجموعة من المعتقدات التي كانت تهدف إلى تحقيق برنامج أول مؤتمر صهيوني سياسي عقد في بازل، في سويسرا عام 1897، الذي اعتبر البرنامج السياسي للحركة الصهيونية السياسية في القرن العشرين، وقد أكد هذا البرنامج المؤتمر الذي عقد في القدس عام 1968م وحددت فيه أهداف الصهيونية، ومن أبرزها تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي أرض إسرائيل[4].

أما الأستاذ وليد محمد علي فقد أرجع تعريف الصهيونية إلى طبيعتها الاستعمارية، فكتب يقول: "الحركة الصهيونية" في المولود الطبيعي والشرعي لمرحلة الاستعمار الغربي."وأن الصهاينة استخدموا الرموز والأفكار الدينية وحولوها إلى رموز للحركة الصهيونية، وتحويل الانشداد الديني للأساطير بما يتوائم مع التطورات الاجتماعية والسياسية في أوروبا مع التركيز على استغلال نبوءة العودة إلى صهيون المسيطرة عليهم في فلسطين"[5].

وحتى نتمكن من الإحاطة بالمضامين السياسية لهذا الصراع، عمدت الباحثة إلى معالجة ذلك في عدة مطالب:

---

[1] – حسن صبري الخولي، مصدر سابق، ص7

[2] – هاني فهاد الكعبير، الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيليفي مرحلة السلام، 1991-2013، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2013، ص16

[3] – سهيل االتغلبي، الصهيونية تحرف الإنجيل، ص7

[4] –يوسف الحسن، مصدر سابق، ص13

[5] – محمد وليد السيد علي، صهيونية الخزر وصراع الحضارات، ط1، بيروت، دار التضامن للطباعة والنشر، 1999، ص10

المطلب الأول: التقاء المصالح الاستعمارية الغربية بأهداف المشروع الصهيوني

انتشرت في أوروبا أفكار الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وحلم الفرد بالحياة المريحة الكريمة، وقد توجت الثورة الفرنسية هذه الأفكار في أواخر القرن الثامن عشر. ومع انتشار البرجوازية السياسية التي صاحبت إرساء قواعد المجتمع الرأسمالي الحر في القرن التاسع عشر تهيأ اليهود للمشاركة العلنية في عالم الاقتصاد، بل والتسلط عليه، الأمر الذي شكل عاملاً قوياً لعداء الأوروبيين، ومحاولة إيجاد حل لهذه المشكلة بما يعرف بالمسألة الغربية والحقيقة أن انتصار الليبرالية الذي اعقب الثورة الفرنسية، كان نقطة تحول هامة في حياة اليهود وعاملاً مهماً في تحريرهم في فرنسا وإنجلترا، ثم في الدول الأوروبية الأخرى التي تعهدت بحمايتهم ورعايتهم، مما دفع اليهود إلى التغلغل والانتماء للأحزاب الليبرالية التي أصبحت المنطلق لتنفيذ أهدافهم ومشاريعهم، ومكنتهم من تقلد مناصب مهمة في هذه الدول[1].

ويمكن القول إن الرأسمالية والثورة الصناعية قد فتحتا أبواب الغيتو اقتصادياً، وأما الثورة الفرنسية فتحت أبواب الغيتو سياسياً وقانونياً، وهكذا كانت الاندماجية من ثمار عصر التنوير ومبادئ الحرية والعدالة والمساواة([2]).

لقد ألقت الإمبريالية بظلالها على الفكر الصهيوني، وأصبحت مكوناً أساسياً فيه، فكان يتم تبرير استعمار أرض الأخر والاستيلاء عليها وطرده منها، بل وإبادة الملايين في آسيا وافريقيا باسم البقاء للأصلح وتحت ديباجات الحضارة والتطور، وقد بنى الصهاينة كثيراً من مقولات الفكر العنصري لتبرير غزوتهم الاستعمارية لفلسطين. وقد نبعت الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة من هذا التشكيل العلماني الإمبريالي العرقي، فهي تفترض أن اليهود شعباً عضوي يحوي بداخله خصائصه العرقية والإقلية، ولكن هذا الشعب غير نافع ولذا لا بد من نقله إلى أرض خارج أوروبا لتوظيفها لصالحها فتتحول إلى عنصر نافع[3] .

برزت فكرة البعث القومي اليهودي من جديد في الثقافة العربية الأوروبية في أكثر الأوقات ملائمة من ناحية سياسية، فأصبح الوجود اليهودي في فلسطين خلال القرن التاسع عشر، بغض النظر عن دلالته النبوئية الدينية السابقة، ودلالاته النفعية والسامية، قضية سياسية بالنسبة للدول الأوروبية التي كانت تصبو إلى التوسع فيما وراء البحار وإقامة الإمبراطوريات. وهكذا تم ربط الأفكار الدينية والإنسانية بذكاء مع السياسة الدافعية للحصول على نفوذ في الشرق الأدنى، ووجدت فلسطين نفسها فجأة تدور في فلك السياسة الأوروبية، وواقعة تحت قوى النفوذ المتصارعة، أما نقطة الارتكاز بما يسمى "المسألة الشرقية"، هي وضع الإمبراطورية العثمانية التي كانت فلسطين جزءاً منها[4].

كان أول من اجتذبته فكرة استعمار فلسطين على يد اليهود هو نابليون بونابرت، الذي كان قد خطط لتحقيق حلمه بإنشاء إمبراطورية فرنسية في الشرق، وذلك عندما غزا مصر عام 798م وكان هدفه الأول من هذه الحملة

---

[1]- رجا عبد الحميد عرابي، مصدر سابق، ص510

[2] – نويهض الحوت، مصدر سابق، ص250

[3] – عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ط1، القاهرة، دار الشروق، 2002، ص59

[4] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص78

على مصر هو تهديد مصالح بريطانيا في الشرق، وخاصة الهند، وإجبارها على الاعتراف بالثورة الفرنسية، أما الهدف الثاني فكان إنشاء إمبراطورية فرنسية في الشرق، تعوضها عن مستعمراتها التي خسرتها إبان الثورة الفرنسية التي اشتعلت في فرنسا ضد الملكية والإقطاع، وبعد احتلال مصر، قام بغزو الشام، وعندها وجه نداء إلى جميع اليهود في العالم يستحثهم فيه على الانضمام إليه، والانضواء تحت رايته لإعادة بناء مجد (إسرائيل) الضائع في القدس، وكان هدف نابليون استغلال نفود اليهود في تحقيق أهدافه التوسعية، ولكن حملة نابليون فشلت وفشلت مخططاته في مصر والشام[1].

نبهت حملة نابليون على مصر والشام بريطانيا إلى ثلاث محاور:

1 – أهمية موقع مصر وفلسطين على طريق الهند، وخاصة بعد فتح قناة السويس، ولذلك أصبح محور السياسة البريطانية الاستيلاء على مصر بأية وسيلة، وكانت بريطانيا قد وضعت أول قدم لها في مصر – قبل احتلالها – بشرائها حصة مصر من أسهم قناة السويس من الخديوي إسماعيل في زمن رئيس الوزراء البريطاني دزرائيلي اليهودي، وكان الهدف أن تجد بريطانيا لها موطئ قدم في المنطقة، تمهيداً لمساعدة اليهود لاستعمار فلسطين تحت حماية بريطانية، وقد برزت أهمية فلسطين كحارس لقناة السويس وطريق الهند، وأصبحت مركز اهتمام للدول الاستعمارية، وبعد الحرب العالمية الأولى، أصبحت الظروف الدولية مناسبة لبريطانيا فجعلت حصتها في اتفاقية سايكس – بيكو 1916م جنوب بلاد الشام، فاحتلت فلسطين عام 1918 م وبعدها فرضت عليها الانتداب عام 1920م.

2_ تنبه الإنجليز إلى أهمية الوجود اليهودي في فلسطين، فوقفوا مع الحركة الصهيونية، وأصبحت بريطانيا مقراً لقادة هذه الحركة، وذلك لاستغلال فكرة أرض الميعاد ليكونوا حراساً لقناة السويس، وقاعدة للنفوذ البريطاني في المنطقة، وذراعاً لضرب أعدائها، وحاجزاً ضد قيام أية وحدة بين مصر وبلاد الشام والسبب وراء ما قامت به بريطانيا هو التقرير الذي رفعه خبراؤها للحيلولة دون اضمحلال الاستعمار البريطاني الغربي في المنطقة، في عام 1907 في لندن وسمي بتقرير أمبل بنرمان، حيث نص التقرير الذي يخص فلسطين على أن البحر المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار، وهو ملتقى طرق العالم، فلا بد لنجاح أية خطة تستهدف حماية المصالح الأوروبية المشتركة من السيطرة على هذا البحر، لأن من يسيطر على هذه المنطقة يسيطر على العالم، فعلى طول ساحله الجنوبي من الرباط إلى غزة، وعلى الساحل الشرقي من غزة حتى مرسين، وعلى الجسر البري للمضيق الذي يصل قارة آسيا بقارة إفريقيا، وتمر فيه قناة السويس شريان حياة اوروبا وعلى جانبي البحر الأحمر، وعلى طول الساحل العادي وبحر العرب في خليج البصرة، حيث تقع الطرق إلى الهند والإمبراطوريات الاستعمارية في الشرق. وتابع التقرير في هذه البقعة الشاسعة يعيش شعب واحد (الشعب العربي)، تتوافر له وحدة تاريخية ولغوية ودينية ووحدة الآمال، وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد، وتتوفر له في نزعاته للحرية وفي ثرواته الطبيعية وفي كثرة سكانه كل أسباب القوة والتحرر والنهوض، ويبلغ تعداده الآن 15 مليوناً (هذا في عام 1907 م) ويمكن أن يرتفع عدد سكانه إلى 100 مليون

[1] – رجا عبد الحميد عرابي، مصدر سابق، ص500

(ارتفع إلى ضعف هذا الرقم)، فكيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة إذا توحدت فعلاً، وتحقق آمال شعبها وأهدافها وإذا اتجهت هذه القوة كلها في اتجاه واحد؟؟ عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتى بأقوى الإمبراطوريات الاستعمارية. وتفادياً لتلك الضربة نبّه التقرير إلى ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي، وذلك بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يحصل بين آسيا وأفريقيا، وتربطهما معاً بحيث تشكل هذه المنطقة — وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة[1].

لقد رأت بريطانيا – ببعد نظرها الثاقب وقدرتها على استشراف المستقبل – أن الحركة الصهيونية التي تدعو إلى قيامها في فلسطين ستكون مرتبطة بالاستعمار العربي عامة، وبريطانيا خاصة ارتباطاً عضوياً وثيقاً لا تستطيع العيش بدونه في قلب الأمة العربية. وهكذا أصبحت بريطانيا منذ قيام الحركة الصهيونية وحتى فرض الانتداب البريطاني، مدافعة لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإقامة كيان صهيوني فيها أكثر من اليهود أنفسهم، وكانت تدفعهم للعودة إلى فلسطين وإنشاء دولتهم، وتمهد لهم السبل وتذلل لهم الصعاب التي كانت تعترض الهجرة اليهودية وامتلاك الأراضي فيها بشتى السبل، وتأمين الرعاية والحماية لهم حتى يصلب عودهم، وتكتمل لهم سبل القوة والمنعة[2].

إن فكرة توطين اليهود في فلسطين بدأت تأخذ اهتماماً واسعاً لدى الدوائر الحكومية البريطانية، وذلك بسبب ظهور محمد علي في مصر ومحاولاته التوسعية الرامية آنذاك إلى إقامة امبراطورية عربية قوية تحل محل الدولة العثمانية المتهالكة، واستطاع التحالف مع فرنسا وروسيا وبروسيا أن يوقف التوسع المصري وإرغام محمد علي على سحب قواته من سوريا وحصر نفوذه بمصر لحكمها هو وأسرته كمنحة من السلطان العثماني.

من الجدير بالذكر أن مشاريع الاستيطان لليهود في فلسطين لم تتوقف على فرنسا وبريطانيا، وإنما شاركتهما غالبية الدول الاستعمارية الأخرى مثل روسيا التي أقامت قنصليتها في القدس عام 1842، ومنحت حمايتها لكل من طلبها من اليهود، كما أن الألمان قاموا بإنشاء مستعمرات ألمانية أشرفت عليها "جمعية الهيكل الألمانية"، وتشير الدراسات أن بسمارك أشرف على عمليات استيطان اليهود في فلسطين بقناعته أن هؤلاء سينعشون المنطقة اقتصادياً، وأنهم سيشكلون مركز حماية للمصالح الألمانية في المنطقة.

إن هزيمة فرنسا الساحقة التي منيت بها على يد بسمارك في عام (1870 م)، جعلتها حريصة على عدم دخول مغامرات استعمارية بمفردها خوفاً من تعرضها لمواجهة عسكرية مع دولة استعمارية أكثر منها قوة، وهكذا خلا الجو لبريطانيا نسبياً كي تهيئ المجال لمد نفوذها صوب فلسطين، واتجه اليهود بالتالي نحو بريطانيا بعد أن أصبحت القوة الحقيقية التي كان بمقدورها حماية الوجود اليهودي في فلسطين.

كما استقبل الزعماء الصهاينة مجيء هتلر إلى الحكم استقبالاً جيداً فقد كانوا يشاركونهم الرأي في سمو الجنس، وفي عدائه لاستيعاب اليهود وأخيراً بسبب انتصاره على الليبرالية عدوهما المشترك، وكانوا يتمنون أن تسهل أسطورة الجنس الآري انتشار اسطورة الجنس اليهودي، حيث وجه زعماء الصهاينة مذكرة إلى هتلر عام 1933م جاء فيها

[1] – رجا عبد الحميد عرابي، مصدر سابق، ص503

[2] – رجا عبد الحميد عرابي، مصدر سابق، ص503

في حال وافق الألمان على التعاون، فإن الصهاينة سيعملون جاهدين على نقل اليهود إلى الخارج، وعلى الدعوة إلى مقاطعة من يعادون الألمان"، وافق الزعماء الألمان على هذا الاقتراح، حيث كتب الفريد روزمبيرج أهم مفكري الاشتراكية القومية عام 1937 م، يجب مساندة الصهيونية بقوة حتى يمكن ترحيل فرقة من اليهود الألمان إلى فلسطين[1].

وبسبب هذا التوافق على الجنس، الذي أثبت محله هرتزل حين كتب في مذكراته الجزء الأول "المعادون للسامية سيكونون أفضل حلفائنا"، وقد تم عقد اتفاقية سميت هافلرا (وتعني الترحيل) بين الوكالة اليهودية ووزير الاقتصاد الألماني، التي سمحت لليهود بنقل جزء من أملاكهم من ألمانيا النازية إلى فلسطين[2]. فقد كان هتلر يستهدف القضاء على الشيوعيين وعلى النفوذ اليهودي في أوروبا وأمريكا، تمهيداً لاحتواء العالم، وكان يتحرق شوقاً إلى إقامة تحالف مع بريطانيا.

إن الصهيونية والنازية تياران أساسيان في الحضارة الغربية، وهي التي أفرزتهما ولذا ليس من المستغرب أن نجد هناك كثيراً من الرؤى المشتركة بين الحركتين تشكل الإطار الحاكم لكل منهما مثل القومية العضوية والتأكيد على روابط الدم والتراب التي تظهر في خطابات هتلر حيث صرح أنهم شعب الله المختار وهو نفس المصطلح الذي تستخدمه الحركة الصهيونية. كما أن كتابات الصهيونية مثل مارتن بوبر، والتي طالب فيها بعودة اليهود إلى فلسطين حيث توجد التربة التي يتمكن الدم اليهودي من التفاعل معها. ومن أهم الموضوعات المشتركة الأساسية فكرة النقاء العرقي التي تغنى بها النازيون والصهاينة كثيراً في أوروبا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كما أن الصهاينة والنازيين يستخدمون الخطابات نفسها المبنية على تمجيد القوة وإسقاط القيم الأخلاقية، فالصهاينة لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين وإنما تهجيرهم أو دمجهم في مجتمعات عربية ولا على الاستيلاء على فلسطين وأنما على استقلال "إسرائيل" و"عودة الشعب اليهودي" إلى أرض الأجداد. ولنا أن نلاحظ الأصول الألمانية الراسخة لزعماء الصهيونية الذين صاغوا الأطروحات الصهيونية الأساسية، فثيودر هرتزل كان يتكلم الألمانية، ومن الجدير بالذكر أن المؤتمرات الصهيونية الأولى كانت باللغة الألمانية، وقد أكد جولدمان أن هيرتزل وصل إلى فكرته القومية العضوية من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانية[3]. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونتيجة للاضطهادات التي تعرض لها اليهود الروس وتردي أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، أدى بهم إلى البدء بالهجرة صوب الدول الغربية، حيث شكلت هذه الهجرات عبئاً ثقيلاً على البرجوازية اليهودية في أوروبا الغربية، حيث أدركت هذه الفئة من اليهود الأثرياء أنه ليس من السهل على هؤلاء الوافدين الجدد الاندماج السريع وتخطي الحواجز اللغوية والثقافية التي كانت تفصلهم عن هذه الشعوب، وفي نفس الوقت زاد تخوف هذه الطبقة البرجوازية من إمكانية انضمام أعداد كثيرة من اليهود الفقراء إلى الحركات الثورية والأحزاب المناهضة للأنظمة الرأسمالية ومن ضمنها النظام الروسي، ونظراً للاستعمارات الواسعة

---

[1] – روجيه جارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص65-66

[2] – روجية جارودي، مصدر سابق، ص71

[3] – المسيري، 2003، مصدر سابق، ص133-134

للبرجوازيين اليهود في روسيا، فإنهم أدركوا أن خسارتهم ستكون فادحة إذا حدث اضطرابات أو ثورات فيها، مما أدى بهم إلى البحث عن مكان خارج القارة الأوروبية تتجه إليها هذه الهجرات، وهكذا بدأت هذه البرجوازية اليهودية ومن قبلها الطبقات البرجوازية الحاكمة في الدول الأوروبية – في تنظيم مشاريع تهجير وتوطين اليهود الروس في مستعمرات زراعية في مناطق مختلفة من العالم وهو ما عرف بـ (المسألة اليهودية).

وقد ظهرت حركات عززت المسألة اليهودية ونادت برفض الاندماج الحضاري في الغرب ومن أبرز هذه الدعوات:

سمولنسكين وحركة الهسكالاه

على النقيض من دعوة مندلسون وحركته "الهسكالام "، كانت دعوة سمولنسكين عبر صحيفة الفجر التي كان يصدرها في فيينا، فقد أخذ يهاجم الاندماج الحضاري طارحاً فكرة الحضارة اليهودية بديلاً عنها، وتتلخص دعوته في أن اليهود كانوا شعباً وما توقفوا على أن يكونوا كذلك حتى بعد خراب مملكتهم، فقد تحولوا إلى (شعب روحي) وجريمة الهسكالاه– حسب رأيه – إنها جعلت حب اليهود الشعبية "موضة قديمة"، بالإضافة أنها حرفت التراث الديني، فقد آمن بأن لا عبرية بلا توراة، ولا توراة بلا شعب يهودي، رافضاً أي حركة دينية إصلاحية تدعو إلى اندماج اليهود وذوبانهم في مجتمعاتهم، وأخذ يدعو إلى الذهاب إلى أرض "بني إسرائيل"، وانبعاث قومي في الشتات، والتي عبّر عنها بمقبرة الأجداد، وأن حلم اليهود أن يعيش اليهودي في أرض الأجداد ويدفن فيها، لكن بعد الاضطهاد الروسي لليهود تحولت أرض الأجداد إلى ملجأ من هذا البطش، وبحلول الفكر الهرتزلي، حيث ثبت صفحة تاريخية، موجزها أن الصهيونية السياسية قد قضت على الحل الاندماجي للمسألة اليهودية نهائياً، فاليهود شعب واحد أينما كانوا، وطنهم هو فلسطين من الحل الاندماجي دون سواها.

بنسكر والحل الصهيوني الاستيطاني

إن أول دراسة حقيقية للصهيونية السياسية كتبها مفكر يهودي، كانت لليو بنسكر عام 1882م حيث كان من فئة البرجوازية اليهودية في روسيا، وبقي ليو بنسكر بين عامي (1861–1881) متمسكاً بدعوته لاندماج اليهود في المجتمع الروسي وفي بقية المجتمعات الأخرى، وقد جاءت هذه الدعوات في أعقاب تحرير الفلاحين الروس من حكم الإقطاعيين، فجاءت هذه المحاولة لتجنيب اليهود مغبة الوقوع هدفاً لانتقام الفلاحين، والخروج المؤقت من الأزمة التي سيواجهها اليهود لا محالة. والغريب أن بنسكر فيما تناول أوضاع عدة ملايين من اليهود في روسيا، نجده يشير إليهم على أنهم "فائض وفضلة" يجب العثور على وطن يلجؤون إليه، فحل المشكلة اليهودية كما طرحها بنسكر كانت تكمن بالمقام الأول في تحرير البرجوازية اليهودية من الأعباء المترتبة عليها نتيجة هجرات فقراء اليهود الروس إلى أوروبا الغربية، وبعبارة أخرى حل مشكلة الفئة المتنفذة اليهودية من خلال اقتلاع وتهجير الأغلبية الساحقة من الجماهير اليهودية، ونلاحظ أن بنسكر كان دائم الحرص في كتاباته على إبراز الصلة الوثيقة بين أية مبادرة صهيونية وبين الإمبريالية العالمية التي بقيت بريطانيا تقودها حتى الحرب العالمية الثانية. وبعد مضي أقل من سنتين على كتابة كراسته، نجده ينتخب رئيساً لجمعية أحباء صهيون ويصبح من أشد المتحمسين للاستيطان اليهودي في فلسطين واتخاذها وطناً قومياً لليهود وذلك بعد أن تمكنت بريطانيا من إثبات وجودها العسكري في المشرق العربي.

وكان تمزق الامبراطورية العثمانية ذات الموقع الاستراتيجي والممتد، الذي كان يعد مشكلة خطيرة لميزان القوى القائم في أوروبا، وكان تقدم روسيا جنوباً يقض مضاجع أوروبا في القرن التاسع عشر، حيث كانت تنتظر روسيا سقوط الامبراطورية العثمانية للتوسع في اتجاه البلقان، وكان أسطولها في البحر الأسود، واحتلالها أجزاء من أراضي الامبراطورية العثمانية، مما جعل هم بريطانيا الأكبر هو كبح جماح روسيا عن طريق دعم السيادة التركية بأي ثمن، وأصبحت مخاوف بريطانيا على مركزها في الشرق الأدنى مركزة على فرنسا وروسيا اللتين كانتا تتلهفان على موت "رجل أوروبا المريض" أملاً في الحصول على نصيبهما من تركة الامبراطورية[1].

سارع بالمرستون إلى فتح قنصلية بريطانية في القدس عام 1838م وكان هذا قراراً من أجل إيجاد مصالح جديدة لبريطانيا أو الدفاع عن مصالحها هناك، ومن ناحية أخرى كانت بنية استغلال الوجود اليهودي داخل الامبراطورية العثمانية لتعزيز نفوذ بريطانيا في الشرق الأدنى[2]. على الرغم من تجاهل اليهود في ذلك الوقت لبالمرستون حول مشاريع الاستيطان في فلسطين، وأن مشاركتهم كانت شبه معدومة إلا أنه كان على إصراره في نجاح مشروعه الاستيطاني الصهيوني، ورغم معارضة السلطان العثماني لذلك إلا أنه استمر في مشروعه على المستوى الدبلوماسي، فقد بعث برسالة إلى سفيره بالقسطنطينية عام (1840) يقول فيها "لا تتوان عن متابعة نصحي للباب العالي بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين، إن هذا الإجراء سيكون في حد ذاته فائدة كبيرة للسلطان، إذ أنه سيجلب إلى ملكه عدداً من الأثرياء والرأسماليين الذين سيوظفون الناس ويثرون الامبراطورية [3].

وحين بدأ الخلل والضعف يتسرب إلى الدولة العالية وجد اليهود ضالتهم، وخصوصاً أن هذه الفترة قد واكبت ظهور الحركة الصهيونية كمنظمة سياسية ترمي إلى إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، ومن هنا ارتبطت الخيوط التي كان يحيكها يهود الدونمة (تطلق كلمة الدونمة على اليهود الذين هاجروا من إسبانيا إلى تركيا وتظاهروا بالإسلام) من داخل الدولة العثمانية بشبكة الصهيونية العالمية التي توجهها القوى الاستعمارية. أصبح اليهود في عهد السلطان عبد الحميد أكثر جرأة في التصريح عن آمالهم في الاستيطان بفلسطين، وقد تنبّه السلطان لهذا الخطر وأدرك المرامي البعيدة والأهداف السياسية لهجرة اليهود إلى فلسطين فأصدر فرماناً (أمراً) عام 1884 يقضي بعدم السماح لرعاياهم اليهود بالدخول إلى فلسطين إلا بغرض زيارة الأماكن المقدسة على ألا تتجاوز الثلاثين يوماً لكنها علت تحت ضغط الدول الغربية إلى ثلاثة أشهر، أما اليهود غير الرعايا فيحرم عليهم دخول فلسطين. في 1908 أجبر السلطان على إعادة دستور 1876م وأجريت الانتخابات لأول مجلس نواب. وهكذا خلع السلطان، ونفي إلى سالونيك، وبذلك أصبحت السيطرة المطلقة في الدولة لجمعية الاتحاد والترقي. وقد عاضد الصهيونيون الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم وصحفهم وتبادلوا معهم المنافع وخاصة في فلسطين. لهذا التقى الصهيونيون والاتحاديون على الإطاحة بنظام حكم عبد الحميد الذي كان متمسكاً برفض مبدأ الهجرة اليهودية غير المقيدة إلى الدولة العثمانية،

---

[1] –روجينا الشريف، مصدر سابق، ص78

[2] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص81

[3] – روجينا الشريف، مصدر سابق، ص85

وبخاصة فلسطين، رغم الإغراءات الكثيرة. وهللت الصحف اليهودية في سالونيك للتخلص من مضطهد (إسرائيل) الذي فرض الجواز الأحمر وأعاق تحقيق أهداف الصهيونية في فلسطين[1]. وهكذا تهيأت الظروف للمشروع الصهيوني بإقامة دولة قومية لليهود على أرض فلسطين.

المطلب الثاني: المشروع الصهيوني السياسي وأبرز منظريه

يعتبر المؤتمر الصهيوني الأول نقطة تحول رئيسية في تاريخ الحركة الصهيونية، فإن جمع ذلك العدد الكبير من صهيونيي العالم في مكان واحد لتحقيق هدف محدد، فتح أمام الحركة الصهيونية آفاقاً جديدة للعمل على تنفيذ مخططاتها، وكان ظهور المنظمة العالمية بداية مرحلة تنظيمية جديدة في العمل لتأسيس ما يعرف بالصهيونية العالمية، ولاستكمال البحث حول تأسيس الدولة اليهودية، وتحولها من النظرية إلى التطبيق، ترى الباحثة أنه لابد من مقاربة المطالب الأتية:

أولاً: أبرز منظري المشروع الصهيوني

يعتبر الصهاينة أن الصهيونية المتعارف عليها، وكما دعا إليها هرتسل في مؤتمر بال، هي الوارث الشرعي لعدد من النداءات والدعوات التي بدأت تظهر في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، ومع أن هذه النداءات والمؤلفات لم تجد الشهرة والانتشار حتى بين اليهود أنفسهم، إلا أنها كانت مقدمة مهمة لمعرفة الصهيونية فكرياً، وبلورة اليهودية كحركة سياسية قابلة للتطبيق على الواقع. وأضحى العامل المشترك لدى الرواد الأوائل، اعتقادهم أن مستقبل الشعب اليهودي مشروط بعودته إلى وطنه التاريخي، وأصبح هذا الاعتقاد هو الأساس لقيام وحدة اجتماعية بين اليهود بما يسمي "الوطن القومي اليهودي". ومن أبرزهم:

يهودا ألكلعي (1798-1878م)

ولد يهودا ألكلعي في سارايفو – البوسنة سنة 798م وأصبح في عمر مبكر حاخام الطائفة اليهودية في يوغسلافيا، نشر في سنة 1839م كتاباً في تعليم قواعد اللغة العبرية، ثم اتبعه بكتاب ثان سنة 10-18م، سماه "شلوم يروشلايم" "سلاما يا أورشليم" حث فيه اليهود على دفع عشر مدخولهم لمساعدة يهود القدس. ونشر منذ سنة 1843م سلسلة من الكتيبات والمقالات ركز فيها على أهمية الطلب من شعوب العالم كي تسمح لليهود بالعودة إلى وطنهم، كما طالب اليهود بدفع المال من أجل العودة، تقدم الكلعي باقتراح عملي يقضي بتأسيس جمعية لإنشاء خطوط حديدية، والطلب من السلطان العثماني في مقابل ذلك، إعطاء اليهود أرضهم في فلسطين لقاء إيجار سنوي. كما قام برحلتين إلى أوروبا الغربية، والى فلسطين، لإقناع اليهود وغير اليهود بضرورة تجمع اليهود في أرض إسرائيل كي يعيشوا كما يعيش الشعب الواحد، وفي عام 1834م أصدر الحاخام يهودا الكلعي كتابه " اسمعي يا إسرائيل" ودعا فيه إلى الهجرة إلى فلسطين التي أسماها أرض الميعاد دون انتظار المسيح المخلص، حسب ما تقول المعتقدات الدينية لليهود. وأنشأ الكلعي عام 1871م جمعية للاستعمار في القدس داعياً أغنياء اليهود إلى دعمها.

[1] – علي حسان الحلاق، موقف اليهود من الحركة الصهيونية، بيروت، دار الأمد البحري، 1978، ص318

وكان الكلعي أول الداعين إلى إحياء اللغة العبرية، وإقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين، وكان برنامجه هو "الخلال الذاتي" لتحقيق العودة الجماعية إلى فلسطين وأن النشاط الاستعماري على مستوى الشر سوف يمهد السبيل إلى مجيء المسيح المنتظر، توفي الكلعي في القدس سنة 1878م عن ثمانين عاماً، وكان قد سكن فيها نهائياً طوال الأعوام الأربعة الأخيرة من عمره[1].

- الحاخام زفي هيرش كاليشر (1795 – 1874):

أحد رواد الصهيونية الكبار، حيث نشر كتابه "البحث عن صهيون" وهو أول كتاب يظهر في شرق أوروبا باللغة العبرية، وتكمن أهمية كتاب كاليشر، في أن النظريات التي توصل إليها كانت مدعومة بسيل من الاقتباسات التوراتية والتلمودية لتعطي بعداً دينياً وتضفي القداسة على نظرياته، ومن أهمها:

1 _ أن خلاص اليهود كما تنبأ الأنبياء به، يمكن أن يتم بوسائل طبيعية، أي بمجهود اليهود أنفسهم، دون أن يتطلب ذلك مجيء المسيح. وأن الاستيطان في فلسطين يجب أن يتم من دون تأخير.

2 _ أن إحياء التضحيات في الأرض المقدسة مباح وضرورة.

لقد رأى كاليشر في الثراء الواسع الذي وصلت إليه بعض العائلات اليهودية، تحقيقاً لنبوءة قديمة في تحرير اليهود، فشراؤهم يعني نهاية المنفى، كذلك طلب من روتشيلد عام 1836م أن يشتري من الخديوي محمد علي أرض فلسطين كلها، أو على الأقل القدس أو مكان الهيكل، ثم تقدم بالطلب نفسه من موسى مونتفيوري، لكنه لم ينجح، وقد أصبح في عام 1864م مسؤولاً عن إنشاء اللجنة المركزية لاستيطان فلسطين في برلين. وبمبادرة منه أنشئت أول مدرسة زراعية مكفية بإسرائيل (معناها إسرائيل)

_ موزس هس (1812–1875):

وهو ألماني عاش مقرباً من كارل ماركس، وقد عده البعض واضع الأساس الفلسفي للصهيونية الحديثة، حيث نشر كتابه "روما والقدس"، متسائلاً فيه إذا كان عدلاً تحرير روما فلماذا لا يكون ذلك للقدس؟! وهو يرى أن اليهود لا يستطيعون تحقيق رسالتهم إلا من خلال نهضة قومية على قطعة من الأرض ألا وهي أرض الميعاد.

ويتلخص برنامج هس السياسي بما يلي:

1 _ استمرار شعلة الأمل بالبعث السياسي حتى تسمح الأحداث الدولية بذلك التي تتجه الآن نحو الشرق، للبدء بعملية بناء الدولة اليهودية، أما الآن (حسب زمنه) الاقتصار على بناء المستعمرات في أرض الأجداد.

2 _ أن اعتراض الدول المسيحية سوف يتغير ما دامت تأمل أن تتخلص من الشعب العربي وذلك بإقامة دولة يهودية، وقد وضع وسائل لتحقيق إقامة دولة يهودية من أبرزها:

أ- الدبلوماسية والوعود الدولية.

[1] – إبراهيم الشنطي، زعماء الحركة الصهيونية، 2016، shout.jorolonfun.net

ب- أموال الأثرياء من اليهود لشراء المدن في الصحراء والسهول والكروم، حيث أن الأرض الصحراوية غير الآهلة سوف تزهر من جديد "كأعواد الزنابق".

وتكمن خطورة أفكار هس أنها لم تعتمد على النبوءات التوراتية مثل الكلعي وكاليشر ومحاولاتهم في إحياء التراث اليهودي، وإنما كانت دعوته تكمن في استغلال التطورات السياسية لبناء الدولة اليهودية، واتخاذ خطوات عملية ملموسة مبنية على مقومات واقعية مثل الأموال اليهودية والدبلوماسية والوعود الدولية[1].

ليون بينسكر (1821-1891):

الروسي البولندي وهو من رواد الصهيونية الكبار، ومؤسس حركة أحباء صهيون وزعيمها الذي أصدر كتابه "التحرر الذاتي"، حيث دعا إلى إيجاد قومية يهودية تتيح لهم العيش على أرض واحدة. اعتبر الصهاينة كتاب بينسكر حجر أساس في الفكر الصهيوني الحديث، وقد لخص بينسكر نظريته السياسية كالآتي:

1- أن اليهود ليسوا شعباً حياً، إنهم غرباء في كل مكان، لذلك هم محتقرون.

2- إن التحرر السياسي والمدني لم يكن كافياً ليرفعهم في تقدير الشعوب.

3- الخلاص الوحيد لليهود هو بخلق "القومية اليهودية"، والتحرر الذاتي لليهود كشعب لا يكون إلا بحصولهم على وطن لهم وحدهم.

4- وعلى الرغم من كون المسألة اليهودية مسألة عالمية، إلا أن حلها يجب أن يكون حلاً فرعياً (يهودياً)، وعلى اليهود اتخاذ الخطوة الأولى بعقد مؤتمر يهودي عالمي، وقد قال هرتزل حين قرأ كتابه، بعد عدة أعوام من إصداره، لو كان يعلم بكتاب بينسكر لما كتب كتابه الدولة اليهودية.

زئيف جابوتنسكي (1880-1940):

من يهود أوروبا الشرقية انضم للحركة سنة 1903م، وأسس سنة 1925م "المنظمة الصهيونيةً الإصلاحية، فدعا سنة 1939م إلى عقد برلمان صهيوني في شرق أوروبا، وقاد تنظيم التمرد الصهيوني ضد بريطانيا في فلسطين، توفي خلال الحرب العالمية الثانية بأمريكا، أثناء تنظيمه لجيش يدعم الحلفاء[2].

يعتبر جابوتنسكي مؤسس الحركة التصحيحية اليهودية والأب الروحي للفكر اليميني المتطرف، وأحد أكبر رموز التطرف في تاريخ الحركة الصهيونية، حيث أن الرؤية الاستراتيجية التي طرحها من خلال حركته التصحيحية ما زالت تؤثر في صياغة الاستراتيجيات الأمنية والسياسية لدولة الكيان الصهيوني "إسرائيل" قدم جابوتسكي فكره من خلال سلسلة من المقالات التي طرحها بأكثر من لغة وقد كانت الأساس فيما اتبعه اليمين المتطرف لإدارة مستقبله، ومقالته الجدار الحديدي هي شرح عملي ومفصل لكل ما يريد أن يصل إليه، يظهر فيها جابوتسكي مثال للتطرف

[1] - الشنطي، مصدر سابق

[2] - جواد التباعي، الحركة الصهيونية التعريف وظروف النشأة والأهداف السياسية، مجلة الحوار، العدد 3051

الصهيوني الذي لا يختبئ وراء أي شيء، إن فكر جابونسكي وحركته التصحيحية اليهودية ظل يحظى بالاهتمام من قبل الفكر الاستراتيجي لدولة الكيان منذ أربعينات القرن الماضي وحتى الآن[1].

وهكذا نرى أن هناك تجمعاً كبيراً للفكر الصهيوني بدأ من منتصف القرن التاسع عشر، وكان هذا التجمع يمثل حركة ضخمة لبناء فكر تقوم عليه الدولة اليهودية. ثم جاءت بعد ذلك مرحلة ولادة الصهيونية مع بدء هرتزل تحركه الكبير.

ثانياً: هرتزل وولادة الصهيونية

يلقب ثيودر هيرتزل (1860 - 1904) بالصهيوني الأول، أو أبي الحركة الصهيونية؛ لأنه أول من ساهم – بشكل فعلي وعملي – بوضع حجر الأساس في بناء الصهيونية، حيث اعتبره الصهاينة زعيم الصهيونية السياسية العلمانية الدولية ومؤسس الدولة الصهيونية. ولد هرتزل في هنغاريا، وعمل صحفياً بعيداً عن الثقافة والديانة اليهودية، لكنه عاش اللاسامية طالباً وصحفياً، وكان لمحاكمة دريفوس أثر بالغ فيه عندما حكم عليه بالنفي بعد ثبوت إدانته، فأيقظ ذلك بنفسه الشعور الديني اليهودي، وراح يفكر في مصير اليهود، وكان ذلك عاملاً رئيسياً في تحويل مجرى حياته السياسية، وبدأ يفكر في إيجاد حل نهائي للقضية اليهودية، وألّف كتابه عام 1896م بعنوان "الدولة اليهودية"، الذي يدعو فيها إلى فكرة "استعادة الدولة اليهودية" وتأسيس كيان سياسي ليهود العالم، دون أن يشير إلى الأرض التي ستقام عليها الدولة اليهودية المقبلة.

ومنذ أن أنهى مشروع كتابه، وهو يرى نفسه الزعيم الأول المنظّر، وكان ينظر للشعوب الأخرى كلها دون استثناء، على أنها معادية للسامية[2].

وقد أحدث كتابه ضجة كبيرة – ضده أو معه – وترجم إلى أكثر من لغة. وما زالت جذور الخطوط العريضة لمشروعه السياسي واضحة في الدولة اليهودية، ولم يطرأ عليها أي تغيير باستثناء رأيه بلغة الدولة وموقع الدولة. ويقوم مشروع هيرتزل العملي على خطوتين أساسيتين: أولهما، الحصول على وعد دولي بإعطاء اليهود أرضاً لبناء الدولة، والثاني، جمع الأموال من أثرياء اليهود لتثبيت دعائم هذا المشروع[3].

عقد المؤتمر الصهيوني الأول بازل في سويسرا (29-31 آب 1897 م)، وقد حضره مائتان وأربعة أعضاء من اليهود، يمثلون خمس عشرة دولة، وقد ترأس المؤتمر هرتزل، الذي كان يفوق الحاضرين شهرة وقدرة على الرئاسة بسبب عمله كصحفي وحضوره جلسات النواب.

---

[1] – شبكة فلسطين للحوار، 2008

[2] – رجا عبد الحميد عرابي، مرجع سابق، ص518-519

[3] – ابراهيم الحارثي من بابل إلى بوش، ط1، دار البشير للقافة والعلوم، 2005، ص152

أنشأ المؤتمر منظمة صهيونية دائمة، ينبثق عنها جهاز تنفيذي يتألف من ممثلين عن مختلف الاتحادات الصهيونية. وقد انتهى المؤتمر بانتخاب هيرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية وإطلاق برنامج الحركة الصهيونية العالمية أو ما عرف ببرنامج بازل[1].

تلخصت أهداف الحركة الصهيونية كما يراها هرتزل بالنقاط الآتية:

1- إيجاد وطن قومي لليهود، باعتبارهم شعباً تتوفر فيه المقومات الأساسية القومية، وهي اللغة والتاريخ، وسيادة قومية على إقليم معينه.

2- إنشاء دولة يهودية في فلسطين مهمتها حل المشكلة اليهودية، وتأمين سلامة اليهود المنتشرين في جميع أنحاء العالم.

3- العمل على الاستيلاء على الأراضي التي ستقام عليها الدولة اليهودية؛ ولو بالقوة لاستيطان اليهود عليها، وضمن المخطط العام.

4 - توطين المزارعين والفنيين والصناعيين اليهود في فلسطين بكل الطرق الممكنة لتملك الأراضي الزراعية، ونشر الزراعة اليهودية، والاستيلاء على البلاد بطريقة الشراء.

5- تنظيم جميع اليهود في العالم وربطهم برباط قوي، وتقوية الروح القومية والشعور القومي بينهم.

6- العمل على توطين دعائم الدولة الإسرائيلية في فلسطين كمنطلق لتحقيق الأحلام للسيطرة على العالم.

7- جمع التبرعات؛ وخاصة من اليهود الأثرياء لإنشاء "الصندوق القومي اليهودي" أو "الكارن كايميت".

تعتبر المنظمة الصهيونية العالمية هي المركز التنظيمي والمالي الرئيسي للصهيونية وينبثق عنها:

1 _ المؤتمر اليهودي العالمي، وهو يخص التشريع.

2 _ مؤسسات للطوائف: تجتمع في المؤتمر اليهودي العالمي.

3 _ هيئات تنفيذية لجنة الأعمال – الوكالة اليهودية.

4 _ منظمة عسكرية.

5 _ مؤسسات مالية وهي:

أ- البنك الصهيوني: وقد بدأ أعماله جدية عقب المؤتمر الخامس وهو (بنك انجلو فلسطين ليمتد).

ب- الصندوق القومي اليهودي ويقوم كلياً على التبرعات اليهودية، ويهدف للحصول على الأراضي في فلسطين.

ج- الصندوق التأسيسي الفلسطيني، ومهمته تنفيذ وعد بلفور.

ومن الجدير بالذكر أن المؤتمرات الصهيونية قد توالت كل أربع سنوات، حيث تجري فيها انتخابات لاختيار قادة المؤتمر الصهيوني العالمي، وكانت المؤتمرات تدور كلها حول كيفية استعادة فلسطين والخطوات اللازمة لذلك ومنها:

أ- تنظيم اليهود أنفسهم والإعداد للهجرة إلى فلسطين.

[1] – يحي علي يحي الدجني، مصدر سابق، ص46

ب- إنشاء جهاز إداري لجمع التبرعات والأموال وخصوصاً من الأثرياء مثل روتشيلد.

ج- أن تقوم جمعية عشاق صهيون بنشر اللغة العبرية، والدعوة لتكوين مستوطنات في أرض فلسطين وذلك لشراء الأراضي من الفلسطينيين بأي ثمن، ودفع اليهود بأكبر عدد ممكن للهجرة إلى فلسطين[1].

المطلب الثالث: أساليب الصهيونية ووسائلها في تنفيذ مخططاتها

تمكن اليهود بوسائلهم وأساليبهم اللاإنسانية، والملتوية التي استخدموها لتحقيق مآربهم في بناء دولتهم (اللاشرعية). ومن هذه الوسائل والأساليب:

1. المؤتمرات الصهيونية: المؤتمر الصهيوني هو الهيئة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية وقراراته هي التي ترسم الخطوط العامة لسياسات المنظمة. وقد عكست المؤتمرات الصهيونية القضايا والمسائل التي أشغلت بال وفكر الصهاينة حول تأسيس أول تنظيم قومي يهودي في العصر الحديث، وتحديد مؤسسات هذا التنظيم ودستور عملها والبحث في قضية القضايا، ألا وهي كيفية جعل القضية اليهودية محور القضايا في العالم، أما المهام الملقاة على عاتق المؤتمر فهي استلام تقارير إدارة المنظمة الصهيونية ومؤسسات الحركة الصهيونية الأخرى والعاملة في نطاقها، ومناقشة المقترحات المختلفة التي ترفع إلى المؤتمر واتخاذ قرارات بشأنها، ووضع السياسة المالية للمنظمة الصهيونية وهي تشمل المدخولات والمصروفات، ومناقشة تقارير المراقب واتخاذ القرارات والإجراءات بخصوصها وانتخاب رئيس المنظمة ورئيس الإدارة وأعضاء مجلس الإدارة وبقية الأجهزة والهيئات العاملة فيها ومن خلالها [2].

2. العمل العسكري: قامت الأداة العسكرية بدور رئيسي في نشأة الصهيونية التي اعتبر من أولوياتها لتدعيم أركانها ولكي تبدأ ألصهيونية مخططها في إقامة وطن قومي في فلسطين بدأت بإقامة المستعمرات الصهيونية في عام 1909 ومع إقامة أول مستعمرة صهيونية من المهاجرين الأوائل أمثال "بن جوريون" و"بن زيفي" تم تشكيل أول وحدات مقاتلة صهيونية لحراسة المستعمرات الصهيونية وحمايتها وعرفت باسم "هاشومير" أو "فرقة الحراس"، وبعد إعلان وعد بلفور حيث بدأت التشكيلات العسكرية من "الهاجاناه" و"الأرجول تسفاي ليئومي" و"شتيرن" ومن الهاجاناه شكل "البالماخ " كقوة ضاربة للحركة واشتركت مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكانت الوكالة اليهودية تمول التشكيلات العسكرية والمنظمات الإرهابية الصهيونية، وكانت العسكرية الصهيونية أداة الصهيونية في تحقيق فكرة الدولة. وهكذا فإن العسكرية الصهيونية عاملاً حيوياً بالنسبة للكيان الصهيوني وأصبح كل شيء في خدمة العمل العسكري لتحقيق مقتضيات الأمن ولتحقيق الأهداف التوسعية وكذلك في الاقتصاد والطرق والتعليم والمرافق والمستعمرات الزراعية كل هذا يتم بناؤه وتخطيطه على أساس عسكري حيث أن هذا التجمع العدواني الصهيوني يوصف بأنه ثكنة عسكرية أو مجتمع تحت السلاح فكل شيء في خدمة الحرب.

3. الاستيطان: لقد ارتبطت الصهيونية بالاستيطان باعتباره جزءاً منها وأساساً مهماً في مشروعها، وقد جسدت الحركة الصهيونية في فلسطين العقدية التوراتية في طرحها للاستيطان، حيث حولت ممارساتها العملية لاستعمارها

[1] - ابراهيم الحارثي، مصدر سابق، ص130

[2] - موقع مداد 2018

الاستيطاني في فلسطين إلى مفهوم توراتي "عودة الشعب إلى أرض الميعاد" ولذلك يتم استقبال المهاجرين المستوطنين اليهود إلى فلسطين كمهاجرين إلى أرض إسرائيل. فالاستيطان الإسرائيلي هو التطبيق العملي للفكر الاستراتيجي الصهيوني الذي انتهج فلسفة أساسها الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، بعد طرد سكانها الفلسطينيين بشتى الوسائل بحجج ودعاوى دينية وتاريخية باطلة، وترويج مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وجلب أعداداً كبيرة من اليهود من مختلف أنحاء العالم، وإحلالهم بدلاً من العرب الفلسطينيين، بهدف إقامة دولة يهودية في المنطقة العربية. ويتضح من كل ما سبق إن إقامة المستعمرات والاستيطان على الأرض الفلسطينية يمثل حجر الزاوية في الإيديولوجية الصهيونية وذلك للأهمية العظمى التي ينطوي عليها الاستيطان وتكمن هذه الأهمية في عدة جوانب ديمغرافية وأمنية وسياسية واقتصادية ومائية وطائفية، وقد لعبت المؤسسات اليهودية التي أنشئت لهذا الغرض ومن بينها: منظمة بيكا التي أسسها روتشيلد، والوكالة اليهودية التي انبثقت من المؤتمر الصهيوني العالمي الأول عام 1897، والصندوق القومي اليهودي "الكيرن كايمت" وصندوق التأسيس اليهودي "الكيرن هايسود" والشركة الإنجليزية الفلسطينية. ونشطت المؤسسات الصهيولية بعد الحرب العالمية الأولى خصوصاً بعد تمكن المنظمة الصهيونية العالمية من استصدار وعد بلفور الشهير عام 1917 الذي يقضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ثم وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، حيث لعبت حكومة الانتداب دوراً كبيراً في تمكين اليهود من السيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية.

في مقابل ذلك اتخذ مفهوم الاستيطان أشكال عدة أبرزها عمليات التهجير القسري للفلسطينيين أو قتلهم وإبادتهم إبادة جماعية، والاستيلاء على منازلهم أو هدمها وإصدار قرارات قانونية بذلك تنفذها الدوائر الصهيونية أو ينفذها الجيش، ولم يتغافل الصهاينة عن تهويد كل الأراضي العربية.

4. الإعلام: يناضل الكيان الصهيوني من أجل تشكيل تصور ومفاهيم عند الرأي العام في كل ما يتعلق بإسرائيل والصراع العربي الصهيوني، إن المنظمات المؤيدة لإسرائيل تعمل بشكل متواصل من أجل التأثير على وسائل الإعلام، لأنها مهمة في تحديد الرأي العام، وقد عملت الحركة الصهيونية منذ البداية على إقامة كيان صهيوني لليهود، لذلك كانت دعايتهم تقوم على كل السبل التي تؤدي إلى هذا الهدف، وقد ظل هذا الهدف محور الدعاية الصهيونية، تحيط به الأهداف الأخرى مكملة له، وصار هدف الدعاية الصهيونية الأساسي العمل على إقامة الكيان الصهيوني ودعمه سياسياً وعسكرياً واجتماعياً وثقافياً، ولذلك نظمت الدعاية الصهيونية أساليب مدروسة لتناسب عقليات وعواطف الجماعات المختلفة التي وجهت إليها رسالتها الإعلامية سواء أكان هذا المتلقي يهودياً أو فلسطينياً أو عربياً أو مواطناً في المجتمع العالمي، وتعتبر الدعاية الصهيونية من أنجح الدعايات الإعلامية التي تقوم بأكبر عملية غسل أدمغة على المستوى العالمي، يساعدها في ذلك امتلاك اليهود للإمكانيات الاقتصادية والمالية، إضافة إلى معرفة اليهود لأنسب الطرق لمخاطبة العقل الغربي، حيث سهلت عليهم جذورهم الأوروبية أن يحققوا أكبر عملية غسل دماغ بشرية في التاريخ لصالح قضيتهم التي عملوا من أجلها، ألا وهي تهويد فلسطين وتغيير معالمها. قدم الإعلام خدمات كبيرة للغاية للمشروع الصهيوني وهدفه في إقامة كيان «إسرائيل»، حيث شكل حجر الزاوية في

الاستراتيجية الصهيونية منذ قيام الحركة الصهيونية، يحتل الجانب الدعائي حيزاً هاماً في النشاط الصهيوني الإعلامي الموجه من خلال أجهزة ووسائل الإعلام الإسرائيلية، أكد الحاخام بريتورن في اجتماع سري نظمه اليهود في عام 1869م في سويسرا على أنه «إذا كان الذهب هو القوة الأولى في العالم فإن الصحافة هي القوة الثانية وعلى اليهود الاستيلاء على الصحافة بواسطة الذهب لتحطيم الحياة العائلية والأخلاقية والدين والفضائل الموجودة لدى البشرية عامة»، ولهذا تجهد الماكينة الصهيونية لبث روح الدعاية وإحيائها في المجتمع الإسرائيلي أو التوجه إلى الخارج من خلال امتلاك أكبر عدد ممكن من المؤسسات الإعلامية ووكالات الأنباء الوطنية والعالمية، وتسعى «إسرائيل» دائماً لتحقيق النصر في المعركة الإعلامية على المستوى المحلي والعالمي ضد الفلسطينيين وضد كل ما هو عربي باعتمادها على كل ما هو متاح من وسائل الحرب النفسية وأدواتها الإعلامية بالإضافة إلى الاستخدام الماكر للمعارض والمتاحف والسينما والمسرحيات والندوات والاجتماعات والملصقات والمنشورات وكذلك عبر التبادل الثقافي والعلمي مع الأخرين.

5. الجمعيات والمنظمات

أ- آيباك (:AIPAC آيباك هي اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة، وهي واحدة من أقوى مجموعات الضغط في الولايات المتحدة، يعرف نفسه بأنه "اللوبي الأمريكي المؤيد لإسرائيل" تضم حوالي 100 ألف عضو، وصفتها صحيفة نيويورك تايمز بأنها "قوة رئيسية في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط" ومن أهدافها الحصول على الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني، سواء كان مالياً أو عسكرياً أو دبلوماسياً، ويضمن أيضاً حق الفيتو المنهجي للولايات المتحدة ضد أي قرار للأمم المتحدة يدين الأعمال الإسرائيلية، وله تأثيره على الكونغرس بحيث تصبح إسرائيل تتمتع بحصانة فعلية من كل الانتقادات، ويرجع نجاحه إلى قدرته على مكافاة المشرعين وأعضاء الكونغرس الذين يدعمون جدول أعماله ومعاقبة أولئك الذين يتحدون ذلك.

هذا اللوبي المؤيد لإسرائيل والمهيمن على الكونغرس هو أيضاً مؤثر على البيت الأبيض، ومن المسلم به أنه لا يمكن انتخاب الرئيس الأمريكي إلا إذا كان قد تعهد بالولاء للإيباك، وبالتالي إلى الكيان الصهيوني الذي يملي خارطة الطريق عليه بمجرد انتخابه.

ب- الماسونية: وهي من أخطر الجمعيات السرية في العالم وأقدمها، هدفها خدمة أغراض اليهود العالمية في تدمير الأديان وتمزيق الشعوب، تمهيداً لسيطرة اليهود على العالم، وذلك تحقيقاً لتوراة اليهود وتلمودهم. في سنة 1861 قالت النشرة اليهودية "إن روح الماسونية الأوروبية هي روح اليهودية في معتقداتها الأساسية، والآمال التي تنير طريق الماسونية وتدعمها، هي الآمال التي تنير طريق إسرائيل وتدعمه، ومكان تتويجها هو بيت العبادة البديع حيث تصبح القدس رمزاً وقلباً منتصراً([1]).

[1] - عبد الله التل، مصدر سابق، ص127

وقال الحاخام الدكتور Isaac Wise في مجلة – The Israelite of America الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وفي إيضاحاتها يهودية من البداية حتى النهاية".
(The Israelite of America)

ومن أهم أهداف الماسونية هو القضاء على جميع الأديان غير اليهودية، والعمل على إسقاط الحكومات الشرعية، والقضاء على الأخلاق والمثل العليا عن طريق نشر الإباحية، والفساد، والانحلال، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة. وأخيراً السيطرة على الإعلام لنشر الإشاعات، والأراجيف الكاذبة؛ حتى تصبح وكأنها حقائق؛ للتلاعب بعقول الجماهير، وطمس الحقائق وبالتالي هدم البشرية من خلال العمل على تقسيم البشرية إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

ج – الروتاري: الروتاري جمعية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة، تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر، وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية، وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم، في 23 من فبراير عام 1905م أسس المحامي بول هاريس أول ناد للروتاري في مدينة شيكاغو بولاية الينوي، يوجد توافق كامل بين الماسونية والروتاري في مسألة (الدين، والوطن، والسياسة)، وفي اعتمادهم على مبدأ (الاختيار) فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنفسه للانتساب، ولكن ينتظر حتى ترسل إليه بطاقة دعوة العضوية، إن القيم والروح التي تضيع بها الفرد واحدة في الماسونية والروتاري مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون العالمي، وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفراداً ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم، تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف، وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية، وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية. أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء، وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع معلومات تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية وتساعدهم على نشر عادت معينة تعين على التنفس الاجتماعي، ويتأكد هذا إذا علمنا بأن العضوية لا تمنح إلا للشخصيات البارزة والمهمة في المجتمع[1].

د – بناي برث (أبناء العهد) أنشئت في نيويورك سنة 1843 على يد الألماني هنري جونس، وتعتبر أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة وذراع من أذرعتها الهدامة، ولا تختلف عنها كثيراً من حيث المبادىء والغايات إلا أن عضويتها مقصورة على أبناء اليهود، وخدمتها موجهة أساساً لدعم الصهيونية في العالم. ومن أهم إنجازاتهم أنهم عملوا على تأسيس مستعمرات يهودية صغيرة في فلسطين، وكانت (موتسا) أول قرية يؤسسونها عام 1894م بالقرب من القدس مشكلين بذلك نواة الكيان الإسرائيلي الحالي، من أشهر منتسبيها عالم النفس الشهير اليهودي

[1] – موقع إسلام ويب، 2002

سيجموند فرويد، وفوستر دالاس: وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية عام 1958م. من أهم أهدافها دعم الماسونية العالمية في خططها وبرامجها الهدامة، ودعم الوجود الإسرائيلي في فلسطين وتشجيع اليهود ليهاجروا إليها، العمل على تدمير الأخلاق والحكومات الوطنية والأديان عدا اليهودية التقاط الأخبار واحتلال المراكز الحساسة في الدول المختلفة، كما أن لهم أنظمة داخلية سرية وشبكة من العملاء السريين. وقد تغلغلت هذه الجمعية في صميم الحياة الأمريكية والإنجليزية وتحكمت في شؤون الاجتماع والسياسة والاقتصاد لهذين البلدين خاصة، في 1913م أسسوا جمعية لمكافحة التشهير والإهانة وتشويه السمعة التي يتعرض لها اليهود في العالم[1].

هـ.منظمة شهود يهوه: منظمة صهيونية ترتدي ثياب المسيحية، تأسست في الولايات المتحدة عام 1874 على يد تشارلز راسل، أما الاسم نسبة إلى يهوه إله بني إسرائيل بحسب العهد القديم في سفر الخروج. وتتخذ من الشمعدان السباعي رمزاً لها، وهو رمز الإسرائيليين الوطني، وهي تقوم على مبدأ التنبوءات التوراتية في النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازماً عند المسيحيين بوجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد تحقيقاً لأوامر يهود، يزعمون أن عدد أتباعهم حوالي 8 ملايين يتوزعون على دول العالم[2]، من أهم وأخطر أهدافها الدعوة العالمية إلى أن يكون الشعب الوحيد الحاكم على الأرض هم شعب إسرائيل وأن تزول الممالك جميعها وتبقى مملكة واحدة هي مملكة بني إسرائيل في القدس، يبشرون الناس بفلسطين وطناً قومياً لليهود. ويعملون على تقرير عقيدة مملكة إسرائيل العالمية بين الناس ومن ثم الدعوة إلى القضاء على جميع الأنظمة السياسية. أصدروا أول نشرة لمجلتهم سنة (1879) بعنوان Zion's Watch Tower

غير أنهم لاحظوا أن دعوتهم مكشوفة فحذفوا كلمة (صهيون) وصارت بعد ذلك Watch Tower إنهم يسعون لإقامة هيكل سليمان ليكون عرش اليهود يحكمون العالم وهم عليه.

وسائل الحركة الصهيونية في تحقيق أهدافها أما:

1_ المال: أتاحت الرأسمالية للعنصرية اليهودية أوسع الفرص لتجسد عداءها القبلي "المقدس" للشعوب بوسائل أصبحت مشروعة في ظل الليبرالية. ولم يكن غريباً أن ينتهي كل هذا إلى أن يصبح اليهود في المجتمعات الرأسمالية سادة "المال" المسيطرين على أرزاق الناس من خلال البنوك. إن الخلفية المعادية للشعوب التي كانت ثمرة الجمود العنصري التي تربت عليه أجيال متعاقبة من اليهود في أوروبا، حالت دون أن يجد اليهود في البناء الاقتصادي وما يصاحبه من تقدم اجتماعي ما يقربهم، واختاروا البنوك كأدوات للسيطرة على المجتمعات ولم يختاروا "المصانع" مثلاً لأنها أدوات البناء الاجتماعي، وسيختارون بعد ذلك الصحافة والإعلام عندما تصبح أدوات السيطرة. كل ذلك لسبب بسيط هو أنهم لا يعتبرون تلك مجتمعاتهم ليسهموا في بنائها، بل يعتبرونها أعداءهم فعليهم بأمر يهوه أن يسيطروا عليها أو يخربوها[3].

---

[1] موقع موسوعتنا، 2015

[2] –موقع الجزيرة، 2017

[3] – محمد خليل، العلاق بين الرأسمالية والصهيونية، 2014، suolawe.com

2-الفتن وإثارة الخلافات؛ من أعمال اليهود المعروفة بالإضافة لما سبق هو إثارة الفتنة والخلافات والنزاعات والتطاحن بين أبناء المسلمين والنتيجة طبعاً ستكون لصالح اليهود، فقد استخدموا أساليب كثيرة في الذم بين طيات الكتب والطعن بالمعتقدات، وإثارة النعرات الطائفية والعرقية بين المسلمين بأساليب جديدة أدت إلى تدمير البلاد. وضياع الكثير من الثروات ونهبها عن طريق تأسيس عصابات ذيلية ترتبط بهم مطلية بصيغة بعض الأحزاب السياسية العلمانية، ولو بحثنا وراء جذور الأحزاب المنحرفة الهدامة التي تخدم مصالح الاستعمار في العالم لوجدنا أن المؤسسين هم من اليهود وذلك عبر التنسيق مع بعض السفارات الأجنبية لذا لم تقم تلك الأحزاب الاستعمارية بأي عمل ضد اليهود[1].

3- الفساد: جعلوا أنفسهم أداة تخريب الأديان، حيث يعتقدون أن هذه الأديان تجعلهم في الدرجة الثانية بعد أصحاب البلاد، سواء أكانوا مسيحيين في الغرب أو مسلمين في الشرق أو غيرهما، فتعمدت اليهودية العبث بالأديان والثقافات لمصلحتها، فاليهودي يهودي مهما تكن جنسيته، ومهما يعتنق من عقائد ومبادئ في الظاهر ليخدم بها نفسه وأمته، فلا مانع أن يتجنس بالجنسية الإنجليزية أو الأمريكية أو الفرنسية أو أي جنسية أخرى عربية أو غربية، ويزيد جنسيته طالما كان ذلك في مصلحة اليهودية[2].

4- العنف والقتل: إن ظاهرة العنف والقتل هي الأشد خطراً في التاريخ اليهودي، منذ التآمر على النبي الكريم وعلى المسلمين عند ولادة دينهم وصولاً إلى اللحظة الراهنة، فالتعاليم المحرفة للتوراة، التي صاغها الحاخامات اليهود وفقاً لمصالحهم، تنطلق من "الذاتية والأنا" المطلقة، والعدوان على كل الآخرين، واحتقارهم. في سفر إشعيا نقرأ "ليمت جميع الناس ويحيى إسرائيل وحده"، حاولت إسرائيل أن تربط بين عنفها والمقدس، أي أن تجعل من كل مذابحها وحرائقها بحق شعبنا وأمتنا مسألة مرتبطة بالإله، وهو الذي يبررها وفقاً لمعتقدات الحاخامات التحريفيين بحيث تبدو مسألة ربانية ما على اليهود إلا اعتناقها وممارستها فعلاً على الأرض، بالتالي، أصبح العنف والقتل اليهودي للأغيار (غير اليهود) بالنسبة إلى المتدينين اليهود ذا مضمون عنصري استعلائي مقدس، فجابوبنسكي التحق بعصابات الهاجاناه الصهيونية لقتل العرب والفلسطينيين، خاصة في القدس، ورفح لإقامة إسرائيل بالقوة ومن أقواله، «إن الاقتتال بالسيف ليس ابتكاراً ألمانياً، بل إنه ملك لأجدادنا الأوائل، وقد نزل علينا من السماء» بن غوريون آمن بالمذابح والفكر التوسعي، وترك حدود إسرائيل مفتوحة، وكان من مؤيدي مقاطعة العرب وطردهم من أراضيهم، هؤلاء كما غولدا مائير (التي تنزعج من كل صباح يولد فيه طفل فلسطيني)، كذلك ليفي أشكول ومناحيم بيغن، الذي يقول إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليس السلام، بل السيف»، كما شامير، بيريز، شارون، باراك ونتنياهو، دعموا بشدة التوسع في سياسة الاستيطان، وهم يعتقدون بأن الضفة الغربية هي (يهودا والسامرة)، وهي جزء من أراضي إسرائيل... رابين صاحب الأساليب الوحشية في (تكسير عظام الفلسطينيين)، وهو الذي تمنى أن

[1] - الألوكة، من صفات اليهود الإفساد في الأرض، www.alukah.net

[2] - جريدة الأهرام، خطط اليهود التلمودية هدم الدين والأخلاق، 2016، www.alahram.org

(يصحو يوماً ويكون البحر قد ابتلع غزة)، معظم هؤلاء ارتكبوا مجازر بحق الفلسطينيين والعرب في عهودهم في رئاسة الوزراء[1].

المطلب الرابع: بروتوكولات حكماء صهيون (التطبيق العملي لمخططات اليهود):

عندما صدر كتاب بعنوان بروتوكولات حكماء صهيون، أول مرة بالإنجليزية في لندن سنة 1919، أثار عاصفة هوجاء من حوله، وقد أنكر الصهاينة هذا الكتاب واعتبروه مزوراً ومن صنع المعادين للسامية بقصد إيذاء اليهود، وأن من يقرؤه أو يتحدث عنه معادٍ للسامية ويستحق العقاب. لكن النتيجة كانت عكس ما سعت الحركة الصهيونية له، إذ ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات، واكتسب شهرة فائقة، وعندما صدرت النسخة الواحد والثمانون بالإنجليزية عام 1958، كان قد وزع منه أكثر من مليون نسخة بهذه اللغة فقط. وتظهر البروتوكولات الأربعة والعشرين التي يحويها الكتاب، مخططاً شاملاً لاستيلاء المنظمة اليهودية العالمية على مقدرات العالم، وذلك بتقويض كل ما هو قائم، وبعدها يقيمون مملكة يهودية لنسل داود على أنقاض الحكومات المنهارة. ويصعب الإحاطة ببرنامج البروتوكولات كاملاً، لأنه متشعب ولا يترك مجالاً من مجالات الحياة إلا وذكره بهدف تخريبه والسيطرة عليه تمهيداً لحكم الشعب المختار[2].

وقد اختارت الباحثة هذه النماذج المختارة بنصوصها من بروتوكولات حكماء صهيون

– من البروتوكول الثاني: سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء، الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة، والأمميون (غير اليهود) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يشيعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه.

– من البروتوكول الثالث: أن كلمة الحرية تزج بالمجتمع في نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله، وذلك السبب في أنه يجب علينا – حين نستحوذ على السلطة – أن تمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء.

– من البرتوكول الرابع: إن الصراع من أجل التفوق، والمضاربة في عالم الأعمال ستخلقان مجتمعاً أنانياً غليظ القلب منحل الأخلاق، هذا المجتمع سيصير منحلاً كل الانحلال ومبغضاً أيضاً من الدين والسياسة، وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد، وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب متخذاً اللذات المادية التي يستطيع أن يمده بها الذهب مذهباً أصيلاً، وحينئذٍ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسيها الذين هم الممتازون من الأمميين دون إحراج بدافع نبيل، ولا رغبة في الثورات أيضاً، بل تنفيساً عن كراهيتهم المحضة الطبقات العليا.

---

[1] – فايز رشيد، ايديولوجيا القتل والعنف في الفكر الصهيوني، دروس القدس العربي، 2015، www.alukah.com

[2] – ابراهيم الحارثي، مصدر سابق، ص195

– من البروتوكول الخامس: لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية، والقبلية خلال عشرين قرناً، والأهم استعمال العواصف المتأججة في أغراضنا بدلاً من إخمادها وتشجيع أفكار الآخرين في أغراضنا.

– من البروتوكول التاسع: "إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية، والمساواة، والإخاء وسوف نبذل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول الحق الحرية وواجب المساواة وفكرة الإخاء"، وبها سنمسك الثور من قرنيه، وحينئذٍ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا.

وإنني أستطيع في ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع، وأننا المتسلطون في الحكم والمقررون للعقوبات، واننا نقضي بإعدام من نشاء، ونعفو عمن نشاء، نحن – كما هو واقع – أولو الأمر الأعلون في كل الجيوش، الراكبون رؤوسها، ونحن نحكم بالقوة القاهرة، لأنه لا تزال في أيدينا الفلول التي كانت الحزب القوي من قبل، وهي الآن خاضعة لسلطاننا، إن لنا طموحاً لا يحد، وشرهاً لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس، إننا مصدر إرهاب بعيد المدى، وإننا نسخر في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب من رجال يرغبون في إعادة الملكيات

– من البروتوكول الرابع عشر: حينما تمكن أنفسنا فنكون سادة الأرض، لن نتيح قيام أي دين غير ديننا، أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم. ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا — بعقيدته الصارمة – واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا.

– من البروتوكول السابع عشر: وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً بعد يوم، سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جداً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً على الناس، حتى إن تعاليهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها.

– من البروتوكول العشرين: إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في البلاد الأممية – قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى الاستنجاد بملاك هذه الثروات لإصدار قروض، ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها ألى دفع فوائد المال المقترض مكبلة بذلك أيديها.

– من البروتوكول الرابع والعشرين: إن أسلوبنا لصياغة الدولة سيشتمل على المبادئ ذاتها التي سلمت حكماءنا مقاليد العالم، أي توجيه الجنس البشري كله وتعليمه، وإن أعضاء كثيرين من نسل داود سيعلون ويربون الملوك وخلفاءهم الذين لن ينتخبوا بحق الوراثة، بل مواهبهم الخاصة، وهؤلاء الخلفاء سيفقهون فيما لنا من مقومات سياسية سرية، وخطط للحكم، آخذين أشد الحذر من أن يصل إليها أي إنسان آخر، وستكون هذه الإجراءات ضرورية

كي يعرف الجميع أن من يستطيع أن يحكموا إنما هم الذين فقهوا تفقيهاً في أسرار الفن السياسي وحدهم، وهؤلاء الرجال وحدهم سيعلمون كيف يطبقون خططنا تطبيقاً عملياً مستغلين تجاربنا خلال قرون كثيرة[1].

ترى الباحثة أن الحركة الصهيونية ولدت وترعرعت ونمت في أحضان الدول الغربية، نتيجة التغيرات السياسية التي حصلت فيها وخصوصاً حركة الإصلاح الديني البروتستانتي، واستطاعت الصهيونية استغلالها في نشر مبادئها وأفكارها النصوص التلمودية والتوراتية المحرفة، وظهور ما يعرف الصهيونية المسيحية التي لعبت دوراً أساسياً في توجيه الساسة الغربيين في إجاد وطن قومي لليهود، وأن المؤتمر الأول الصهيوني المنعقد عام 1897م برئاسة هيرتزل هو نواة المشروع الصهيوني وتحولت إلى برنامج سياسي، وبالتالي يمكن اعتبار أن الصراع العربي – الصهيوني بدأت ملامحه منذ ذلك الوقت، رغم عدم الإدراك العربي والاسلامي لخطورته في حينها، كما أن الصهيونية أدركت أن مشروعها السياسي لن يكتب له النجاح في تجميع اليهود في فلسطين؛ إلا إذا اعتمد على الأبعاد الدينية في بناء دولتها وحاكت الأساطير والمزاعم من الانتقاء للنصوص التوراتية التلمودية المحرفة، لتؤسس عليه دولتها، ويكون المبرر لتنفيذ مخططها ويكون غطاء تستند عليه، لأنها تعرف أنها لا تملك إي حق قانوني أو تاريخي يمكنها أن تستند عليه.

[1] – محمد التونسي، مصدر سابق، ص110-111

الفصل الثالث: "قانون قومية الدولة اليهودية المزعوم"

ينص قانون قومية الدولة اليهودية الذي أقر في 19 تموز 2018 على أن: (دولة إسرائيل هى دولة الشعب اليهودي وعاصمتها القدس الكاملة الموحدة، وأن اللغة العبرية وحدها هي اللغة الرسمية، وأن الدولة مفتوحة أمام قدوم اليهود ولمّ الشتات، وأن تطوير الاستيطان قيمة قومية وتعمل لأجل تشجيعه ودعم إقامته وتثبيته، ويمنح اليهود وحدهم حق تقرير المصير في إسرائيل).

إن قانون القومية ليس قانوناً عنصرياً فقط، بل هو في جوهره قانون استعماري إحلالي عنصري، وكما يقال ليس بعد الكفر ذنب، فالجريمة الأشد والأعظم في حق الشعب الفلسطيني تاريخياً وقانونياً هي الاحتلال الإسرائيلي نفسه وما ارتكبه من مجازر جماعية وتطهير عرقي وإبادة جماعية لاقتلاع شعب من أرضه وتهجيره من بلاده قسراً بالقوة العسكرية الجبرية وإحلال شعب آخر مكانه، هذا الاحتلال الحربي الذي يجرّمه القانون الدولي بكافة فروعه والاتفاقيات الدولية وخاصة اتفاقيات جنيف الأربعة وكافة المواثيق والصكوك العالمية وفي مقدمتها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ولكن للعنصرية والتمييز العنصري صفة خاصة في هذا القانون، إذ في جوهره يؤصل "يهودية الدولة" على أساس ديني مبني على عقيدة إيمانية بأن اليهود هم شعب الله المختار وأنهم عرق سامي دماءهم طاهرة وهم أعلى مرتبة من بقية شعوب العالم وأن هذا التفوق للشعب اليهودي ونقاء الدم اليهودي يوجب عدم اختلاط الدم اليهودي بدماء الآخرين، وأن فلسطين المحتلة هي أرض الميعاد ولمّ شمل اتباع الديانة اليهودية من الشتات.

التمييز العنصري في القانون الدولي...

فالتمييز العنصري سلوك لا إنساني وغير فطري وفي الجانب الأخلاقي وهو مصطلح كريه تشمئز منها النفوس البشرية والضمير الإنساني وهو أبغض البغيض، ويعتبر التمييز العنصري جريمة دولية تصنف على أنها أم الكبائر في القانون الدولي لحقوق الإنسان وأصل جميع الشرور في العالم، والمحفز الأول لأبشع الجرائم وأغلظها من قتل وإبادة جماعية وتطهير عرقي وتعذيب وغيرها.

لذا فالقانون الدولي العام والقانون الدولي الجنائي والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقرارات الأممية وكافة المواثيق والصكوك العالمية لحقوق الإنسان (والاتفاقيات الدولية ذات العلاقة) جميعها تجرّم التمييز العنصري بكافة أشكاله ومظاهره وتعتبر الفصل العنصري جريمة ضد الإنسانية ومن الجرائم التي لا تتقادم زمنياً بمرور الوقت، ويلزم جميع الدول بمكافحة التمييز العنصري ومناهضته واتخاذ كافة التدابير اللازمة للقضاء عليها وبذل ما في وسعها في سبيل ذلك. وكما يلزم القانون الدول بتأمين الحماية القانونية للأفراد من هذا التمييز أو التحريض عليه، كما أنه يعطي الشعوب والأفراد الحق في مقاومة هذا التمييز والتصدي له ويجرّم الانتماء للمنظمات والجماعات التي تدعو للتمييز العنصري أو تشجعه أو تحرض عليه.

أهمية القانون...صك اعتراف..

تتبلور أهمية هذا القانون في أنه أسقط ورقة التوت وكشفت عورة الكيان الصهيوني الغاصب وأظهرت حقيقته العنصرية جلية أمام العالم بأسره، ودحضت مقولة أن إسرائيل الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط. وجددت العلاقة بين الصهيونية والعنصرية.

كما أثبت هذا القانون بشكل قاطع وبما لا يدع مجالاً للشك صحة الرواية الفلسطينية عن حقيقة هذا الاحتلال الغاشم بوصفه "نظام ارباتهايد" يتجاوز ما كان معروف في جنوب إفريقيا فهو لا يكتفي بالتمييز العنصري والعزل العنصري، بل يعمل جاهداً للقضاء على الشعب الفلسطيني وزوال شخصيته وإنهائه من الوجود وطمس الهوية العربية ووأدها حية بكامل مكوناتها لغة وثقافة وتراثاً وتاريخاً.

ويمثل هذا القانون صك اعتراف وإقرار من الاحتلال الإسرائيلي بجميع ما جاء في تقرير (لجنة الأمم المتحدة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا) – إسكوا – الذي نشر يوم 15 مارس/ آذار 2017م الذي اتهم إسرائيل بتأسيس نظام فصل عنصري يهدف إلى تسلّط جماعة عرقية على أخرى، وقدم أدلة ومعطيات تؤكد فرض إسرائيل نظام أبارتايد على الفلسطينيين، هذا التقرير الذي تم سحبه بقرار من الأمين العام للأمم المتحدة بعد ضغوط أمريكية واستقالت على أثر ذلك د.ريما خلف "الأمينة التنفيذية للإسكوا".

وعليه نؤكد أن التمييز العنصري والفصل العنصري في الحالة الفلسطينية هي العَرَضْ وليست المرض، فالمرض هو الاحتلال الصهيوني ذاته، ولن تنتهي ممارسات العنصرية غلا إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين.

وبقراءة متعمقة في فحوى بنود هذا القانون نجد أنه:

1. رغم كونه ليس أول قانون عنصري تفرضه سلطات الاحتلال الصهيوني ولن يكون الأخير ولكنه يعتبر أخطرها على الاطلاق منذ نكبة شعبنا سنة 1948 وحتى اليوم، ويتجاوز في شروره إعلان بلفور ووثيقة صك الانتداب نفسها، فهو قانون يشجع النزعة الاستعمارية الاقلاعية الاحلالية ويشرعنها ويمنحها حماية قانونية وغطاء دستوري.

2. يهدف إلى نزع الصفة الجرمية عن الاحتلال وممارساته الإجرامية ضد شعبنا الفلسطيني وإصباغ الصفة الدستورية الشرعية على الانتهاكات الصهيونية للقانون الدولي وخاصة الاستيطان وعمليات التهويد المضطردة والشاملة لجميع المكونات الديمغرافية والحضارية والثقافية والدينية في فلسطين المحتلة.

3. ويرسخ زوراً أكذوبة الحق التاريخي لليهود في فلسطين استناداً لعقيدة دينية تقوم على تفوق وسمو اليهود على باقي البشر باعتبارهم العرق النقي ودماءهم طاهرة يحرم اختلاطها بدماء بقية البشر، وهذا هو جوهر جريمة التمييز العنصري والفصل العنصري المؤثمتين في القانون الدولي.

4. يُكرّس الوضع النهائي للقدس كعاصمة كاملة وموحدة للكيان الصهيوني في ضوء قرار الرئيس ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارته إليها وطرحها خارج أي مفاوضات مستقبلية.

5. يقنن الأنشطة الاستيطانية كقيمة قومية ويشجع عليه ويعمل لأجل تثبيته مما سيزيد وتيرة هدم المنازل ومصادرة الممتلكات وبناء المستوطنات بشكل كبير جداً سيترتب عليه كوارث إنسانية سيتعرض لها الإنسان الفلسطيني.

6. يفتح الباب على مصرعيه لهجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة بدون قيد أو شرط، ويغلق الباب نهائياً في وجه عودة اللاجئيين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجّروا منها قسراً على يد الأفواج الأولى من المهاجرين المستعمرين الصهاينة.

خطورة قانون "قومية الدولة .."

تكمن خطورة هذا القانون في طبيعته كقانون أساس بمثابة جزء من دستور الدولة غير المدوّن وأقوى القوانين ولا يجوز لأي قانون أو تشريع آخر أن يخالفه، وكذلك لا تجوز للمحاكم على درجاتها أن تخالفه في أحكامها القضائية وإلا صارت أحكامها باطلة لكونها غير دستورية. فهذه القوانين الأساسية يعتبرها الكنيست "السلطة التشريعية الوحيدة في إسرائيل ويعاملها على أنها واحدة من المواد والقواعد الدستورية لدستور غير مدون، فإسرائيل لا يوجد لديها دستور مكتوب كما هو متعارف عليه قانونياً ودولياً، وعلى الرغم من أنه النظام القضائي لديها يخلو من هرم عمودي للتشريعات والقوانين وأسس واضحة لتحديد قوة وأسبقية القوانين الأسياسية فيما بينها أو أسبقيتها مع التشريعات العادية، إلا أنه في التطبيقات الواقعية تعطى الأسبقية في التطبيق للقوانين الأساسية على باقي القوانين العادية وعند تنازع القوانين الأساسية فيما بينها يتم ترك تفسير هذا الانتزاع وحله للاجتهادات القضائية في المحاكم وهو معيار غير محدد والذي قد يخضع لاعتبارات سياسية توظف للإضرار بمصلحة الشعب الفلسطيني.

يهدف إلى تقنين الجرائم التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الإسرائيلية وانتهاكاتها للقانون الدولي والشرعية الدولية وبشكل خاص اتفاقيات جنيف الأربعة لسنة 1949 التي مارستها طوال 70 عاماً من احتلالها لأرض فلسطين، وتحديداً نزع الصفة الجرمية عن هذه الممارسات، لا بل وأكثر من ذلك منح حصانة دستورية لاستمرار هذه الجرائم والانتهاكات بشكل أوسع وأكثر عنصرية وإجراماً.

في الواقع العملي سيكون هذا القانون مصدر دستوري وستكون نتائجه وخيمة على شعبنا منها اتخاذ إجراءات إدارية وتشريعية وقضائية لتكريس سيادة الاحتلال الصهيوني وبسط سلطته على القدس والضفة وكامل أرض فلسطين وكذلك إباحة ممارسة إجراءات عنصرية إقصائية من حيث مصادرة الأراضي، والتهويد، والإبعاد، وهدم المنازل، والحرمان من الحقوق المدنية والوطنية، وممارسات الفصل العنصري كطرد الفلسطينيين من أحياء القدس وضواحيها ونفي الأسرى الفلسطينيين خارج فلسطين المحتلة وطمس الهوية العربية لغة وتراثاً وثقافة. كما أنه سيفتح الباب على مصرعيه لتدفق هجرة اليهود من دول العالم إلى أرض فلسطين المحتلة.

والخطورة الأكبر أيضاً في التطبيق القضائي حيث أن هذا القانون سيؤدي إلى إبطال وتعطيل أحد أهم الأدوات والخيارات القانونية المتاحة التي يلجأ إليها الفلسطينيون للمطالبة بحقوقهم أو رفع الظلم عنهم وهي المحكمة الدستورية والتي ستعتمد في أحكامها الصادرة مستقبلاً على هذا القانون كونه قانون أساس وبذلك تغدو ممارسات وسياسات التمييز العنصري والفصل العنصري ضد شعبنا الفلسطيني محمية ومصانة بموجب القانون.

المبحث الأول: قراءة قانونية في مواد قانون القومية اليهودية..

ملاحظات عامة...

1. يتألف القانون من 11 بنداً / مادة صيغت بعناية فائقة ودقيقة حرفاً حرفاً وكل كلمة لها معنى محدد بدقة مقصودة بذاتها صراحة، وقد نوقشت باستفاضة طوال ما يزيد عن سبع سنوات، وعليه فعند قراءتنا لهذا القانون لا بد أن نتوقف عند المفردات المستخدمة والغاية الحقيقة منها ومراعاة عدم تأويلها خارج صريح الألفاظ.
2. كل مادة في هذا القانون لا بل كل فقرة تهدم مبدأ قانوني عالمي راسخ أو قاعدة قانونية آمرة في القانون الدولي وتحاول إعادة صياغة قواعد القانون الدولي بما يخدم مصلحة ومستقبل الاحتلال الصهيوني.
3. خلا القانون من مفردات رئيسية مثل (ديمقراطية/إسرائيلي/مساواة /جنسية)
4. لم يتضمن القانون أي تعريفات أبداً وخاصة لمفردات مهمة مثل (أرض إسرائيل، الشعب اليهودي).
5. لم يوضح القانون حدود دولة إسرائيل الجغرافية.
6. يتعارض مع قوانين أساسية أخرى جرمت العنصرية وأكدت على ديمقراطية الدولة مثل:
7. (قانون أساس الكنيست، قانون أساس كرامة الإنسان وحريته لسنة 1994)، ولكن هذا التنازع محسوم لصالح قانون القومية كونه صدر بعدهم والقاعدة تقول اللاحق يقيد السابق والخاص يقيد العام.

أولاً– اسم القانون: قانون أساس: إسرائيل – الدولة القومية للشعب اليهودي.

حدد العنوان شكل وماهية كيان الدولة بأنها دولة قومية (دينية) للشعب اليهودي فقط، وقطع القول بأنها دولة ليست ديمقراطية، ويقصد القانون التأكيد على اليهودية كقومية، وهذا الكلام مغلوط واقعاً وتاريخاً، فاليهودية ليست قومية وإنما هي دين سام، وإلا كيف يكون اليهودي العربي ذو قومية يهودية؟

المادة (1): المبادئ الأساسية: تشكل هذه المادة الأساس الذي قام عليه قانون القومية وتعبر عن جوهره، تضمنت هذه المادة ثلاث فقرات / ثلاث مبادىء أساسية:

(أ) أرض إسرائيل هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي، وفيها قامت دولة إسرائيل.

أكذوبة.. أرض إسرائيل:

لم يقدم قانون القومية – متعمداً –تعريف لمفردة أرض إسرائيل ولم يحدد موقعها الجغرافي، وفي القانون الدولي لا يوجد شيء اسمه أرض إسرائيل بالمعنى القانوني حتى ضمن الوثائق التاريخية التي يستند عليها الاحتلال الصهيوني لتأكيد شرعيته القانونية كدولة وهي (إعلان بلفور 1917، وصك الانتداب البريطاني على فلسطين 1922، قرار التقسيم 181 الصادر عن الجمعية العامة (1947 فجميعها لم تأتِ على ذكر مصطلح أرض إسرائيل وإنما ذكرت أرض فلسطين وحتى علم الانتداب البريطاني كتب عليه اسم فلسطين والعملة المتداولة كانت الجنيه الفلسطيني وحتى أيضاً قانون الجنسية الذي أصدرته الحكومة البريطانية سنة 1925 كان قانون الجنسية الفلسطينية التي منحت لليهود لتبرير والسماح لهم بالقدوم إلى فلسطين واستعمارها والاستيطان فيها.

ومن الثابت علمياً وتاريخياً فإن حقيقة مصطلح أرض إسرائيل هو مصطلح ديني توراتي ويقصد به أرض الميعاد التي وعد الله بها اليهود، كما أن هذه الأرض لم تكن واضحة المعالم فقد اختلفت الروايات الصهيونية على تخيل حدودها الاقليمية، فقد امتدت بعضها لتصل إلى مساحات شاسعة من الضفة الشرقية لنهر الأردن (المملكة الأردنية حالياً)، وإلى صيدا في لبنان وإلى مناطق في جنوب الجولان السوري وشبه جزيرة سيناء المصرية. وهذا يؤكد هنا على أن اليهودية في هذا القانون هي الديانة وليست القومية كما يدّعون زوراً وكذباً.

الوطن التاريخي للشعب اليهودي..

مقولة الوطن التاريخي.. أكذوبة لا أساس لها تاريخياً ولم تذكر حتى في إعلان بلفور كان الحديث عن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وهذا ينفي العلاقة التاريخية المزعومة التي ذكرها والتي وردت في صك الانتداب البريطاني على فلسطين حيث أقرت منظمة عصبة الأمم الادعاء بوجود علاقة تاريخية بين اليهود وفلسطين وأسندته تضليلاً وحملته على إعلان بلفور في حين أن إعلان بلفور نفسه لم يذكر دولة يهودية أو حق تاريخي، ورود مصطلح الوطن التاريخي لنفي وجود أي حق للشعب الفلسطيني في وطنهم فلسطين.

لذا فإن الادعاء بشأن العلاقة التاريخية أو الروحية لليهود في فلسطين لا تتسق مع الحقائق التاريخية، أو مع مكونات الدولة بالمعنى الحقيقي، فاليهودية كدين سامي ليست قومية ذات وجود مستقل كما هو الحال بالنسبة لبقية القوميات في العالم.

اليهود.. ليسو شعباً..

كما هو ثابت في القانون الدولي فلا يوجد شعب اسمه الشعب اليهودي إذ لم يكن لهم دولة من قبل وإنما في العصر الحديث اعترفت الأمم المتحدة بدولة إسرائيل كعضو فيها وسمي شعبها بالشعب الإسرائيلي ويشمل اليهود بما فيهم العرب وغيرهم من الأديان كالاسلام والمسيحية وكلهم من القومية العربية، كما أن اليهود ليسوا شعباً واحداً، له شخصية مستقلة، بل هم مواطنون في الدول التي ينتمون وهذا أمر مجمع عليه ومستقر في الدراسات التاريخية.

(ب) دولة إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي، وفيها يقوم بممارسة حقه الطبيعي والثقافي والديني والتاريخي لتقرير المصير.

تناقض واضح مع الفقرة الأولى في المبادىء الأساسية تبرزها إشكالية غياب تعريف دولة إسرائيل ويثور السؤال عن أي دولة يتحدث القانون. هل هي دولة إسرائيل بحدودها الحالية 78%؟ أم دولة إسرائيل التي اعترفت بها الأمم المتحدة كعضو فيها حسب القرار 181 ولا تتجاوز حدودها 57% من أرض فلسطين التاريخية؟ أم هي مملكة إسرائيل المزعومة توراتياً وحدودها من النيل إلى الفرات؟!!

وفيما يخص القومية اليهودية والحق الثقافي لليهود، نتساءل ما هي ثقافة اليهودي العربي (سواء اليمني أو العراقي أو المغربي، المصري) الثابتة قوميته وثقافته العربية؟ إشكالية لم يعالجها القانون بل يؤكدها.

(ج) ممارسة حق تقرير المصير في دولة إسرائيل حصرية للشعب اليهودي.

تبرز هذه المادة العنصرية الدينية في أبشع صورها، وتعتبر سابقة خطيرة في القانون الدولي يصدق عليها القول "لم يأت بها أحد من العالمين" وكثير من خبراء القانون والحقوقيين في العالم لن يصدقوا بوجود هذا النص في قانون أساس لدولة ما، العنصرية الدينية في أبشع صورها، وتمثل هدم لأحد أهم المبادىء القانونية الأصيلة والراسخة في القانون الدولي وهو مبدأ حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها دون تفرقة وهو حق طبيعي وحق قانوني أصيل للشعوب جميعاً على قدم المساواة حق غير قابل للتصرف. مبدأ عالمي إنساني راسخ وقاعدة قانونية آمرة في القانون الدولي ولا تملك أي دولة أو حتى منظمة دولية بما فيها الأمم المتحدة نفسها أن تخالفه سواء عن طريق قرار أو معاهدة أو اتفاقية أو قانون.

المادة (2): رموز الدولة: تشير هذه المادة إلى رموز الدولة القومية المستوحاة من الديانة اليهودية.

(أ) اسم الدولة "دولة إسرائيل".

(ب) علم الدولة أبيض وعليه خطان أزرقان وفي وسطه نجمة داود زرقاء.

(ت) شعار الدولة هو الشمعدان السباعي وعلى جنبيه غصنا زيتون وكلمة إسرائيل تحته.

(ث) النشيد الوطني للدولة هو نشيد"هتكفا."

(ج) تفاصيل رموز الدولة تحدد في القانون.

المادة (3): عاصمة الدولة: القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل.

لم تأتِ هذه المادة بجديد وإنما جاءت للتأكيد على ما نصت عليه المادة الأولى في قانون أساس أصدره الكنيست الصهيوني بتاريخ 1980/07/30 بعنوان: (قانون أساس: القدس عاصمة موحدة لإسرائيل)، وكان صدور هذا القانون تحدياً للشرعية الدولية ومخالفاً للقرار رقم 476 الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي بتاريخ 1980/06/30م الذي أكد على ضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للقدس وأكد على بطلان كافة الإجراءات التي اتخذها الاحتلال لتغيير معالم القدس ووضعها الجغرافي والتاريخي والسكاني باطل أصلاً ويجب إلغاؤها لأنه لا أساس قانوني لها وتشكل خرقاً فاضحاً للقانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، وتضمن تحذير صريح لدولة الاحتلال الإسرائيلي بأنه في حال عدم تقيدها بالقرارات الأممية سيتم دراسة السبل والوسائل العملية لضمان التنفيذ الكامل لهذا القرار.

ونظراً لعدم التزام دولة الاحتلال الإسرائيلي بالقرار 476 وتماديها في تحدي الشرعية الدولية أصدر مجلس الأمن قراره رقم 478 بتاريخ 1980/08/20م والذي يعتبر من أهم القرارات ذات العلاقة بوضع مدينة القدس في القانون الدولي وقد جاء هذا القرار شديد اللهجة ضد الاحتلال ونص على رفض الاعتراف بالقدس كعاصمة موحدة لدولة الكيان الصهيوني ويعتبر من أهم القرارات الأممية التي أثبتت مخالفة الكيان الصهيوني للشرعية الدولية وانتهاكه للقانون الدولي وإدانة هذه الانتهاكات حيث:

1. أعلن بطلان م (1) من هذا القانون الأساسي واعتبر إعلان القدس عاصمة موحدة لإسرائيل انتهاك للقانون الدولي وتهديد للسلم والأمن الدوليين.

2. طالب دولة الاحتلال بإلغاء هذا القانون وأكد مجدداً على مبدأ في القانون الدولي وهو أنه لا يجوز الاستيلاء على الأرض بالقوة،

3. وأشار إلى أن إسرائيل لم تلتزم بقرار مجلس الأمن 476 لسنة 1980 وذكر عبارة حازمة تعبّر عن استيائه ورفضه لهذا القانون نصها هو "وإذ يؤكد مجدداً تصميمه على دراسة السبل والوسائل العملية وفقاً للأحكام ذات العلاقة الواردة في ميثاق الأمم المتحدة، لضمان التنفيذ الكامل لقراره 476

(1980)، في حال عدم تقيد إسرائيل" وفي ذلك إشارة إلى حجم الانتهاك والتحدي للشريعة الدولية الذي مارسته دولة الاحتلال الإسرائيلي.

4. وجّه أشد اللوم لدولة الاحتلال بسبب مصادقتها على "القانون الأساسي" بشأن القدس، ورفضها التقيد بقرارات مجلس الأمن ذات العلاقة؛

5. أكد أن مصادقة إسرائيل على"القانون الأساسي" تشكل انتهاكاً للقانون الدولي، ولا تؤثر في استمرار انطباق اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في 12 آب/أغسطس 1949 والمتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب على الأراضي الفلسطينية وغيرها من الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1967، بما في ذلك مدينة القدس.

6. قرر أن جميع الإجراءات والأعمال التشريعية والإدارية التي اتخذتها إسرائيل، القوة المحتلة، والتي غيرت معالم مدينة القدس الشريف ووضعها واستهدفت تغييرها، خصوصاً "القانون الأساسي" الأخير بشأن القدس، هي إجراءات باطلة أصلاً ويجب إلغاؤها؛

7. يؤكد أيضاً أن هذا العمل يشكل عقبة جدية أمام تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

قرر عدم الاعتراف بـ "القانون الأساسي" وغيره من أعمال إسرائيل التي تستهدف نتيجة لهذا القرار، تغيير معالم القدس ووضعها،

دعا جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى:

قبول هذا القرار وطالب الدول التي أقامت بعثات دبلوماسية في القدس إلى سحب هذه البعثات من المدينة المقدسة؛

المادة (4) اللغة: تصنف هذه المادة كمادة إحلالية حيث حلت اللغة العبرية مكان اللغة العربية، وتضمنت هذه المادة ثلاث فقرات:

(أ) اللغة العبرية هي لغة الدولة.

أثبتت هذه الفقرة أن اللغة الرسمية في دولة الاحتلال هي اللغة العبرية فقط، وهذا يعني أن اللغة العربية لم تعد لغة رسمية مستخدمة وهذا يهدف إلى طمس اللغة العربية والهوية الفلسطينية، وهذا يخالف حتى الوثائق المنشئة لدولة الاحتلال وهي (صك الانتداب، قرار الجمعية العامة رقم 1818 لسنة 1947 م المعروف بِـ"قرار التقسيم").

(ب) اللغة العربية لها مكانة خاصة في الدولة، تنظيم استعمال اللغة العربية في المؤسسات الرسمية أو في التوجه إليها يكون بموجب القانون.

لم يبين القانون متعمداً – عن قصد – معنى مصطلح "مكانة خاصة" (هل هي مكانة معنوية أم مكانة حسية فعلية) وما طبيعة الخصوصية؟ والسؤال المنطقي المطروح ما قيمة المكانة الخاصة للغة العربية إذا لم يعترف بها لغة رسمية في التطبيق والدليل على ذلك أن الفقرة التالية قيدت استعمال اللغة العربية في المؤسسات الرسمية بقانون خاص (الوزارات المدارس الجامعات...الخ) وهذا يعني أن استخدام اللغة العربية في المؤسسات الرسمية بات محظوراً لحين صدور القانون المحدد لاستخداماتها.

(ت) لا يمس المذكور في هذا البند بالمكانة الممنوحة فعليًا للغة العربية.

هذه الفقرة وضعت بهدف التضليل وذر للرماد في العيون وهي بلا معنى، والغريب في هذه المادة الرابعة أنها تحدثت عن مكانتين للغة العربية (مكانة خاصة، مكانة فعلية)، ولم يوضح المقصود بهما وما هو الفرق بينهما، مما يخلي هذه الفقرة من أي معنى ذي قيمة قانونية.

المادة (5): لمّ الشتات: تكون الدولة مفتوحة أمام قدوم اليهود ولمّ الشتات.

هذه المادة ليست جديدة أيضاً، وإنما جاءت للتأكيد على قانون أصدره الكنيست سنة 1950 تحت مسمى (قانون العودة الإسرائيلي) بهدف شرعنة قدوم محتلين جدد للإقامة في أرض فلسطين.

والحقيقة الثابتة أن هذه المادة تصادر حقاً أساسياً من حقوق الشعب الفلسطيني المعترف بها في القانون الدولي وهو حق العودة وفق القرار 194 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 11 ديسمبر 1948 والذي صدر بعد يوم واحد من صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والذي أكدت عليه الأمم المتحدة أكثر من 135 مرة في قراراتها كدليل قاطع على إيمانها المطلق بهذا بحق عودة اللاجئيين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجّروا منها قسراً على يد العصابات الصهيونية أبان احتلال فلسطين.

وتعتبر هذه المادة استعمارية إحلالية لأنها تسلب حق العودة من اللاجئين الفلسطينيين أصحاب البلاد الأصليين وتمنحه لليهود الغزاة المحتلين.

مع العلم بأن قبول دولة إسرائيل كعضو في منظمة الأمم المتحدة وفق قرار الجمعية العامة رقم 273 الصادر في 11 مايو 1949م كان معلقاً على شرطين ذكرا في القرار وهما قبولها وتعهدها بتنفيذ وتطبيق:

أ. قرار الجمعية العامة رقم 181 الصادر في 39 نوفمبر 1947م (قرار التقسيم).

ب. قرار الجمعية العامة رقم 194 الصادر في 11 ديسمبر 1948م (قرار حق العودة).

المادة (6): العلاقة مع الشعب اليهودي: تضمنت هذه المادة ثلاث فقرات.

(أ) تهتم الدولة بالمحافظة على سلامة أبناء الشعب اليهودي ومواطنيها، الذين تواجههم مشاكل بسبب كونهم يهودًا أو مواطنين في الدولة.

تضمنت هذه المادة إشارة غير مباشرة إلى التلويح بمعاداة السامية لإرهاب الدول.

(ب) تعمل الدولة في الشتات للمحافظة على العلاقة بين الدولة وأبناء الشعب اليهودي.

يلاحظ استخدام مصطلح الشتات ولم تستخدم كلمة العالم مثلاً، وهذا مغزاه التمسك بالفكرة الصهيونية الاستعمارية التي تعمل على تجميع يهود العالم كلهم في فلسطين أو ما يسمونه تضليلاً "أرض الميعاد".

وأيضاً تثير مجدداً إشكالية التعريف فمن هو الشعب اليهودي؟ ومن هو الشعب الإسرائيلي الذي لم يتطرق له القانون أبداً ولم يذكره في أي من مواده؟.

(ت) تعمل الدولة على المحافظة على الميراث الثقافي والتاريخي والديني لدى يهود الشتات.

إدعاء باطل يؤكد استمرار المشروع الاستعماري الإحلالي لسرقة الإرث الثقافي والتاريخي للشعب الفلسطيني ونسبه زوراً لمن سماهم الشعب اليهودي، والحقيقة الثابتة علمياً أنه لا يوجد ميراث ثقافي وتاريخي لليهود في فلسطين المحتلة، ونلاحظ تكرار استخدام مصطلح "يهود الشتات" إشارة إلى الرواية التوراتية.

المادة (7): الاستيطان اليهودي: تعتبر الدولة تطوير استيطان يهودي قيمة قومية، وتعمل لأجل تشجيعه ودعم إقامته وتثبيته.

أ. تُعتبر هذه المادة خرق فاضح لنظام روما الأساسي لسنة 1998م الذي نص على أن "الاستيطان جريمة حرب" توجب المساءلة الجنائية أمام المحكمة الجنائية الدولية، وكذلك تمثل انتهاك صريح للعديد من القرارات الأممية سواء الصادرة عن الجمعية العامة أو مجلس الأمن الدولي والتي تدين الاستيطان وتجرمه وتطالب دولة الاحتلال بالوقف الفوري للأنشطة الاستيطانية وتفكيك المستوطنات وإزالتها، وتعتبر الاستيطان عقبة كبرى أمام تحقيق حل الدولتين وإحلال السلام العادل، وآخرها قرار مجلس الأمن رقم 2334 الصادر في 23 ديسمبر 2016 بالإجماع 14 صوتاً وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت.

ب. وكذلك تشكل هذه المادة خرقاً للمادة 49 فقرة (6) من اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في 12 أغسطس 1949م التي تؤكد على أن المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس غير قانونية وغير شرعية.

ت. وتعتبر أيضاً مخالفة جسيمة للرأي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية في فتواها بشأن الجدار الفاصل بتاريخ 2004/7/9م.

ث. تبين هذه المادة التباين الشديد بين دولة الاحتلال الصهيوني والشرعية الدولية، فالاستيطان في القانون الإسرائيلي قيمة قومية بينما الاستيطان في القانون الدولي جريمة حرب.

المادة (8): التقويم الرسمي: التقويم العبري هو التقويم الرسمي للدولة، وإلى جانبه يكون التقويم الميلادي تقويمًا رسميًا.

المادة (9): يوم الاستقلال ويوم الذكرى:

(أ) يوم الاستقلال هو العيد القومي الرسمي للدولة

(ب) يوم ذكرى الجنود الذين سقطوا في معارك إسرائيل ويوم ذكرى الكارثة والبطولة هما يوما الذكرى الرسميان للدولة.

المادة (10): أيام الراحة والعطل: يوم السبت وأعياد الشعب اليهودي هي أيام العطلة الثابتة في الدولة. لدى غير اليهود الحق في أيام عطلة في أعيادهم، وتفاصيل ذلك تحدد في القانون.

المادة (11): نفاذ القانون:

أي تغيير في هذا القانون يستلزم أغلبية مطلقة من أعضاء الكنيست الصهيونية: شكل من أشكال العنصرية.

قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (3379) والصادر في 10 نوفمبر لسنة 1975:

ويعتبر واحداً من أهم القرارات الدولية التي أدانت دولة الاحتلال الصهيوني حيث نص على أن "أن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وطالب القرار جميع دول العالم بمقاومة الأيدولوجية الصهيونية التي تشكل خطرًا على الأمن والسلم العالميين". تبنّت الجمعية العامة القرار نتيجة التصويت: بتأييد وموافقة 72 صوتاً ومعارضة 35 صوتاً وامتناع 32 دولة عن التصويت.

السند القانوني لهذا القرار والذي أشير إليه في مطلع القرار هو "إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري المعتمد بقرار الجمعية العامة رقم 1904 والصادر في 20 نوفمبر 1963

وبوجه خاص التأكيد على المبدأ "إن أي مذهب يقوم على التفرقة العنصرية أو التفوق العنصري مذهب خاطىء علمياً ومشجوب أدبياً وظالم وخطر اجتماعياً".

ولم يكن هذا القرار هو الأول الذي يدين الصهيونية وإنما سبقه قرارات دولية مهمة أشير إليها صراحة في القرار 3379 لسنة 1975 وهذه القرارات هي:

1. قرار الجمعية العامة رقم 3151 الصادر في 14 ديسمبر 1973 الذي أدان التحالف الآثم بين النظام العنصري في جنوب افريقيا والصهيونية.

2. إعلان المكسيك بشأن مساواة المرأة وإسهامها في الانماء والسلم المعلن في المؤتمر العالمي للسنة الدولية للمرأة يوليو 1975 والذي أعلن المبدأ القائل بأن "التعاون والسلم والدوليين يتطلبان تحقيق التحرر والاستقلال القوميين وإزالة الاستعمار والاستعمار الجديد والاحتلال الأجنبي والصهيونية والفصل العنصري والتمييز العنصري بجميع أشكاله وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير مصيرها".

3. القرار 77 الصادر عن مجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية في دورته العادية 12 المعقود في كمبالا أغسطس 1975 والذي أكد أن النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظاميين العنصريين الحاكمين في زيمبابوي وجنوب افريقيا ترجع إلى أصل استعماري مشترك.

4. الاعلان السياسي واستراتيجية تدعيم السلم والأمن الدوليين وتدعيم التضامن والمساعدة المتبادلة بين دول عدم الانحياز اللذين تم اعتمادهما في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد بليما في اغسطس 1975 واللذين أدانا الصهيونية بأقصى شدة بوصفها تهديداً للسلم والأمن العالميين وطلبا إلى جميع الدول مقاومة هذه الايدولوجية العنصرية الامبريالية.

فورود هذه القرارات الأربعة والإشارة إليها صراحة في متن القرار 3379 يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى مضامين هذه القرارات.

وعليه فأهمية هذا القرار تكمن في أنه ربط بشكل مباشر بين العنصرية والاحتلال الصهيوني.

بقي هذا القرار يشكل كابوساً وهاجساً مقلقاً لدولة الاحتلال الصهيوني طوال 16 عاماً حتى ألغي بالقرار 46/86 الصادر في 16 ديسمبر 1991 لم يزول إلا بعد أن نجحت وبالدعم الأمريكي المطلق في الضغط على دول العالم لإلغائه وتوجت جهودها في 16 ديسمبر سنة 1991م بعد صدور قرار الجمعية العامة رقم 46/86 القاضي بإلغاء قرار الجمعية العامة السابق رقم (3379).

وكان هذا أحد شروطها للتفاوض مع قيادة م ت ف بعد انعقاد مؤتمر مدريد في أكتوبر 1991 وقبل توقيع اتفاقية أوسلو الكارثية أو ما يعرف إعلان المبادئ 13 سبتمبر سنة 1993 (بالمناسبة

يصادف اليوم ذكرى مرور 25 سنة على اوسلو- اعلان المبادىء)، ومن المفارقات التي تستدعي التوقف عندها أن جون بولتون "مستشار الأمن القومي الأمريكي في البيت الأبيض حالياً لعب دوراً مهماً ومؤثراً في إلغاء هذا القرار، ومن هنا فإننا نتفهم لماذا عيّنه ترامب في هذا المنصب مطلع آذار/ مارس الماضي 2018 ونستذكر تصريحاته العنصرية بخصوص وكالة غوث وتشغيل اللاجئيين الفلسطينيين "الأونروا" بتاريخ 22 آب/ أغسطس 2018 خلال زيارته لمدينة القدس المحتلة وخاصة ما يتعلق حيث صرح: (إن الأونروا جهاز فاشل وأنها خرقت القانون الدولي بشأن اللاجئين، وأن برنامج الأونروا هو الوحيد في التاريخ الذي يقوم على فرضية أن مكانة اللاجىء تنتقل بالوراثة، كان يجب تقليص الدعم المالي الأمريكي لها منذ مدة طويلة لأن جزء كبير من ميزانيتها مخصص لتأييد مكانة اللاجئيين الفلسطينيين وأن ذاك كان خطأ من الناحية الإنسانية بأن نجعل من وضع غير طبيعي وضع دائم).

وما تبعه من قرار الإدارة الأمريكية بوقف تمويل الأونروا بشكل كامل ونهائي ومشروعها في إعادة تعريف اللاجىء الفلسطيني وربما تخطيطها لممارسة ضغوط على الدول لإجبار الجمعية العامة على إلغاء وكالة الأونروا وإنهاء تفويضها.

وهنا يثور تساؤل مشروع ومنطقي، بما أن القرار 3379 قد أُلغي وانتهت آثاره القانونية، فهل تبقى له أي قيمة قانونية؟ وما هي فرص الاستفادة منه قانوناً؟

في تقديري الشخصي نعم، ما زال هذا القرار يمثل قيمة قانونية كبيرة يمكن البناء عليها في إعادة تقرير العلاقة بين الصهيونية والعنصرية وذلك للأسباب التالية:

1. القرار (3379) لم يكن منشئاً للحكم القاضي بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية وإنما كان قراراً كاشف له، إذ بني على أساس متين قانوناً واقعاً وموضوعاً.

2. قرار الإلغاء رقم86/46 الصادر في 16 ديسمبر 1991م كان عبارة عن سطر واحد لا غير نصه: (إن الجمعية العامة تقرر إلغاء الحكم الوارد في قرارها رقم 3379 المؤرخ في 10 نوفمبر (1975 نتيجة التصويت: موافقة 111 دولة.. رفض 25 دولة امتناع 13 دولة غياب 11 دولة.

3. كان قرار سياسي وليس قانوني فهو لم يكن مسبباً وإنما جاء في سطر واحد فقط بدون أي إيضاحات أو بيان أو تفسير للإلغاء. وهذا لم يكن سهواً وإنما لأن هذا القرار يعتبر انتكاسة ولا يمكن تبريره وتفسيره قانوناً وموضوعاً وإن تمت إجازته إجرائياً نتيجة التصويت. وهذا يثبت أنه جاء نتيجة ضغوط سياسية كبيرة.

ولا أدل على ذلك من أن الجمعية العامة أصدرت في نفس اليوم 16 ديسمبر 1991 القرار 46/82 وكان فقرتين (أ&ب) تحت عنوان: "إدانة سياسات إسرائيل في الأراضي المحتلة والمطالبة بانسحابها الكامل منه وإدانة إقامة المستوطنات ومطالبة الدول بعدم تقديم أي مساعدة تستخدم للمستوطنات في الأراضي المحتلة، وإعلان الحاجة إلى الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بقيادة م ت ف في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وتؤكد انطباق اتفاقية جنيف الرابعة لحماية المدنيين وقت الحرب على الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967م بما فيها القدس".

تم التصويت على الفقرتين بشكل منفصل الفقرة (أ) تضمنت 12 بنداً. اعتمدت بموافقة 93 صوتاً ضد 27 صوتاً، والفقرة (2) كانت بنداً واحداً فقط في شأن القدس؛ والذي أكد على قرار 478 مجلس الأمن الدولي الصادر في 20 اغسطس 1980 بشأن بطلان قانون أساس القدس عاصمة موحدة الذي أصدره الكنيست الصهيوني في 30 يوليو 1980م. الفقرة ب اعتمدت بالاجماع موافقة 152 دولة مقابل 1 صوت إسرائيل وحيدة.

وبعد إلغاء القرار (3379) بدأت دولة الاحتلال الصهيوني تسعى جاهدة بكامل طاقاتها ومؤسساتها لتغيير صورتها دولياً وفي الرأي العام العالمي من كيان عنصري إلى دولة ديمقراطية وكان من أهم الأدوات التي استخدمتها في سبيل ذلك سن التشريعات والقوانين لإضفاء الشرعية المزعومة على السياسات والاجراءات العنصرية التي تمارسها قوات الاحتلال، ولم تكن سلسلة القوانين العنصرية المجحفة والظالمة المغتصبة لحقوق شعبنا الفلسطيني منذ نكبة 1948 وحتى اليوم إلا تكريس لسيادة الاحتلال وسلطاته على أرض الواقع ومحاولة لتقنين جرائمه وإخفاء حقيقته كاحتلال استعماري إقلاعي إحلالي، والترويج لأكذوبة دولة إسرائيل بصفتها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط.

المبحث الثاني: قانون القومية في ميزان القانون الدولي...

ونؤكد أن "قانون أساس –قومية الدولة هو قانون باطل وفق أحكام القانون الدولي والمواثيق والاتفاقيات الدولية، ولا يرتب أي آثار قانونية البتة، لا بل يستوجب المساءلة والمحاسبة في إطار الشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة، ويمثل تهديد خطير للسلم والأمن العالميين، وبطلان هذا القانون يثبت من عدة جوانب:

1. يعتبر هذا القانون سابقة خطيرة وانتهاك صارخ لقواعد ومبادىء القانون الدولي والشرعية الدولية، فكل مادة فيه، بل كل فقرة تهدم مبدأ قانوني عالمي راسخ أو قاعدة قانونية آمرة في القانون الدولي،

حيث أنه يقرر مبدأ إباحة التمييز العنصري على أساس الديانة اليهودية ويؤسس لإدامة هيمنة من يسمونهم الشعب اليهودي على الشعب الأصلي الفلسطيني سكان الأرض الأصليين واضطهادهم بممارسات ممنهجة، كما أنه يهدف إلى تقنين جريمة الفصل العنصري المؤثمة كجريمة ضد الإنسانية حسب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

2. يشكل مخالفة جسيمة وخرق فاضح لكافة المواثيق والصكوك العالمية والاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان التي تؤكد جميعها على:

– مبدأ الاعتراف بالكرامة الإنسانية الأصيلة للإنسان لجميع البشر

– مبدأ المساواة بين جميع البشر في الحقوق والحريات الأساسية والتي جرّمت العنصرية وجميع أشكال ومظاهر التمييز العنصري بين البشر على أساس العرق أو الدين أو اللون أو الجنس أو اللغة أو أي وضع آخر مهما كان.

3 يعتبر مخالفة جسيمة لميثاق الأمم المتحدة وهدم لأهم مقاصدها وهو حفظ السلم والأمن الدوليين.

4. يشكل القانون مخالفة صريحة لعشرات القرارات الأممية الصادرة سواء عن الجمعية العامة للأمم المتحدة او مجلس الأمن الدولي أو بقية مؤسساتها وأجهزتها محكمة العدل الدولية والقرارات ذات العلاقة والتي تجرم الاحتلال والتمييز العنصري والفصل العنصري والاستيطان وانتهاكات حقوق الإنسان. وفي مقدمتها قرار 478/194/181 أمن /2334 أمن....الخ

5. يشكل انتهاك فاضح لنظام روما الأساسي لسنة 1998م والذي يجرم الاستيطان ويعتبره جريمة حرب كما ويجرم الفصل العنصري ويعتبرها جريمة ضد الإنسانية ويوجب ملاحقة مرتكبي هاتين الجريمتين ومساءلته جنائياً أمام المحكمة الجنائية الدولية.

6. يشكل القانون مخالفة صريحة لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 الصادر في 11 كانون أول /ديسمبر 1948م والمعروف بحق عودة اللاجئيين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجروا منها قسراً والذي تم التأكيد عليه أكثر من 135 مرة في قرارات الأمم المتحدة.

7. يمثل القانون هدم لأهم المبادىء القانونية الأصيلة والراسخة في القانون الدولي ومنها:

أ. مبدأ "عدم جواز ضم أراضي الغير بالقوة الجبرية"

ب. مبدأ "سمو القانون الدولي على القانون الداخلي" حيث لا يجوز لأي دولة – تحت أي ظرف كان – أن تسن تشريعات وقوانين تخالف وتتعارض مع قواعد قانونية آمرة في القانون الدولي أو الاتفاقيات الدولية المنضمة لها.

ت. مبدأ حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها دون تفرقة وهوحق طبيعي وحق قانوني أصيل للشعوب جميعاً على قدم المساواة حق غير قابل للتصرف. مبدأ عالمي انساني راسخ وقاعدة قانونية آمرة في القانون الدولي ولا تملك اي دولة او حتى منظمة دولية بما فيها الامم المتحدة نفسها ان تخالفه سواء عن طريق قرار او معاهدة اواتفاقية او قانون.

وسنستعرض تالياً المواثيق والصكوك الدولية والاتفاقيات التي ينتهكها قانون القومية الصهيوني

المواثيق الدولية والصكوك العالمية والاتفاقيات الدولية التي ينتهكها قانون قومية الدولة:

1. ميثاق الأمم المتحدة الصادر بمدينة سان فرانسيسكو في 26 يونيو سنة 1945م.
2. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 ديسمبر سنة 1948 (اعلان باريس).
3. إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة الصادر في 14 ديسمبر 1960.
4. إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري الصادر في 20 نوفمبر 1963
5. العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر في 19 ديسمبر سنة 1966.
6. العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر في 19 ديسمبر 1966.
7. إعلان منظمة اليونسكو بشأن العنصرية والتحيز العنصري الصادر في 27 نوفمبر 1978.
8. إعلان الأمم المتحدة بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين الصادر في 25 نوفمبر 1981.
9. إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية الصادر في 13 سبتمبر 2007 م.
10. نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية المعتمد في روما في 17تموز/ يوليو 1998.

الاتفاقيات الدولية التي ينتهكها قانون قومية الدولة (دولة الاحتلال الإسرائيلي موقعة عليه):

1. الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري المعتمدة بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 2106 الصادر في 21 ديسمبر لسنة 1965م.
2. الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها المعتمدة بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3068 (د-28) الصادر في 30 نوفمبر 1973.

المبحث الثالث: الإجراءات القانونية الواجب اتخاذها حيال قانون قومية الدولة

أمام إمعان الكيان الصهيوني المستمر في انتهاك حقوق شعبنا الفلسطيني وخرق قواعد القانون الدوليين، وإصراره على تقويض وهدم الشرعية الدولية وأمام التحدي السافر للقرارات الأممية بشكل عمدي وغير مسبوق بما يمثل تهديد خطير للسلم والأمن الدوليين، فقد بات لزاماً على دول العالم أن تتخذ موقف حاسم جاد وتاريخي وتباشر باتخاذ إجراءات وتدابير عملية سريعة وحازمة لردع الكيان الصهيوني وأقلهّا إعلان الصهيونية كشكل من أشكال الفصل العنصري ومقاطعته ونزع الشرعية عنه وتجريده من الشخصية القانونية الدولية وطرده خارج المنظومة الدولية، لذا وانطلاقاً من أحكام القانون الدولي نطالب المجتمع الدولي ممثلاً بالسيد / غوبيرتيس بصفته الأمين العام للأمم المتحدة وكافة دول العالم الحر بتحمل مسؤولياتها القانونية والأخلاقية والقيام بواجباتها لتنفيذ القرارات الأممية النافذة بحق دولة الكيان الصهيوني وإنهاء الاحتلال، ونطالب المنظمات الدولية ومؤسسات حقوق الإنسان العالمية ومؤسسات المجتمع المدني بفضح سياسة الاحتلال العنصرية في الاعلام وإظهار حقيقته أمام الرأي العام العالمي، ونوصي باتخاذ الاجراءات القانونية التالية:

أولاً- المطالبة بإعادة نشر تقرير (لجنة الأمم المتحدة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا) – إسكوا – الذي نشر يوم 15 مارس/ آذار 2017 م الذي اتهم إسرائيل بتأسيس نظام فصل عنصري يهدف إلى تسلّط جماعة عرقية على أخرى، وقدم أدلة ومعطيات تؤكد فرض إسرائيل نظام أبارتايد على الفلسطينيين.

هذا التقرير الذي تم سحبه بقرار من الأمين العام للأمم المتحدة بعد ضغوط أمريكية واستقالت على أثر ذلك د.ريما خلف الأمينة التنفيذية للإسكوا.

ثانياً – تقديم شكوى إلى المقرر الخاص المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة.

ثالثاً- مطالبة الدول العربية والاسلامية باتخاذ قرار جماعي عاجل بسحب الاعتراف بدولة إسرائيل وقطع كافة العلاقات مع الكيان الصهيوني بما فيها (العلاقات الدبوماسية والسياسية والاقتصادية والرياضية والسياحية..الخ)

رابعاً- مطالبة الدول العربية بالتوجه إلى الأمم المتحدة (الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي) لاستصدار القرارات الآتية:

1. إنهاء عضوية دولة إسرائيل وفصلها من منظمة الأمم المتحدة بسبب إمعانها في انتهاك مبادىء الميثاق وذلك استناداً لأحكام المادة (6) من الميثاق.

2. إلغاء قرار الجمعية العامة رقم 86/46 الصادر في 16 ديسمبر سنة 1991 القاضي بإلغاء القرار 3379 الصادر في 10 نوفمبر سنة 1975 رقم رقم 8 القاضي بإلغاء القرار الذي كان ينص على "أن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وطالب القرار جميع دول العالم بمقاومة الأيدولوجية الصهيونية التي تشكل خطرًا على الأمن والسلم العالميين".

3. قرار بمقاطعة دولة الاحتلال الإسرائيلي على كافة الأصعدة سياسياً واقتصادياً وثقافياً ورياضياً وسياحياً... الخ.

خامساً- مطالبة المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية السيدة /فاتو بنسودا بمباشرة التحقيق الفوري في ملف جرائم الاحتلال ضد مسيرات العودة والذي تمت إحالته رسمياً منذ 22 مايو 2018م ورفض التأخير غير المبرر في استكمال الاجراءات القانونية حسب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

سادساً – التوجه إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" لاستصدار إعلان خاص بمناهضة الصهيونية بوصفها شكل من أشكال التمييز العنصري.

سابعاً – تقديم شكوى إلى اللجنة التنفيذية في الاتحاد البرلماني الدولي لإلغاء عضوية الكنيست الإسرائيلي في الاتحاد عملاً بأحكام المادة الرابعة من النظام الأساسي للاتحاد البرلماني الدولي لانتهاكها النظام الأساسي تشريعها قوانين تنتهك حقوق الإنسان الفلسطيني وتهديدها للسلم والأمن الدوليين وتخالف القرارات الأممية ومبادىء القانون الدولي.

الفصل الرابع: يهودية الدولة في مناهج التربية في إسرائيل

المبحث الأول: التربية والتعليم لدى الفلسطينيين في إسرائيل

يعاني التعليم العربي في إسرائيل من سياسة التمييز والإهمال، مثله مثل باقي المجالات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وواقع البنى التحتية في قراهم وبلداتهم، بل وأحيائهم داخل المدن. لكن التعليم أيضاً يشكل الحيّز الذي يمارس فيه الفلسطينيون نضالهم نحو التقدم وإثبات الهوية.

تشرف وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، قانوناً، على الحضانات والمدراس الابتدائية والثانوية في إسرائيل، سواء كانت حكومية أو خاصّة. وبدوره ينقسم التعليم العربي إلى شقين: شق التعليم الحكومي الذي تديره وزارة التربية والتعليم مباشرةً (وهو مشترك مع التعليم الحكومي العبري)، وشق المدارس الأهلية التي تتبع غالباً الكنائس المسيحية. ومن الجدير بالذكر أن ثلاث تيارات مركزية وأساسية تتقاسم التعليم لدى اليهود: التعليم الحكومي ("العلماني")، التعليم الحكومي–الديني، التعليم الديني المتشدّد (الحريدي). يظهر الجدول رقم 1 أعداد الأطفال العرب واليهود في الحضانات ورياض الأطفال بحسب تسجيلهم في مؤسسات خاصة أو حكومية/ بلدية، ونسبة تسجيلهم إلى أبناء سنهم في عام 2013–2014. ويبين الجدول رقم 2 أعداد المدراس والتلاميذ في كل من المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في عام 2016–2017.

يخضع التعليم في إسرائيل إلى عدد من القوانين التي سنّها الكنيست منذ سنة 1949 وأجرى عليها تعديلات من وقت إلى آخر، وأهمها: قانون التعليم الإلزامي لسنة 1949 (للأولاد من سن 3 إلى 17)؛ قانون التعليم الحكومي لسنة 1953 (الذي يحدد أهداف التعليم الحكومي وينظم إدارة ورقابة وزارة التربية والتعليم على المدارس الرسمية وتحديد المناهج وتعيين المعلمين)؛ قانون الإشراف على المدارس لسنة 1968 (الذي ينظم شروط ترخيص مؤسسات التعليم غير الحكومية والإشراف عليها)؛ قانون التعليم الخاص لسنة 1988 (الذي ينظم حقوق الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة)؛ قانون حقوق الطالب لسنة 2000 (الذي يمنع، من بين أمور أخرى، العقوبات الجسدية أو المذلّة، أو التمييز بين الطلاب لأسباب سياسية أو إثنية أو اقتصادية ـ اجتماعية، أو بسبب أعمال أهاليهم).

تبدو هذه القوانين، بعناوينها وبمعظم موادها، كأنها تمنح الأطفال والطلبة الفلسطينيين في إسرائيل كامل الحقوق التعليمية والتربوية أسوة بالأطفال والطلبة اليهود. غير أن نظرة أدق إلى الأمور تظهر أن الصيغة الإجمالية للقوانين المذكورة تعني تهميشاً وإهمالاً متعمدين. فلننظر مثلاً إلى المادة الثانية (المعدلة سنة 2000) من قانون التعليم الحكومي لسنة 1953. تُعدِّد المادة الأهداف الأحد عشر للتعليم الحكومي، نذكر منها غرس "قيم دولة إسرائيل كدولة يهودية وديموقراطية" و"تعليم توراة إسرائيل، وتاريخ الشعب اليهودي، وتراث إسرائيل والتقاليد اليهودية وتعزيز وعي ذكرى الكارثة والبطولة". ومع أن المادة تشير في البند الحادي عشر إلى هدف "التعرف على اللغة والثقافة والتاريخ والتراث والتقاليد الفريدة للسكان العرب ولجماعات سكانية أخرى في دولة إسرائيل"، إلا أن هذا البند الذي يأتي في آخر القائمة يخص تربية الطلاب اليهود (لإبعاد تهمة العنصرية في التعليم العبري) ويشير فقط إلى تميز "السكان العرب"

حضارياً وثقافياً وليس كمجموعة قومية، ولا ينفي على كل حال كون القانون امتنع بمجمله عن تحديد الأهداف الخاصة بتعليم الطلاب العرب في إسرائيل.

إن امتناع القانون الإسرائيلي عن توضيح المكانة التي يجب أن تمنح للتعليم العربي يهدف في الواقع إلى السيطرة على قطاع التعليم العربي وتحويله إلى أداة لخضوع "طوعي" للجيل العربي الناشئ أمام التفوق الإسرائيلي، وكسب ولائه للدولة، والحؤول دون أن يكون التعليم الرسمي وسيلة لتنمية الهوية الجمعية الفلسطينية.

وعلى الرغم من بروز أصوات يهودية توصي بالاعتراف بخصوصية قطاع التعليم العربي وبمشاركة أوسع للمربين العرب فيه، إلاّ أن سيطرة الدولة ما زالت هي السائدة، والتي تنعكس في كيفية إدارة جهاز التعليم الحكومي، وفي البرامج، وفي الميزانيات. وعليه فإن سيطرة الدولة على الجهاز تتم من خلال جعله تابعاً مباشرة لجهاز التعليم الرسمي العام وفي الوقت ذاته من خلال فصله عن التعليم اليهودي. ففي وزارة التربية والتعليم، يوجد "قسم تعليم العرب" يديره ويشرف عليه موظفون يهود لا يتمتعون بأي استقلالية تجاه الحكومة من جهة، ومن جهة أخرى لا يُشركون المربين العرب في رسم السياسات ووضع البرامج. ولا يقتصر تهميش هؤلاء داخل الوزارة، إنما دورهم مهمش أيضاً في عملية تعيين مدراء المدارس والمعلمين والمفتشين. كما أن عملية التعيينات تعاني من تدخل جهاز المخابرات العامة (الشاباك).

يؤدي غياب الأهداف التربوية الخاصة بالطفل والتلميذ العربيين وتمركز القرار بيد المسؤولين اليهود إلى أن يتبع الطلبة العرب في المدارس العربية مناهج التدريس المشتقّة من مناهج التدريس المتبعة في المدارس الحكومية الرسمية اليهودية. ويظهر هذا خاصّة في تدريس اللغة العربية والتاريخ والمدنيات. ففي منهاج اللغة العربية، يجري التركيز على المعرفة اللغوية على حساب التعريف بالأدب العربي وبرموز الأدب الفلسطيني الملتزم. وعلى سبيل المثال، جرى في عام 2010-2011 حذف نصوص لفدوى طوقان وغسان كنفاني من القسم الإلزامي من المنهاج، بعد أن كان قد صودق عليه في سنة 2006 بحجة "دور الأدبيين في المقاومة الفلسطينيّة، وانتماء كنفاني إلى منظمة التحرير الفلسطينية". وكذلك يلاحظ أن منهاج التاريخ يعكس إلى حد كبير الرواية الصهيونية، حتى في التاريخ العربي والإسلامي. كما أن المنهاج يُغيّب ما يتعلق بتاريخ العرب الفلسطينيين وبمركبات هويتهم.

يعمل منهاج المدنيات أيضاً على تشكيل وعي الطالب العربي بالتوفيق بين مقولتين متناقضتين جوهرياً: مقولة أن إسرائيل دولة يهودية وديمقراطية، أي دولة الشعب اليهودي تجسد حق الشعب اليهودي في تقرير المصير؛ ومقولة أن إسرائيل دولة تعددية تستوعب المواطن العربي وتمنحه مساواة في الحقوق الفردية المدنية. غير أن محاولة التوفيق هذه لا تنجح في إخفاء أن تعريف إسرائيل كدولة يهودية يخلق تراتبية في مفهوم المواطنة وينفي الحقوق الجماعية القومية للفلسطينيين في إسرائيل.

أما الموارد المخصصة لقطاع التعليم العربي، فهي تقلّ عن تلك التي تمنح للتعليم العبري بنسبة تصل إلى 40% (للطالب الواحد). من الواضح في مجال التعليم كما في مجالات أخرى أن الدولة لا تتّبع سياسة التفضيل المصحح تجاه الشرائح الاجتماعية- الاقتصادية العربية الدنيا، بقدر ما تحرص عليه عندما يتعلق الأمر بالشرائح اليهودية

الدنيا. فالفجوة بين العرب واليهود في تمويل التعليم لأبناء الشرائح الدنيا تبلغ 30% في المرحلة الابتدائية، و50% في المرحلة الإعدادية و75% في المرحلة الثانوية.

إن عدم تخصيص موارد كافية للتعليم العربي يعني بنية تحتية غير ملائمة ومبانٍ غير كافية وصفوف مكتظة وتعيينات أقل... فمثلاً تتلقى معاهد تدريب المعلمين العرب نصف ما تتلقاه معاهد تدريب المعلمين اليهود. الأمر واضح أيضاً في التعامل مع المدارس الأهلية التي تضم اليوم نحو 33 ألف طالب عربي والتي لا تتلقى الدعم المتوجب على الحكومة، إذ إنها تحصل على 75% منه فقط. وهذا الأمر كان سبب رئيسي لإضراب شامل دام أربعة أسابيع في أيلول/ سبتمبر 2015، لم ينته إلاّ بموافقة وزارة التربية والتعليم على تخصيص منحة تبلغ 13 مليون تقريباً دولار للعام الدراسي 2015– 2016.

يتجلى انعدام المساواة في تخصيص الموارد في نسب تسرب مرتفعة ونسب نجاح منخفضة في الاختبارات التي تنظمها وزارة التربية والتعليم وامتحانات التوجيهي (البجروت) وفي طلبات القبول للدراسة في مؤسسات التعليم العالي، مقارنة مع التلامذة والطلبة اليهود. فالتسرب في التعليم العربي وصل في السنة الدراسية 2016 الى 14% بينما كان في التعليم العبري 5,5%.

ويذكر في هذا السياق بأن هناك 5 آلاف طالب عربي في النقب ممن يسكنون في مجمعات سكانية "غير معترف بها" لا يتعلمون بتاتاً. وتدعي وزارة التربية والتعليم بأنها لا تستطيع بناء مدارس أو غرف تدريس في قرى غير معترف بها.

أما بالنسبة إلى شهادة البجروت، وعلى الرغم من التقدم في أداء التلاميذ العرب على مر السنين (وخصوصاً التلميذات)، إلاّ أن الفجوة ما زالت واسعة مع أداء التلاميذ اليهود، وخصوصاً بالنسبة إلى الذين يحصلون على شهادة بجروت "نوعية" (يتم فيها إتمام 4– 5 وحدات رياضيات و4– 5 وحدات لغة انكليزية). ففي حين وصلت هذه النسبة في السنة الدراسية 2015– 2016 إلى 47% في التعليم العبري، كانت النسبة في التعليم العربي 23% فقط. (انظر بهذا الشأن الجدول رقم 3)

وتظهر نتائج بعض الاختبارات الدولية لقياس أداء التلاميذ الذي تشارك إسرائيل فيها، الفارق بين التلاميذ اليهود ونظرائهم الفلسطينيين. فنتائج اختبارات 2015 (TIMSS) في الرياضيات والعلوم للصف الثامن (سن 13– 14) التي تنظمهما الجمعية الدولية لتقييم التحصيل الدراسي (IEA)، تظهر أن تلاميذ إسرائيل احتلوا المكان الـ 16 (من أصل 39 دولة) في الرياضيات، مع معدل بلغ 511 نقطة (من 600)، وقد بلغ معدل التلامذة اليهود 533، ومعدل التلاميذ العرب 460. وفيما يخص مادة العلوم، فقد احتل تلاميذ إسرائيل المكان 19، مع معدل عام بلغ 507 نقطة، ومعدل 528 لدى التلاميذ اليهود، و458 لدى التلاميذ العرب. ويتضح أيضاً أن نتائج البنات تتفوق على نتائج البنين لدى العرب، وخصوصاً في العلوم (469 نقطة مقابل 446)، فيما لا فرق يذكر بين الجنسين لدى اليهود.

هذه النتائج تؤكدها بشكل عام اختبارات (PISA) في العلوم والرياضيات والقراءة (وفهم المقروء) لسن 15 (الصف 9- 10) التي تقيمها منظمة التعاون والتنمية الدولية، وكما هو مبين في الجداول 4 إلى 9. من المفيد أن نذكر أن كل جدول يظهر فيما يخص الاختبار المعني (علوم، رياضيات، قراءة) نسبة التلاميذ ذوي الأداء المتفوق ونسبة الذين يعانون من أداء ضعيف، علماً أن النظام المعتمد حدد 6 درجات للأداء الممكن. وتشير هذه الجداول جميعها إلى أن نسبة ضئيلة جداً (أقل من 1%) من التلامذة الفلسطينيين المعنيين أوحت بأداء متفوق. ومع أنه من المشروع التساؤل عن مدى ملاءمة الاختبارات التي تقوم بها السلطات التربوية الإسرائيلية، إلا أنه من الجدير قراءة هذه الجداول كمؤشر عام للتحديات التي تواجهها التربية الفلسطينية في إسرائيل (فيما يخص مثلاً أداء البنات المتفوق).

بل لا بد أخيراً من أن نذكر أن القوى السياسية العربية سعت لتشكيل إدارة ذاتية تعليمية بهدف الحد من أن تنفرد وزارة التربية والتعليم في تحديد السياسات واتخاذ القرارات في مجال التعليم العربي.

ففي سنة 1984، أنشأت اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية لجنة متابعة قضايا التعليم العربي التي توصلت بعد سنة 2007 إلى تفاهم مع وزارة التربية والتعليم تم بموجبه إنشاء لجان مشتركة من أجل تقديم توصيات في مختلف أوجه التعليم العربي. غير أن هذه التجربة لم تؤد إلى مشاركة فعلية في وضع السياسات.

وفي سنة 2010، بادرت لجنة متابعة قضايا التعليم العربي إلى تشكيل "المجلس التربوي العربي" كهيئة مرجعية مكلفة بمراجعة القوانين والسياسات والمناهج والقيام بدراسات وتقديم أوراق عمل والعمل على التأثير في عمل القطاع التربوي الرسمي.

وعلى الرغم من هذه الجهود، ما زالت الطريق طويلة حتى يستطيع الفلسطينيون في إسرائيل ترجمة كونهم مجموعة قومية عربية، لها خصوصياتها الحضارية والثقافية والتاريخية التي تميّزها عن الأكثرية اليهودية، إلى سياسات وهياكل وبرامج تربوية خاصة بهم.

الجداول:

جدول رقم 1

الأطفال اليهود والعرب في الحضانات ورياض الأطفال في 2014/2013

السن	الأطفال اليهود				الأطفال العرب			
	حضانات خاصة	حضانات حكومية أو بلدية	المجموع	نسبة المسجلين إلى أبناء سنهم	حضانات خاصة	حضانات حكومية أو بلدية	المجموع	نسبة المسجلين إلى أبناء سنهم
2	28,821	40,188	69,009	56.3	517	7003	7520	23.5
3	27,109	103,229	130,338	100.0	671	29,389	30,060	84.3
4	8125	113,527	121,652	100.0	..	34,019	34,568	92.9
5	2113	111,461	113,574	98,9	..	35,330	35,726	97.4
6	1105	19,880	20,985	19.0	-	2,782	2,782	8.2
المجموع	67,273	388,285	455,558	77.3	2133	108,523	110,656	61.4

المصدر: مكتب الإحصاء المركزي. "كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي 2017" (بالعبرية)، الجدول 8.3.

جدول رقم 2

المؤسسات والتلاميذ في جهاز التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية عام 2017/2016

نوع المؤسسة	التعليم اليهودي			التعليم العربي		
	مؤسسات	صفوف	تلاميذ	مؤسسات	صفوف	تلاميذ
المدارس الابتدائية	2376	31590	761534	627	9980	245795
المدارس الإعدادية	614	7591	204219	208	3190	86707
المدارس الثانوية	1488	13308	319986	372	4140	106059

المصدر: مكتب الإحصاء المركزي. "كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي 2016" (بالعبرية)، الجدول 8;5؛ الجدول 8.13.

جدول رقم 3

الطلاب اليهود والعرب الذين حصلوا على شهادة البغروت سنة 2014 والمؤهلون لدخول الجامعة من طلاب الصف الثاني عشر

		عام 1996	عام 2015	الفرع			الجنس	
				نظري	تكنولوجي	زراعي	بنين	بنات
يهود	عدد طلاب الصف 12	(69,220)	89,062	55,356	32,427	1,154	43,823	45,239
	الناجحون	(35,777)	57,136	35,620	20,622	893	25,798	31,338
	نسبة الناجحين	(51.7)	64.2	64.3	63.6	77.4	58.9	69.3
	مؤهلون للجامعة	(29,367)	47,618	30,623	16,213	782	21,641	25,977
	نسبة المؤهلين	(42.4)	53.5	55.3	50.0	67.8	49.4	57.4
عرب	عدد طلاب الصف 12	(10,919)	25,341	12,336	12,777	-	11,726	13,615
	الناجحون	(4,563)	14,585	7,066	7,442	-	5,325	9,260
	نسبة الناجحين	(41.8)	57.6	57.3	58.2	-	45.4	68.0
	مؤهلون للجامعة	(2,592)	10,583	5,000	5,536	-	3,737	6,846
	نسبة المؤهلين	(23.7)	41.8	40.5	43.3	-	31.9	50.3

المصدر: مكتب الإحصاء المركزي. "كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي 2017" (بالعبرية)، الجدول 8.19

جدول رقم 4

أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم بحسب سنة الاختبار (PISA)

		2006	2009	2012	2015
المعدل في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية	المعدل	500	501	501	493
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	9%	9%	8%	8%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	19%	18%	18%	21%
في إسرائيل	المعدل	454	455	470	467
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	5%	4%	6%	6%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	36%	33%	29%	31%
متكلمو العبرية	المعدل	467	476	492	488
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	6%	5%	7%	8%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	32%	25%	21%	24%
متكلمو العربية	المعدل	403	382	394	401
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	1%	0%	0%	0%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	54%	62%	57%	56%

المصدر: الهيئة الوطنية للقياس والتقويم في التعليم. "برنامج اختبار التلاميذ الدولي PISA: أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم والقراءة والرياضيات، رؤيا إسرائيلية" (بالعبرية). القدس: وزارة التربية والتعليم، كانون الأول 2016، ص 68.

جدول رقم 5

أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم بحسب سنة الاختبار والجنس (PISA)

		2006		2009		2012		2015	
		بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات
متكلمو العبرية	المعدل	473	462	478	474	493	490	494	482
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	8%	5%	6%	4%	10%	5%	10%	6%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	32%	31%	25%	24%	23%	19%	23%	24%
متكلمو العربية	المعدل	388	416	371	392	382	405	389	411
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	1%	1%	0%	0%	0%	0%	0%	0%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	60%	48%	67%	58%	63%	52%	63%	50%

المصدر: الهيئة الوطنية للقياس والتقويم في التعليم. "برنامج اختبار التلاميذ الدولي PISA: أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم والقراءة والرياضيات، رؤيا إسرائيلية" (بالعبرية). القدس: وزارة التربية والتعليم، كانون الأول 2016، ص 72.

جدول رقم 6

أداء التلاميذ بسن 15 في الرياضيات بحسب سنة الاختبار (PISA)

		2006	2009	2012	2015
المعدل في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية	المعدل	498	496	494	490
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	13%	13%	13%	11%
	(ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2	21%	22%	23%	23%
في إسرائيل	المعدل	442	447	466	470
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	6%	6%	9%	9%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	42%	39%	34%	32%
متكلمو العبرية	المعدل	460	470	489	495
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	7%	7%	12%	12%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	35%	30%	24%	22%
متكلمو العربية	المعدل	372	367	388	391
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	1%	0%	0%	1%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	69%	73%	67%	64%

المصدر: الهيئة الوطنية للقياس والتقويم في التعليم. "برنامج اختبار التلاميذ الدولي PISA: أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم والقراءة والرياضيات، رؤيا إسرائيلية" (بالعبرية). القدس: وزارة التربية والتعليم، كانون الأول 2016، ص 115.

جدول رقم 7

أداء التلاميذ بسن 15 في الرياضيات بحسب سنة الاختبار والجنس (PISA)

		2006		2009		2012		2015	
		بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات
متكلمو العبرية	المعدل	469	451	477	463	496	481	502	488
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	10%	5%	10%	5%	17%	7%	15%	8%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	32%	37%	29%	31%	24%	24%	21%	23%
متكلمو العربية	المعدل	364	379	361	373	383	392	385	397
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	1%	1%	0%	0%	0%	1%	1%	1%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	70%	68%	74%	71%	68%	65%	67%	61%

المصدر: الهيئة الوطنية للقياس والتقويم في التعليم. "برنامج اختبار التلاميذ الدولي PISA: أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم والقراءة والرياضيات، رؤيا إسرائيلية" (بالعبرية). القدس: وزارة التربية والتعليم، كانون الأول 2016، ص 119.

جدول رقم 8

أداء التلاميذ بسن 15 في القراءة بحسب سنة الاختبار (PISA)

		2006	2009	2012	2015
المعدل في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية	المعدل	492	493	496	493
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	9%	8%	8%	8%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	20%	19%	18%	20%
في إسرائيل	المعدل	439	474	486	479
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	5%	7%	10%	9%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	39%	27%	24%	27%
متكلمو العبرية	المعدل	456	498	510	507
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	6%	9%	12%	12%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	33%	18%	16%	17%
متكلمو العربية	المعدل	372	392	401	391
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	1%	1%	1%	0%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	62%	55%	49%	56%

المصدر: الهيئة الوطنية للقياس والتقويم في التعليم. "برنامج اختبار التلاميذ الدولي PISA: أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم والقراءة والرياضيات، رؤيا إسرائيلية" (بالعبرية). القدس: وزارة التربية والتعليم، كانون الأول 2016، ص 93.

جدول رقم 9

أداء التلاميذ بسن 15 في القراءة بحسب سنة الاختبار والجنس (PISA)

		2006		2009		2012		2015	
		بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات
متكلمو العبرية	المعدل	439	474	480	515	490	529	500	514
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	6%	7%	8%	11%	11%	13%	12%	12%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	39%	26%	24%	13%	23%	9%	20%	14%
متكلمو العربية	المعدل	335	407	359	424	363	435	364	416
	ذوو الأداء المتفوق (المستويان 5 و6)	0%	1%	0%	1%	0%	1%	0%	0%
	ذوو الأداء الضعيف (المستوى دون 2)	75%	50%	69%	42%	66%	35%	68%	45%

المصدر: الهيئة الوطنية للقياس والتقويم في التعليم. "برنامج اختبار التلاميذ الدولي PISA: أداء التلاميذ بسن 15 في العلوم والقراءة والرياضيات، رؤيا إسرائيلية" (بالعبرية). القدس: وزارة التربية والتعليم، كانون الأول 2016، ص 99.

المبحث الثاني: التربية المدنيّة في إسرائيل

"ميخال براك | مجلة عدالة الإلكترونية، العدد 18، أيلول 2005" مرجع

نُشر، مؤخّرًا، في صحيفة "هآرتس" خبر عن منهاج تعليميّ تجريبيّ للبجروت في موضوع التعدّدية الثقافية، أعدّته مديرية التربية والتعليم في القدس، وقد خُصّص لطلاب صفوف العاشر في المدارس الواقعة في أرجاء مدينة القدس، بما فيها المدارس اليهودية الرسمية، والرسميّة الدينية والمدارس العربية. كان من المفروض أن يدرس الطلاب المنهاج على امتداد ثلاث سنوات، في إطار 5 وحدات تعليميّة. جاء في الخبر المنشور في "هآرتس"، ضمن أشياء أخرى، أنّ قائمة المقالات التي يستند إليها هذا المنهاج تتضمّن مقالات لإدوارد سعيد وعزمي بشارة. وفي الأسبوع نفسه، وعلى أثر نشر الخبر، قرّرت وزيرة المعارف ورئيس السكرتارية التربوية في وزارة المعارف إلغاء المنهاج. أمّا سبب الإلغاء، وفق خبر آخر نُشر في صحيفة "هآرتس"، فقد كان المقالات التي ذُكرت أعلاه.

إنّ هذه الحادثة الهامشيّة تميّز التعامل مع التربية المدنيّة في إسرائيل. ينظر الى التربية المدنيّة في إسرائيل على أنها موضوعًا سياسيًّا محطّ اختلاف في الرأي. ويدّعي بدهتسور وبرليغر أنّ هذه الرؤية تستند الى التناقض الجوهري في التربية المدنية:

"حقيقة وجود مصالح بارزة لكلّ التيّارات السياسية في إسرائيل في كلّ ما يتعلّق ببلورة ماهية التربية للمواطنة في إسرائيل، أدّت إلى ربط الصراع المضمونيّ المتعلّق بها بالصراع السياسي... حقيقة أنّ التربية للمواطنة (عمليًّا، عدم نجاعتها) تمسّ صلب النزاع السياسي داخل المجتمع الإسرائيلي، وكونها متأثّرة بالقيم الأساسية المتعلّقة ببلورة صورة إسرائيل وتؤثّر عليها، جعلتها أداةً مركزيةً في النزاع المتواصل بين تيّارين سياسيين، ينظران بشكل مختلف إلى الصورة المستقبلية للدولة".

لا ينتهي الأمر عند حدّ اعتبار المؤسّسة التعليمية في إسرائيل التربيةَ المدنيّة موضوعًا سياسيًّا، بل إنّ المفهوم السائد هو أنها تنافس التربية اليهودية – القيميّة. يُمكن القول بصلافةٍ، إنّ التربية للهويّة المدنية تشكل خطراً على التربية للهوية القومية، الصهيونية أو اليهودية. لهذه الأسباب يعاني جهاز التعليم في إسرائيل نقصًا كبيرًا في مجال التربية المدنية.

أحد الأمثلة البارزة على ذلك أُثير مؤخّرًا خلال مناقشات لجنة دوفرات للإصلاح التعليميّ. ناقشت اللجنة مسألة امتحانات البجروت التي سيتمّ ضمها ضمن الإطار الإلزاميّ، وكذلك أيّ من هذه الامتحانات ستصبح مواضيع خاضعة لاختيار المدارس. عمومًا، يؤيّد تقرير لجنة دوفرات توسيع التعليم المدني في إسرائيل. إلاّ أنّه غاب عن الاقتراح الأوليّ موضوع المدنيات ضمن جملة المواضيع الإلزامية. وبعد نضال جماهيري فقط اتّخِذ قرار بإضافة امتحان البجروت في المدنيات إلى جملة المواضيع الإلزامية.

التربية المدنيّة هي اسم شامل لمجموعة متنوّعة من البرامج والنشاطات التعليمية. من المتبع التمييز بين موضوع المدنيات، الذي تدرّس فيه المبادئ الأساسية للمواطنة في دولة ديمقراطية، وبين التربية المدنيّة التي تشمل، أيضًا، برامج تعليمية ونشاطات غير منهجية.

إنّ الهدف من التربية المدنية هو تأهيل مواطن الغد في دولة ديمقراطية. وهذا الهدف، يشمل التربية على مجموعة من الصفات التي يجب على المواطن البالغ أن يتحلّى بها. إنه الشخص الذي يكون على معرفة ودراية بالمصطلحات الأساسية للنظام الديمقراطي، مهتمًّا بما يجري حوله وصاحب موقف، ذا شعور بالانتماء إلى الدولة والمجتمع، انتقاديًّا، واعيًا لقدرته على التأثير على الواقع وملمًّا بالأدوات المتاحة له للقيام بذلك. كمواطن، فهو ذو دافع ورغبة في التأثير، مستهلك معلومات انتقادي، قادر على فهم معنى الحياة وتعقيداتها في مجتمع ديمقراطيّ.

إنه بالرغم من أنّ الخطاب المؤسساتي، كما ينعكس في مستندات رسمية تابعة لوزارة المعارف وفي المناهج التعليمية في المدنيات، يتبنّى تقريباً هذه القائمة من الأهداف، الا أن جهاز التعليم في إسرائيل لم يتبنَاها. إنّ مفهوم التربية المدنية كمسألة سياسية، والذي يضعها محطّ نزاع مع التربية الصهيونية – القومية، لا يتوافق مع الأفكار التي بموجبها خُصّصت التربية المدنية لتأهيل مواطنين انتقاديين، ذوي وعي عام وذوي هوية مدنية ثابتة.

عمومًا، هناك توجّهان مركزيّان في ما يتعلّق بمضامين التربية المدنيّة: توجّه رسميّ وتوجّه جوهريّ. يُبرز التوجّه الرسميّ تعليم مبنى النظام الديمقراطيّ والتعرّف على مؤسّسات الحكم، صلاحيّاتها، نشاطها والعلاقات المتبادلة بينها. ويُبرز التوجّه الجوهريّ قيمًا ديمقراطية، ويتطرّق إلى حقوق الإنسان، إلى القيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة وإلى المبنى الاجتماعيّ. طرأت بعض التغييرات والإصلاحات على منهاج تعليم المدنيّات في إسرائيل، وسنتطرق إليها لاحقًا بشكل مقتضب.

تعاني التربية المدنيّة منذ قيام دولة إسرائيل من مكانة متدنّية. يكمن لبّ المشكلة في قلّة الوقت المخصّص لتعليم موضوع المدنيّات. حيث يحظى الطالب الإسرائيلي في المعدّل بثلاث ساعات أسبوعية على امتداد سنة واحدة فقط من تعليم المدنيات في إطار دراسته لامتحان البجروت في المدنيات (وحدة تعليمية واحدة). تُجرى في السنوات الأخيرة تجربة في عدد محدود من المدارس في مجال تعليم المدنيات للبجروت بمستوًى أعلى (2 أو 5 وحدات تعليمية)، كما أنّ هناك منهاجًا تعليميًّا اختياريًّا من سنة واحدة في إطار المرحلة الإعدادية. ولما كان غالبية طلاب الثانويات يتعلمون المدنيات في السنة الدراسية التي يدرسون فيها لامتحان البجروت فقط (بخلاف جميع المواضيع التعليمية التي يتم تدريسها على مدى عدد من السنوات قبل سنة الدراسة للبجروت)، فإن مستويات تحصيل الطلاب في هذا الموضوع هي من المستويات المتدنية. حتى فترة متأخرة، عانى جهاز التعليم من مشكلة أخرى في هذا المجال، وهي غياب التأهيل العينيّ في تعليم المدنيات. لم تكن في المدارس ولا في دور المعلّمين مسارات خاصّة لتعليم المدنيات، وكان مجال تخصص غالبيّة المعلمين في هذا المجال إمّا التاريخ وإمّا علم الاجتماع. توجد اليوم بعض مسارت التخصّص في التربية المدنية، خصوصًا خلال الدراسة للقب الثاني.

في السنوات التي سبقت قيام الدولة وخلال العقود الأولى من قيامها، ركّزت التربية المدنية في إسرائيل على التربية الصهيونية لبناء الأمّة. لم يشتمل المنهاج التعليميّ على قيم عامّة أو ديمقراطية. تمّ سنة 1976 إدراج موضوع

المدنيات، للمرة الأولى، كموضوع تعليم إلزاميّ منفصل في المدارس الثانوية اليهودية، وبعد ذلك ببضع سنوات في المدارس العربية، أيضًا. وقد اختلف منهاجا التعليم في كلّ من الوسطين التعليميين. عمومًا، يتميّز هذان المنهاجان باكتفائهما بمضامين رسمية، تشمل التطرّق إلى إجراءات ديمقراطية، والى مؤسسات الحكم، وإلى نشاطها وإلى العلاقات القائمة بينها.

إنّ التخوّف من الأخطار التي تهدّد الديمقراطية الإسرائيلية إثر مقتل ناشط السلام إميل غرينتسفايغ (أثناء مظاهرة ضد الحرب في لبنان عام 1983) ودخول حركة "كاخ" المتطرفة إلى الكنيست (1984)، أدّيا إلى تقوية موضوع المدنيات في جهاز التعليم. فقد تمّ سنة 1985، على خلفية هذين الحدثين، إنشاء قسم الديمقراطية والتعايش في وزارة المعارف. كان هذا القسم مسؤولاً عن عدد من المناهج التّعليميّة، وكلّها غير منهجية. إلاّ أنّه تم تقليص مكانة القسم ونشاطاته تدريجيًّا، وفي مرحلة معيّنة تمّ إلحاقه بدائرة التربية القيميّة، التي كانت مسؤولة، أيضًا، عن تعليم اليهودية. وقد تمّ إغلاقه نهائيًّا عام 1999.

في سنة 1995 قام وزير المعارف حينها، أمنون روبنشطاين، بتعيين لجنة برئاسة البروفيسور مردخاي كرمنيتسر، لتفحّص التربية المدنية في إسرائيل والتوصية بخطّة شاملة لترسيخ القيم الديمقراطية والمدنيّة. قامت اللجنة بتقديم تقرير مفصّل تضمّن توصيات للإصلاح الشامل في التربية المدنية عمومًا وفي تعليم المدنيات خصوصًا. وقد تمّ على أثر تقرير كرمنيتسر تغيير المنهاج التعليمي في المدنيات للبجروت. وابتداءً من سنة 2001 تمّ إدراج منهاج تعليميّ جديد، يستند إلى الكتاب التعليميّ "أن نكون مواطنين في إسرائيل: دولة يهودية وديمقراطية". وهذا الكتاب مترجم إلى اللغة العربية، أيضًا. كما أقيمت وحدة مشتركة لتطبيق تقريري كرمنيتسر وشنهار (تقرير شنهار: "شعب وعالم – ثقافة يهودية في عالم متغيّر"، يتطرّق إلى التربية للثقافة والتراث اليهوديين). إنّ قسم الديمقراطية والتعايش ووحدة تطبيق تقرير كرمنيتسر على حدّ سواء، وجدا نفسيهما، في نهاية المطاف، خاضعين أو شريكين في وحدات، تعمل في مجال التربية اليهودية القيمية. ويدّعيان أنّ هذا الواقع ناتج عن مواقف وزراء المعارف المتعاقبين الذين رأوا أنّ التربية المدنيّة هي تربية ليبرالية يسارية، وأنّ التعامل معها يجب أن يكون مشروطًا بتعزيز مكانة التربية اليهودية القيميّة.

عنوان الكتاب التعليمي الجديد "أن نكون مواطنين في إسرائيل: دولة يهودية وديمقراطية"، يدلّ على توجّهه: المواطنة في دولة يهودية وديمقراطية. يقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: (1) ما هي الدولة اليهودية؟ (2) ما هي الديمقراطية؟ (3) نظام الحكم والسياسة في إسرائيل. وعلى أثر توصيات لجنة كرمنيتسر، تتطرّق مضامين التعليم، على حدّ سواء، إلى الجانب الرسمي للمواطنة– مؤسسات الحكم ونشاطاتها– والى قيم الديمقراطية، حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، حدود الديمقراطية والانشقاقات في المجتمع الإسرائيلي (بما فيها الانشقاق القومي – بين الغالبية اليهودية والأقلية العربية؛ الانشقاق الديني – بين اليهود المتدينين واليهود غير المتدينين؛ الانشقاق الطائفي – بين الأشكناز والشرقيين؛ الانشقاق الفكري – السياسي – بين اليمين واليسار والانشقاق الناتج عن المكانة الاجتماعيّة – الاقتصاديّة – بين الأغنياء والفقراء).

إنّ المنهاج التعليمي الجديد في المدنيّات لم ينجح في تحقيق هدفه في أن يصبح أداة لتحصيل المواطنة المشتركة لمواطني إسرائيل كافة. وتدّعي أنّ تعريف دولة إسرائيل في كتاب التدريس، هو دولة يهودية – قومية. وإنّ التطرّق إلى تعريفات أخرى للدولة (مثلاً: دولة جميع مواطنيها) معروضة كتعريفات ثانوية. رغم أن الكتاب يعرض عددًا من التوجّهات المحتمَلة لتعريف دولة إسرائيل، "... أسلوب صيغة هذا النقاش يشهد على أنّ الكتاب، في قناع تبنّي مفهوم يؤمن بتعدّد الآراء وعرض مختلف للآراء القائمة في المجتمع الإسرائيليّ، يتّخذ موقفًا واضحًا في مسألة التعريف المرغوب فيه لدولة إسرائيل. وعن طريق عرض خطّ خيالي متواصل، يميّز الكتاب بين التوجّهات المرغوب فيها – التوجهات الصهيونية– الواقعة في مركز الخطّ الخيالي نفسه، وبين التوجّهات التي ترفض تعريف دولة إسرائيل كيهودية أو ديمقراطيّة، وعليه فهي موجودة على هامش الخطّ الخيالي المتواصل — في الطرف".

المنهاج التعليميّ الجديد في المدنيات هو تحسين ملموس في مضامين تعليم المدنيات، إلاّ أن تطبيقه لم يرفق بزيادة في عدد السّاعات التعليمية أو بزيادة مناهج جديدة في مجال التربية المدنية. وعدا ذلك، فإنّ هذا المنهاج التعليميّ، أيضًا، لا يلبّي أهداف التربية المدنيّة، ولا يطبّق مجمل التوصيات الواردة في تقرير كرمنيتسر. ليس هذا هو المنهاج الذي يمكنه أن يقوم بتربية الطلاب ليكونوا مواطنين انتقاديين. منطلقه هو إثنوقراطي (تعريف إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية)، وعليه فهو لا يربّي على هوية مدنية مشتركة، كما أنه لا يواجه بشكل حقيقي الصراع القائم بين دولة القوميّة اليهودية والقيم الديمقراطية.

وفي النهاية، إنّ التربية المدنية في إسرائيل عمومًا تعاني من شحّ الساعات التعليمية والبرامج غير المنهجية الرسمية. وينظر الى التربية المدنيّة في جهاز التعليم الإسرائيلي على أنها تنافس التربية اليهودية– الصهيونية. أما الأقسام والهيئات التي أقيمت لتحسين هذا المجال فقد وجدت نفسها، في آخر المطاف، تابعة إلى أقسام تعمل في مجال التربية القيميّة – اليهوديّة. وعلى الرغم من أنّ المنهاج التعليميّ الجديد في المدنيّات هو في تحسّن ملموس من ناحية المضامين مقارنةً بالمناهج التي كانت موجودة في الماضي، إلا أنّه منهاج متسم بالمركزية الإثنية ويتمحور حول إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية، ولا يحثّ على التفكير النقديّ ومناقشة الإشكال الجوهري القائم في دولة يهودية وديمقراطية. هذا نابع من مفهوم التربية المدنية على أنها مجال سياسيّ ينافس التربية للقيم الصهيونية والقومية.

يواجه الطلاب والمعلّمون في المدارس العربيّة صعوباتٍ خاصة، خصوصًا في مجال التربية المدنيّة. كما ذُكر سالفًا، فإنّ منهاج تعليم المدنيات لا يشجّع على التربية على هوية مدنية مشتركة لمواطني إسرائيل كافة. إنّ التعامل مع الأقلية العربية في المنهاج التعليمي الجديد هو كالتّعامل مع أقليّة قوميّة، وثمّة تطرّق أيضًا إلى التوتّرات النّابعة من وجود أقليّة قوميّة فلسطينية في دولة قومية يهوديّة. ومع ذلك، تدّعي بينسون أنّه لا يتمّ استيعاب هذه الصعوبات بأنّها تحدّ يواجه الديمقراطيّة والمواطنة الإسرائيليتين، إنّما هي تحدّ خاصّ بالأقليّة الفلسطينيّة.

إنّ غياب المواجهة الحقيقيّة لمشاكل الديمقراطيّة الإثنيّة، وخصوصًا في التّعامل مع الأقليّات ذات الهويّة الإثنيّة المختلفة، يضع معلّمي المدنيّات في الوسط العربيّ في مأزق: عليهم تعليم مبادئ الديمقراطيّة لطلاب لا تتوافق ظروف

حياتهم مع هذه المبادئ. لا يتيح المنهاج للمعلّمين العرب فرصة حقيقية ليناقشوا مع طلابهم الصراعات الناتجة عن الصدامات بين يهودية الدولة ومواطنتهم فيها.

في حلقة دراسية خاصة باللغة العربية، يتألّف المشاركون فيها من معلمي مدنيات في المدارس العربية، يناقش المشاركون التحدّيات والصعوبات التي ينطوي عليها تعليم المدنيات في المدارس العربية. تُقام الحلقة الدراسية في إطار مركز جيلو للتربية المدنية والديمقراطية في قسم العلوم السياسيّة في الجامعة العبرية بالقدس. يدرس المشاركون فيها لنيل اللقب الثاني في العلوم السياسية في فرع "التربية المدنية والديمقراطية". كان موجّه الحلقة الدراسية في سنة نشاطها الأولى الدكتور عصام أبو ريا، ويديرها منذ سنتين الدكتور أمل جمّال.

توفّر الحلقة الدراسية للطلاب إطاراً توجيهياً لاستيضاح قضايا تتعلّق بالمواطنة الديمقراطية وبالتربية المدنية، ولمناقشة الصعوبات والتحدّيات الكامنة في تعليم المدنيات وترسيخ قيم الديمقراطية في جهاز التعليم العربي. السؤال الأساسيّ في الحلقة الدراسية هو: هل من الممكن، وكيف من الممكن، تعليم المدنيات وترسيخ قيم الديمقراطية لدى الطلاب العرب، في ضوء واقعهم المعِيش، من خلال المواجهة الصادقة للتناقضات القائمة بين العبر العامّة، التطلّعات القومية، الواقع اليوميّ والعلاقات مع مؤسسات الحكم.

وصفت إحدى طالبات اللقب الثاني والمشاركة في الحلقة الدراسية، وهي معلّمة في مدرسة عربية في إسرائيل، تجربتها في تعليم المدنيات، على النحو التالي:

"المشكلة التي أواجهها دائمًا هي الرفض الحادّ [من جانب الطلاب] لتعريف نظام الحكم في إسرائيل بالديمقراطي. أحاول أن أشرح للطلاب أنه بالرغم من كون الديمقراطية في إسرائيل محدودة (ويكون ذلك عمومًا بادّعاءات أمن الدولة)، لكن في قضايا كثيرة هناك ديمقراطية، كما في مجال المساواة أمام القانون. الطلاب يدعون أنّ الديمقراطية في إسرائيل محدودة وفق مصالح نظام الحكم، مثلاً، طالما تُذكر أحداث أكتوبر 2000 عندما يطرح الحقّ في التظاهر. بعد أحداث أكتوبر 2000 سألني أحد الطلاب: لماذا تصرّفت الشرطة بهذا الشكل مع المواطنين العرب. لماذا لم تتصرّف بهذا الشكل، في أي مرّة في السابق، مع المواطنين اليهود. وافقت الطالب الرأي. حقًّا، تتصرّف الدولة، أحيانًا، بأسلوب يخالف الديمقراطية وتمارس العنف ضدّ المواطنين، وخصوصًا المواطنين العرب. في رأيي، لا تعرف الدولة، أحيانًا، كيف تتصرّف وهي تسلك بهذا الشكل نتيجة خوفها".

تتميّز الحياة في مجتمع ديمقراطي، على وجه العموم، وفي دولة قومية كدولة إسرائيل، على وجه الخصوص، بكثرة المآزق وحالات الصراع.

المبحث الثالث: كتاب المدنيات الجديد يؤكِد يهودية الدولة

أعلنت وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، بتاريخ 10 تشرين الأول 2017 عن صدور طبعة جديدة لكتاب موضوع المدنيات الذي سيدرّس في المدارس الإسرائيلية، بعنوان "أن نكون مواطنين في إسرائيل"، بعد ستة أعوام من العمل على إعادة صياغته، رافقها سجال عام حاد وانتقادات لمضامينه.

يشار إلى أن الإعلان عن صدور الكتاب جاء عشية إحياء إسرائيل ذكرى جنودها القتلى وذكرى استقلالها، الأمر الذي شكّل ذريعة لعدم التعاطي مع الكتاب بشكل واسع، باستثناء صحيفة "هآرتس" بالأساس. وبرغم ذلك، فإن معظم التعليقات والمقالات حوله كانت نقدية.

ورأى محلل شؤون التربية والتعليم في "هآرتس"، أور كاشتي، أن الطبعة الجديدة لكتاب المدنيات هي "تعبير صادق لأفكار اليمين السياسي والصهيونية الدينية خصوصاً حول مسألة كيف ينبغي أن تدار دولة إسرائيل".

وجرت عملية إعادة صياغة الكتاب خلال ولاية حكومات بنيامين نتنياهو، منذ العام 2009 وحتى اليوم. وبدأت هذه العملية عندما كان غدعون ساعر، من حزب الليكود، وزيراً للتربية والتعليم، وانتهت خلال ولاية رئيس حزب "البيت اليهودي" اليميني المتطرف، نفتالي بينيت، وزير التربية والتعليم الحالي، وأخضع الوزيران موضوع المدنيات لأجندة حزبية يمينية.

ويمنح الكتاب مكاناً مركزياً للأفكار الدينية اليهودية، ويتم التعبير عن ذلك باقتباسات كثيرة من مصادر دينية يهودية، ويعتبر الكتاب أن ثمة مبرراً واحداً لإقامة دولة إسرائيل هو "الوعد الإلهي".

ويدافع الكتاب عن وجود إسرائيل "كدولة قومية يهودية"، ويعرّف القومية في إسرائيل بأنها "عرقية – ثقافية" مرتبطة بـ"القومية اليهودية"، ويكرر الادعاء بأن هذا التعريف لا يتناقض مع الديمقراطية، وبذلك يتجاهل الكتاب الانتقادات، حتى داخل إسرائيل، لهذا التعريف القومي.

تجاهل وجود العرب

يبرز في كتاب المدنيات الجديد تجاهل الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل، ويقسم هذه الأقلية إلى هويات ثانوية عديدة "من غير اليهود"، مثل العرب والدروز والشركس والآراميين. ويشار إلى أن "الآراميين" نزعة جديدة تشمل عدداً قليلاً جداً وهامشياً للغاية بين الأقلية العربية الذين لا يعتبرون أنفسهم عرباً، ويلقون تشجيعاً لذلك من حكومة اليمين الإسرائيلية وبشكل خاص من رئيسها نتنياهو، ورغم ذلك فإن الكتاب يخصص لهم حيزاً واسعاً نسبياً.

وجاء في الفصل التاسع في الكتاب، تحت عنوان "العرب، الدروز والشركس في المجتمع الإسرائيلي"، أن "معظم الناطقين بالعربية يعرفون أنفسهم بأنهم جزء من الأمة العربية، والقسم الأكبر منهم يعرفون أنفسهم كفلسطينيين". وتأتي هذه الجملة من باب الإدانة وليس بهدف وصف واقع.

وخصص للعرب المسلمين من مواطني إسرائيل فقرتان فقط في الكتاب، الذي أشار إلى أنهم يشكلون 83% من "مجمل الأقليات" في إسرائيل. وهاتان الفقرتان قصيرتان وتركزان بالأساس على التمييز ضد المرأة.

لكن الكتاب يخلو من أي تطرق إلى مكانة المرأة في المجتمع اليهودي، ولا يتناول بتاتاً ظاهرة إقصاء المرأة من الحيز العام بشكل مطلق بين اليهود الحريديم.

ويتطرق الكتاب بشكل واسع وبإعجاب للدروز، الذين يخضعون للخدمة العسكرية الإلزامية في الجيش الإسرائيلي، ويعتبر أن "معظم الدروز لا يعرفون أنفسهم كعرب"، وأنه "خلافاً لما هو سائد في معظم بلدان الشرق الأوسط، فإن مكانة المرأة الدرزية مساوية لمكانة الرجل".

ويشدد الكتاب على اندماج الدروز في المجتمع الإسرائيلي، وعلى أن "عدداً متزايداً من الشبان الدروز يصلون إلى مواقع تأثير رفيعة".

ويصف الكتاب الشركس كمن يتعاطفون مع دولة إسرائيل، وأنهم يخدمون في الجيش الإسرائيلي.

وفيما يتعلق باللغة العربية، جاء في الكتاب أن "لا مكان لها في كل الحيز العام" وأن "قسماً من الوزارات تمتنع عن منح خدمات باللغة العربية"، ورغم أن هذه ظاهرة تناقض القانون الإسرائيلي إلا أن تعامل الكتاب معها ليس نقدياً.

ورغم أن الكتاب مُعد للمدارس الحكومية، وبضمنها العربية، إلا أنه لم يشارك في كتابته أي عربي. والمستشار الأكاديمي الوحيد المذكور في الكتاب هو الدكتور أفي بكشي، المعروف بمواقفه اليمينية. كما أن طاقم المشاركين في إعادة صياغة الكتاب مؤلف من اليهود فقط.

وادعت وزارة التربية والتعليم أنها حصلت على ملاحظات من عرب متخصصين في موضوع المدنيات، لكن الوزارة رفضت كشف أسمائهم، كما أنهم ليسوا موقعين على الطبعة الجديدة، ما يعني أن ثمة احتمالين، إما أن الكتاب لم يطلع عليه عرب أو أنه اطلع عليه عرب ولكنهم قدموا ملاحظات نقدية ولم يوافقوا على مضمونه.

وانتقد نائب رئيس "المعهد الإسرائيلي للديمقراطية"، البروفسور مردخاي كريمنيتسر، تعامل الكتاب مع العرب، ورأى أنه "في الجانب الأخلاقي – الأيديولوجي، هذا كتاب له توجه معاد للمواطنة، وخصوصاً في كل ما يتعلق بجمهور المواطنين العرب".

وأضاف أنه "جرى إخراج العرب من الجيد المشترك. وبنظري هذا مفهوم معادٍ للمواطنة وللديمقراطية، سيثير بحق غضب أي شخص مخلص للديمقراطية وأي يهودي ليبرالي في العالم. وإذا خرجت هذه المضامين إلى خارج إسرائيل، فإنها ستستخدم كسلاح بأيدي من ينزع شرعيتنا".

"أرض إسرائيل" والاستيطان

يدعي الكتاب أن العلاقة بين اليهود وفلسطين، الذي يسميها "أرض إسرائيل"، مستمرة منذ آلاف السنين، وأن "سيادة يهودية كانت موجودة في أرض إسرائيل قبل آلاف السنين، في فترة الهيكل الأول والهيكل الثاني. منذئذ وطوال كل السنين، وخلال فترة الشتات أيضاً، عاش يهود في أرض إسرائيل، ولم يتم التخلي عنها أبداً".

ولا يتطرق الكتاب أبداً إلى علاقة العرب والفلسطينيين بفلسطين، رغم أن الكتاب يشير إلى أنهم كانوا أغلبية في البلاد قبل تأسيس إسرائيل.

ويدعي الكتاب أن علاقة وحق اليهود في فلسطين مطلقان، بينما القومية الفلسطينية ليست حقيقية، وأن اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا إبان النكبة في العام 1948 "هربوا خوفاً على حياتهم أو استجابوا لدعوات زعماء محليين أو قادة الدول العربية المجاورة".

كلمة "مستوطنة" لا تظهر في الكتاب بتاتاً. ويعتبر مؤلفو الكتاب أن هناك خلافاً حول الأراضي المحتلة عام 1967، وما إذا كانت هذه "مناطق محتلة" أو "مناطق محررة" ويصفها الكتاب بأنها "مناطق مُدارة".

أما المشروع الاستيطاني فإن الكتاب يذكره بشكل مقلص للغاية ولا يتطرق إلى تاريخه أو إلى عواقبه. ويذكر الكتاب هذا المشروع بشكل عابر لدى الحديث عن مواقف اليمين واليسار في إسرائيل، المؤيدة والمعارضة للاستيطان.

ويذكر الكتاب المحرقة إبان الحكم النازي لألمانيا على أنها مبرر لإقامة "الدولة اليهودية" ووجودها. وجاء في الفصل الرابع أن "الشعب اليهودي ما زال ينزف جراء مقتل ستة ملايين من أبنائه".

ويوجد في الكتاب تبرير آخر، ديني: "وفقاً للتوجه السائد، فإن توراة إسرائيل ورؤيا الأنبياء تأمر الشعب اليهودي بإقامة سيادة يهودية في أرض إسرائيل".

وانتقدت الدكتورة هيللي بينسون، من جامعة بن غوريون في بئر السبع، هذا الفصل، وقالت إن "كل جوهر هذا الفصل إشكالي، لأنه بدلاً من فتح نقاش حول المفاهيم المختلفة للقومية والمواطنة، يوجه هذا الفصل رسالة واضحة مفادها أن هذا هو النموذج المفضل، وحتى من الناحية الأخلاقية أيضاً".

من جهة أخرى، على الرغم من أن اليهود العلمانيين هم المجموعة الأكبر في إسرائيل، إلا أن الكتاب يذكرها بصورة مقلصة جداً، ولا يتناول شرحاً حول جوهر العلمانية.

وفي المقابل، يتطرق الكتاب بتوسع إلى مجموعات أصغر بكثير من العلمانيين، وهم الحريديم والمتدينين، وخاصة إلى الصهيونية الدينية، وهو التيار الذي يمثله حزب "البيت اليهودي".

ويكاد لا يتطرق الكتاب إلى "الشرخ الطائفي" بين اليهود الأشكناز والشرقيين في إسرائيل. وكتب البروفسور يوسي دهان، أنه "في العالم الموازي الذي أوجده الكتاب لا يوجد شرقيون وأشكناز في إسرائيل، ولا توجد مدن تطوير ولا أحياء فقر، ولا يوجد تاريخ من الصراع على الأراضي والموارد والفرص".

كذلك تطرق الكتاب باقتضاب شديد إلى اغتيال رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق، إسحق رابين، على أيدي ناشط اليمين المتطرف، يغئال عمير، في أعقاب توقيع اتفاق أوسلو مع الفلسطينيين.

ورغم أن الكتاب يستنكر الاغتيال إلا أنه يشير إلى خلفية القاتل أو خلفية الاغتيال، وبدلاً من ذلك يطلب من التلاميذ تحليل حدود التعبير عن الرأي من خلال استخدام اقتباسين، أحدهما اعتبر أن الاغتيال تم على خلفية "ظروف اجتماعية"، والثاني قول المستشار القانوني الأسبق، ميني مزوز، أن الاغتيال لم يكن نتيجة تحريض اليمين ضد رابين والاتفاق مع الفلسطينيين.

وينتقد الكتاب سن قوانين أساس، التي تعتبر قوانين دستورية في إسرائيل، وبينها قانون أساس: حرية الإنسان وكرامته. ويبدو أن انتقاد هذه القوانين في الكتاب نابع من أن بمقدورها منع سن بعض القوانين العنصرية والمعادية للديمقراطية التي سعت إلى طرحها أحزاب اليمين.

"رواية الشعب اليهودي فقط!"

يعتبر اليمين الإسرائيلي أن الصيغة المعدلة لكتاب المدنيات يجب أن تعكس "رواية الشعب اليهودي"، علماً أن الكتاب يطمس وجود الفلسطينيين.

وعبّر عن هذا الموقف المحامي اليميني، الدكتور حاييم ميسغاف، في مقال في صحيفة "معاريف"، أول من أمس الأحد، اعتبر فيه أن كتاب المدنيات "يجب أن يعكس رواية الشعب اليهودي، ولا مكان للمطالبة بوجهة نظر متبادلة أو متساوية".

واعتبر ميسغاف أن منتقدي الكتاب "يريدون أن يروا هنا، قبل أي شيء، دولة "جميع مواطنيها"، وهذا أمر يثير لدي حزناً بالغاً، ولو كانوا موجودين لدى صياغة وثيقة الاستقلال لحاولوا الدوس عليها ودعوا دول العالم إلى عدم الاعتراف بالدولة اليهودية".

وتابع ميسغاف أن "معسكر اليسار يطلب أن يتضمن الكتاب رواية العرب. وهذا لن يحدث بالطبع، لكن محاولة نزع الشرعية عن الروح اليهودية بواسطة وسائل إعلام (إسرائيلية) لا يتوقف".

واستطرد أن "الدولة التي أقيمت هنا هي دولة يهودية بكل وضوح. ولا توجد أية طريقة من أجل تغيير يهودية هذه الدولة، ولذلك أقول إن كل من لا يريد هذا اللباس لدولة إسرائيل حر بالانتقال إلى دول أخرى حيث ربما يجد هناك أن التعددية الديمقراطية أكبر. وستستمر دولتنا في كونها يهودية بكل ما يعني ذلك".

المبحث الرابع: موقف التيارات الصهيونية من كتاب المدنيات الجديد

كتاب "أن تكون مواطناً في إسرائيل" يهمش المجتمع العربي في إسرائيل ومواطني الدولة العلمانيين، ويمر على المستوطنات والفلسطنيين بشكل عابر فقط، ويعرض "يهودية أكثر وديمقراطية أقل"، بحسب نقد للكتاب في مقال لهيئة تحرير صحيفة "هآرتس".

أكثر ما تم التركيز عليه هو عدم وجود محررين عرب إسرائيليين على قائمة الإعتمادات في الكتاب.

النقاد في صحيفة "يديعوت أحرونوت" احتجوا على أن الإنقسامات الإثنية بين المزراحيم والأشكناز في إسرائيل بالكاد ذُكرت في الكتاب، ما يخفي سنوات من التمييز.

والنشطاء المثليين عبّروا عن غضبهم بأن الكتاب لا يشير إلى نشاطهم، بإستثناء الإشارة إلى جريمة قتل الفتاة شيرا بانكي (16 عاماً) في موكب الفخر للمثليين في عام 2015 – وعلاوة على ذلك، تصنيف الجريمة على أنها جريمة دينية.

الكتاب – واحد من ثلاثة كتب مدنيات متوفرة للمدارسة الإسرائيلية لامتحانات شهادة الثانوية العامة الإلزامية، ولكن الكتاب الوحيد الذي ستتم ترجمته إلى اللغة العربية – لم يتم تحديثه منذ عام 2000؛ النسخة الجديدة تم بدء العمل عليها قبل 6 أعوام تحت قيادة الوزير السابق غدعون ساعر (الليكود).

الكثير من النقاد اعتبروا الكتاب غير حيادي، يهدف إلى صب، أو على الأقل إعلام، وجهات النظر السياسية لجيل جديد من الناخبين باتجاه اليمين.

تأجيج الجدل

جميع النقاط الخلافية التي أشعلت النقاش في الأشهر الأخيرة لم يتم في نهاية المطاف شملها في النسخة الأخيرة. الكتاب كما يُزعم أشار إلى أن إغتيال رئيس الوزراء الأسبق يتسحاق رابين لم يكن نتيجة لتحريض معسكر اليمين، وتمت مقارنته بحادثة "ألتالينا" (المواجهة العنيفة بين الجيش الإسرائيلي الوليد ومنظمة "الإرغون" شبه العسكرية). لكن النص النهائي يوفر رأيين متضادين حول دور التحريض في جريمة الإغتيال في عام 1995 ويترك للطلاب إمكانية اتخاذ القرار؛ ولا يقارن الجريمة بـ"ألتالينا".

في السياق نفسه، قبل نشره كانت هناك مزاعم بأن الكتاب يقول بأن المواطنين العرب في إسرائيل لعبوا دوراً في موجة العنف الأخيرة (هناك فقط إشارة واحدة وبإيجاز للعنف الذي اندلع في خريف 2015، من دون الحديث عن منفذي الهجمات؛ الكتاب يؤكد أيضاً على أن للمواطنين العرب في إسرائيل لم يكن هناك دور إلى حد كبير في الإنتفاضة الثانية ما بين الأعوام 2000-2005)، وبأن الكتاب يبدأ بصلاة يهودية بدلاً من إعلان الإستقلال (وهذا غير صحيح).

المحللون الإسرائيليون أحسوا بالرضا، ونسبوا التنقيحات في الكتاب إلى الضجة العامة من حوله. في غضون ذلك، أصرّت وزارة التعليم تحت قيادة الوزير نفتالي بينيت بأن الكثير من التقارير كانت غير صحيحة – حتى في الوقت الذي حجبت فيها الكتاب عن الرأي العام والإعلام، حتى قبل نشره بوقت قليل.

مع ذلك، يرى النقاد بأن النسخة النهائية للكتاب ذات توجه يميني قومي أرثوذكسي متدين.

محرر الكتاب يهودا يعاري، الذي قام بتسريب أجزاء من الكتاب للصحافة في شهر يناير كتب على صفحته عبر موقع فيسبوك في أوائل مايو، "تصفحت كتاب المدنيات المنقح، وأدركت أنه في النهاية ساعدت فقط في المصادقة عليه".

وأضاف: "لو لم تصل رسالتي إلى الإعلام وتسببت بضجة، فكان سيتم إلقاء هذا الكتاب في سلة المهملات بسبب الأخطاء الفظيعة. عملياً، تم تصحيح هذه الأخطاء بالتحديد، ولكن الروح التبشيرية المتدينة-القومية بقيت. المجموعة المتطرفة التي تحاول السيطرة على البلاد وتغيير طابعها استولت على تلة أخرى".

الكتاب عبارة عن زناد، انعكاس لما يحدث في مجتمعنا

رداً على ذلك، قالت فردا إشكنازي، إحدى مؤلفي الكتاب، لإذاعة الجيش يوم الثلاثاء الماضي بأن يعاري كان "منشغلاً بآرائه الشخصية وموافقه الأيديولوجية" أكثر من تحرير النسخة خلال عمله.

ودعمت الكاتبة القضية الرئيسية المطروحة: الجدل حول كتاب المدنيات الإسرائيلي، كما قالت، ما هو إلا أحد أعراض المجتمع الإسرائيلي المنقسم بشدة.

وقالت إن "الكتاب عبارة عن زناد، انعكاس لما يحدث في مجتمعنا – الإنقسام الفظيع بين اليمين واليسار – الدولة وطابعها. الصراع ليس حول الكتاب، [الكتاب] هو أحد تعابير الصراع".

حول الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني والعلاقات اليهودية–العربية

وتعرّض الكتاب أيضاً لإنتقادات لتهميشه المواطنين العرب في إسرائيل وتقسيمه بلا داع بين المسلمين والمسيحيين والأرمن والدروز ووضع تركيز على الخدمة العسكرية التي تقوم بها المجموعة الأخيرة أكثر من التركيز على المجموعة الفرعية الأكبر: المسلمون العرب في إسرائيل. ويقول الكتاب أيضاً، في ما قد يُنظر إليه كتدعيم للقوالب النمطية، بأن العرب في إسرائيل يعيشون في حمولات، في حين أن الدروز يتميزون بـ"حسن الضيافة والتسامح الديني والولاء".

في الوقت نفسه، يسلط الكتاب الضوء على مجزرة كفر قاسم في عام 1956 (والتي قام فيها عناصر من شرطة حرس الحدود الإسرائيلية بقتل 49 عربياً من مواطني إسرائيل بعد إطلاق النار عليهم)، بما في ذلك إعتذار الرئيس رؤوفين ريفلين في عام 2014 على "الجريمة المروعة". ويشير أيضاً إلى الفجوات في التعليم والمكانة الإقتصادية بين العرب واليهود في إسرائيل وانعدام الثقة العميق الذي يميز العلاقات الإجتماعية بين الوسطين. ويكرس الكتاب أيضاً قسماً كاملاً للتسامح والتعددية، ويعطي أمثالاً عن العنصرية في المجتمع الإسرائيلي، مثل تلك التي تشهدها مباريات كرة القدم.

إستطلاع رأي حول من هم الأشخاص اللذين لا يرغب اليهود والعرب بالعيش بجوارهم يشير إلى أنه "إذا كانت نتائج الإستطلاع إنعكاس صحيح لآراء الإسرائيليين، فهناك إذا مشكلة تسامح حقيقية". ويتضمن الكتاب أيضاً قضية تمييز عنصري معروفة في مدينة الملاهي "سوبر لاند" ويحث الطلاب أيضاً على البحث عن مبادرات تعايش، مثل "تاغ مئير"، والنقاش حول كيفية المساهمة في علاقات أفضل.

في إحدى المهام، يُطب من الطلاب كما يلي: "إقرأ الأجزاء الثلاثة أدناه واشرح كيف يمكن إعطاء بصيص من الأمل لحياة تفاهم واحترام بين اليهود والعرب".

القسم حول العلاقات اليهودية–العربية يتضمن تنويهاً بأنه لن يتطرق إلى السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة.

يتخلل النص بشكل غير قابل للجدل إشارة إلى مصادر يهودية أكثر من نسخات سابقة، إلى جانب إقتباسات من قادة ومفكرين وشعراء إسرائيليين. دق النقاد ناقوس الخطر من الإقرار في الصفحات الأولى من الكتاب بأن مؤسسي دولة إسرائيل اختاروا حذف "وعد الله" كمبرر لإقامة دولة إسرائيل في إعلان الإستقلال، معتبرين هذا إشارة على التحيز الديني للكتاب.

ولكن الكتاب بنفسه يشير ضمنياً إلى مسألة عما إذا كانت الإشارة إلى المصادر اليهودية هي مشكلة بحد ذاتها في المجتمع الإسرائيلي، في قسم حول النقاش في استخدام المصطلح "تسور يسرائيل" – صخرة إسرائيل، وهو مصطلح يُستخدم كإشارة إما لله أو للشعب اليهودي – في إعلان الإستقلال:

"في النهاية، فإن قرار إستخدام عبارة "تسور يسرائيل" تميز حلول الوسط بين العلمانيين والمتدينيين حول مسائل أخرى كثيرة أيضاً. بإمكان المتدينين إعتبار أن المصلح يشير لله وبأنه ذات أهمية دينية، في حين يمكن للعلمانيين النظر إليه كإشارة إلى الأمة وبالتالي يحتوي على معنى وطني".

في حين أن هذا المصطلح التوراتي قد يكون شكّل مصدر تسوية في عام 1948، لا يبدو أنه يعمل على هذا النحو في 2016.

لاستباق النقاش حول الكتاب، يعرض مؤلفوه الوصف التالي للاتجاهات المختلفة للدين والدولة: "في المجتمع اليهودي الإسرائيلي، هناك منظومة مشتركة من القيم والرموز والممارسات، المأخوذة من الديانة والتقاليد اليهودية. ولكن هناك اتجاهات مختلفة للطابع المرغوب للدولة... هناك أولئك الذين يعتقدون بأنه ينبغي أن يكون للدين تأثير على طابع الدولة في التشريع والأحكام القانونية وفي المجال العام. آخرون يعتقدون بأن تأثير الدين يجب أن يكون محدوداً، وهناك من يعتقد بأنه لا ينبغي أن يكون للدين أي تأثير، وبأن المجال العام يجب أن يكون خالياً من أي دين".

في مسائل الدين اليهودي والديمقراطية، يؤكد النص في الكتاب على أن هناك "توترات" بين المبادئ اليهودية والديمقراطية لدولة إسرائيل، ولكنه يشير إلى أن "معظم الجمهور الإسرائيلي يعتقد بأنه من الممكن الدمج، بطريقة أو أخرى، بين الأساس اليهودي والأسس الليبرالية والديمقراطية". وككتاب مدنيات، فإن تركيزه الأساسي هو على النظام الديمقراطي في إسرائيل – مثل الإنتخابات والنظام القضائي والتشريعي فيها وأمور أخرى.

لكن معظم الضجة حول الكتاب تمحورت حول القسمين اللذين يتناولان الهوية الإسرائيلية وبالتحديد تصوير الهوية العلمانية اليهودية – التي تحظى باهتمام أقل من الأجزاء عن اليهود الحريديم واليهود القوميين المتدينين واليهود المحافظين – على الرغم من أن هذا الجزء يضم غالبية اليهود الإسرائيليين. الإشارة الخاطفة للتوترات بين السفارديم والأشكناز وتاريخ التمييز أثار ردود فعل غاضبة، وكذلك الأمر بالنسبة لتصنيف جريمة قتل الفتاة شيرا بنكي بيد رجل حريدي في موكب الفخر المثلي في القدس في عام 2015 كجريمة "دينية".

في معالجته للهوية اليهودية الإسرائيلية، يقوم الكتاب بتقسيمها إلى 4 فئات: الحريديم والمتدينين القوميين والمحافظين والعلمانيين، مع التركيز على أن هذه الفئات هي بمثابة "طيف" وليس مجموعات منفصلة وبأنه "لا توجد هناك بالضرورة علاقة مباشرة بين خصائص المجموعة وهويات الأفراد المدرجين في تلك المجموعات" وبأن بإمكان اليهود "التأقلم مع عناصر مختلفة من مجموعات مختلفة".

ويقول الكتاب، "على المرء أن يتذكر أن الحديث يدور عن طيف، المجموعات ليست مغلقة والخط الفاصل بينها غير واضح".

الهوية العلمانية الإسرائيلية "ليست متجانسة" ولا يوجد لمصطلح "العلمانية" تعريف واحد مقبول، بحسب الكتاب". بصفة عامة، العلمانية هي عدم وجود إلتزام بمؤسسة دينية وعقيدة دينية ملزمة... بالإضافة إلى ذلك، هناك من يضيفون لتعريف العلمانية مركبات أخرى، مثل الإيمان في سيادة الإنسان على مصيره أو التمسك بكرامة الإنسان والحرية كقيم أساسية".

في تعليق على ذلك، كتبت صحيفة "هآرتس" في مقال لهيئة التحرير بأن "هدف الكتاب المنقح، "أن تكون مواطناً في إسرائيل"، ليس توسيع معرفة الطلاب، وبالتأكيد ليس عرض وجهة نظرة مركبة للواقع، ولكن هدفه عرض نسخة واحدة لواقع مع خصائص دينية وقومية. وجهات النظر الأخرى تم تصغيرها إلى الحد الأدنى او إستبعادها تماماً تقريباً... من المستحيل فهم رسالة الكتاب بصورة خاطئة: الهوية اليهودية، كما يتم التعبير عنها في تعريف الدولة لنفسها وفي المجال العام، تأخذ الأولوية على حساب الهوية المدنية. هذا بالأساس يعكس وجهات نظر التيار الأرثوذكسي والمحافظ واليميني في اليهودية".

في مهاجمتهم لتعريف الكتاب للعلمانية الإسرائيلية وتوجيه أصابع الإتهام لليمين والقوميين المتدينين، تجاهل بعض النقاد إنزعاج الكتاب المتسق مع فكرة هوية ثابتة لجميع الفئات. وردود الفعل على هذا التعزيز للخطوط الإجتماعية–السياسية التي يحاول الكتاب طمسها يعطي ربما معلومات عن المواطنة والهوية الإسرائيلية أكثر من النص نفسه.

الفصل الخامس: الضفة الغربية في الفكر العقائدي الصهيوني

الحركة الصهيونية ومنذ نشأتها، ارتأت أن تقيم وطناً قومياً لليهود، على أن يتمتع بالشرعية منذ إقامته، أي بموافقة إقليم الدولة الوليدة ومجموعة الدول العظمى، من هنا فإن المؤسس والزعيم الأول للحركة، ثيودور هرتسل، ارتأى أن يحصل على موافقة الدولة العثمانية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، إلا أن الرفض الكبير من سلطانها عبد الحميد الثاني، دفعه للتفكير باتجاهات أخرى، كأوغندا وفي أحيان أخرى العريش المصري، عدى عن التجربة الاستيطانية في الأرجنتين.

اليوم بلغ الاستيطان في الضفة الغربية ذروته، ومع مجيء خطة ترامب، وصل منظري اتفاق أوسلو، سواء من الفلسطينيين أو الإسرائيليين، إلى أن حلم حل الدولتين بصيغته المعروفة قد انتهى.

صفقة ترامب لم تكن وليدة فكر الرجل، ففي ظل التيار الاستيطاني الكبير الذي اجتاحها، كانت ترتفع الكثير من الأصوات والمشاريع الصهيونية، الشريكة في الحكم، أو الموجهة له، مطالبة بشكل علني بضم الضفة الغربية لحكم "إسرائيل"، وأخرى بضم أجزاء واسعة منها، أمرٌ يدفع الباحث للتساؤل، ما هو مصير الضفة الغربية في ظل العقيدة الصهيونية اليهودية؟ وكيف تنظر التيارات الصهيونية المختلفة للضفة الغربية.

فإعلان ترامب لم يكن مجرد خطة مرحب بها إسرائيلياً، بل تعدت ذلك إلى أنّها رسخت حلماً لطالما طال انتظاره، وبالمجمل العام إذا ما تم استثناء حزب ميرتس والعمل، فإنّ التيارات الصهيونية الأخرى، والتي تُشكل 90% من مجموع التيارات في الكيان، قد رحبت بالصفقة، رغم اختلافها حول متى سيكون التطبيق.

وفق العقيدة اليهودية، فإن التاريخ العبري بمجمله كان في الضفة الغربية، فقد قامت دولة "إسرائيل" القديمة، وكذلك دولتا يهودا و"إسرائيل" بعد انقسامهما في الضفة الغربية، حيث ووفق ذلك التاريخ، – تنسب اليهودية لنفسها إرث الأنبياء داود وسليمان عليهما السلام –، فإن مملكة "إسرائيل" قامت في شمال الضفة الغربية، وكانت عاصمتها آنذاك نابلس "شكيم"، ويُطلق عليها اسم السامرة (شومرون) فيما قامت مملكة "يهودا في الجنوب، وكانت عاصمتها القدس، ويطلق عليها اسم يهودا، ليصبح اسم الضفة الغربية وفق العقيدة اليهودية يهودا والسامرة، اسم تطلقه "إسرائيل" على الضفة حتى اليوم، رافضة الاعتراف بالتسمية الفلسطينية.

توراتياً (في الكتاب المقدس اليهودي)، تنص التوراة وفق المتدينين اليهود الصهاينة، على أن أرض الضفة الغربية يجب أن تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية، لما في ذلك من تقريب لعودة المسيخ (المخلص لليهود)، والأبعد من ذلك وفق معتقدات تيار الصهيونية اليهودية، أن السيطرة على الضفة الغربية، وبناء جبل الهيكل وفق ادعائهم مكان المسجد الأقصى، انطلاقاً من هنا، بدأوا ببناء ما يسمى بالمذبح، لنقله إلى المسجد ووفق التعاليم اليهودية، فإن المذبح ذو أهمية بالغة ومكوّن أساس في البيت المقدس، ويعتبر بناءه المرحلة الأولى في بناء ما يسميه اليهود جبل الهيكل.

ووفق فتاوى الحاخامات (رجال الدين) اليهود، فإن التنازل عن مناطق الضفة الغربية (يهودا والسامرة، كما يسمونها) لا يجوز شرعاً، حيث وضح اليعيزر ملماد، وهو من رجال الدين المنتمين للصهيونية الدينية، أن ترك الضفة الغربية خارج السيطرة الإسرائيلية ممنوع وفق الشريعة اليهودية، علاوة على ذلك فقد أضاف بأنه من الممنوع إعطاء العرب الموجودين فيها، مواطنة شبيهة بتلك التي يتمتع بها اليهودي، وهذا ما يفسر اليوم، تركيز الصهيونية الدينية على الاستيطان بشكل كبير في مناطق الضفة الغربية.

كذلك في العقود الأخيرة، انتقلت فكرة الاستيطان بكامل الضفة الغربية لتشمل قطاع واسع من الحريديم (متدينين غير صهاينة)، وأسسوا ما يعرف بمنظمة حلميش (חלמיש، حريديم من أجل يهودا والسامرة)، ويأتي ذلك في ظل التقارب بين المعسكرين، المتدينين الصهاينة والحريديم غير الصهاينة، وبدأ في الآونة الأخيرة، توجه لدى قطاع الحريديم باقتحام المسجد الأقصى، رغم الرفض التاريخي لذلك، لأسباب تتعلق بعدم المساس بالوضع القائم.

من هنا، فقد استطاعت الصهيونية الدينية، أن تفرض رؤيتها فيما يتعلق بمناطق الضفة الغربية، مؤسسة رؤيتها، على أساسين، الأول تاريخي والآخر توراتي، وذي علاقة بعودة المخلص في آخر الزمان، وهذا ما يفسر الرغبة الجامحة لدى هذا التيار، بفرض سيطرة أكبر وأشمل على مناطق الضفة الغربية، مُسرّعة عجلة الاستيطان، بصورة متدحرجة خلال السنوات الأخيرة.

المبحث الأول: التركيبة الاستيطانية في الضفة الغربية

موجة الاستيطان التي اجتاحت ولا زالت في تسارع مستمر في مناطق الضفة الغربية، حملت بين طياتها تغير ملحوظ في التركيبة السكانية لقطاع المستوطنين في مجمل مناطق الضفة الغربية والقدس، ولا تعكس طبيعة التركيبة السكانية لمجمل سكان الدولة، ويتوزع المستوطنون على أربع مجموعات أساسية:

- المستوطنون العلمانيون.
- مستوطنون مهاجرون جدد.
- مستوطنون متدينون صهاينة.
- المستوطنون الحريديم (غير الصهاينة).

ومن بين السبعمائة ألف مستوطن، والموزعون على مناطق الضفة الغربية بما في ذلك القدس، وُجدَ أن نسبة المتدينين بشقيها (الصهيوني والحريدي) من بين مجموع المستوطنين في تزايد مستمر، وتزيد عن 77% من المجموع العام للمستوطنين، وقد توزع قطاع المستوطنين وفق الآتي:

مع الأخذ بعين الاعتبار أن نسبة الحريديم هي فقط 10.5% من مجموع السكان اليهود في "إسرائيل"، فيما لا تتجاوز نسبة المتدينين الصهاينة 11.5%، ما يعني أن المتدينين بشقيهم بالكاد يبلغون نسبة 22%، وفي هذا دلالة واضحة على السعي الكبير للمتدينين للتواجد بكثافة في المناطق الاستيطانية، وهذا ما يفسر أن حزب البيت اليهودي، الذي هو جزء من حزب يمينا، وهو حزب المتدينين الصهاينة، يسعى بشكل مستمر من أجل زيادة

مخصصات المستوطنات، ووضعه كشرط دائم للانضمام للحكومات الإسرائيلية، حرصاً على جمهور ناخبيه اللذين يمثلهم الحزب.

علاوة على ذلك، فقد انتهج المجلس الأعلى للمستوطنات رفع المنسوب الديني لدى سكان المستوطنات، بحيث تم التركيز على تجسيد التشدد الديني بقربهم، ويتضح هذا من خلال الربط الدائم من قبل المستوطنين بين الضفة الغربية من جانب، والتاريخ والدين اليهودي من الجانب الآخر.

المبحث الثاني: المشاريع المُخطط لها في الضفة الغربية

منذ بدء الموجة الاستيطانية في مناطق الضفة الغربية والقدس في العام 1967، دأبت الحكومات المتعاقبة، سواء الوسطية واليسارية التي أسست وبدأت بها، مروراً بحكومات اليمين المختلفة، إلى ترسيخ الاستيطان كواقع، والتخطيط لابتلاع الأراضي الفلسطينية ضمن رؤى ممنهجة، ليصل الاستيطان إلى أرقام مهولة، لم يكن في مخيلة صانعي أوسلو، أن تستمر موجات الاستيطان بعد توقيع الاتفاق، اليوم نتحدث عن قرابة السبعمائة ألف مستوطن، منهم 400 ألف في مناطق الضفة الغربية دون القدس، منهم 120 ألفاً خلال فترة حكم رئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو منذ العام 2009 حتى العام 2015، و40 ألف آخرين حتى العام 2019، حيث يعتبر نتنياهو ذلك نقطة فخر له أمام محافل المستوطنين.

أمام تلك المعطيات، يبدو أنه من الاستحالة تخلي أو تنازل أي من التيارات، سواء الفكرية، أو الحزبية الحاكمة والمعارضة، عن الضفة الغربية، لكن أبقى الباب مفتوحاً للعديد من المشاريع ذات الصلة بمستقبل الضفة الغربية، ورغم الاختلاف الكبير بين رؤية التيارات داخل دولة الكيان، إلا أن الشيء الوحيد المجمع عليه، أنه من المستحيل التنازل أو الانفصال عن كامل الضفة الغربية.

مشروع نفتالي بنت وإيلات شاكيد، حزب يمينا، ضم مناطق "ج" من الضفة الغربية، بشكل رسمي.

حزب يمينا والذي يضم حزب البيت اليهودي واليمين الجديد، وهو الممثل الفعلي للمستوطنين في الحكومة، وفي الانتخابات التي ستجري في مارس 2020 لديه توجه خاص لحل الصراع مع الفلسطينيين، وترتكز رؤية البيت اليهودي أنه لا مكان لإقامة دولة فلسطينية، لما في ذلك من خطورة كبيرة على أمن "إسرائيل"، وقد أشار نفتالي بنت زعيم الحزب، بأن فوز الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، يجب أن يكون علامة الإعلان عن نهاية حلم إقامة دولة فلسطينية، وهذا ما يتبناه الحزب علناً، ويؤكد عليه قبل الدخول إلى أي ائتلاف حكومي منذ العام 2009، بقيادة بنيامين نتنياهو.

الحزب وعلى لسان زعيمه عرض فكرته لحل الصراع مع الفلسطينيين في الضفة الغربية عام 2014، والتي تشمل أربع مراحل:

1. إدارة ذاتية للفلسطينيين في مناطق الضفة الغربية، حيث بإمكانهم إجراء الانتخابات وإدارة أمورهم الخاصة دون تدخل "إسرائيل" لكن بالتعاون معها، على أن لا تقوم في هذه المنطقة دولة ذات حدود أو تمتلك السلاح، ويشترط أن لا تكون حركة حماس جزء من هذا الاتفاق.
2. البدء بتخفيف الحواجز التي تفصل مناطق الضفة الغربية عن بعضها، من أجل تسهيل حركة المواطنين.
3. . بناء جسر سلام اقتصادي مع السكان الفلسطينيين.
4. ضم المستوطنات في الضفة الغربية، ومناطق "ج"، وسريان القانون الإسرائيلي عليها في الضفة الغربية.

ويذكر أن مناطق "ج" يعيش فيها قرابة 200 ألف فلسطيني، رغم ادعاء البيت اليهودي وجود 90 ألف فلسطيني فقط، وعند سؤاله عن عدم تقبل العالم لذلك، أجاب بنت العالم سيرفض لكن سيتعود ويتقبل الواقع على الأرض، وأكد بنت أن ضم الضفة الغربية لـ"إسرائيل" بشكل رسمي يجب أن يكون هدف قريب التحقيق، مؤكداً أن حزبه سيدعم شرعنة كل العشوائيات الاستيطانية في الضفة الغربية كعامونا، وسيدعم قانون الـ "הסדרה"، وهو ترتيب وضع تلك العشوائيات قانونياً.

وحول الفلسطينيين اللذين يعيشون في مناطق ج "سي"، والتي تقتضي خطة البيت اليهودي ضمها، والتي تشكل ما يقارب 60% من الضفة الغربية، أشارت إيلات شاكيد وزيرة القضاء عن حزب البيت اليهودي، أنه يجب ضم مناطق "ج"، وما فيها من السكان الفلسطينيين، مع إعطائهم امتيازات معينة وفرض القانون الإسرائيلي عليهم، مشيرة أنه بالإمكان إقامة حكم ذاتي لما تبقى من الفلسطينيين في الضفة، أو أن يعيشوا ضمن كونفدرالية مع الأردن. وقد تمكن البيت اليهودي حتى الآن فرض رؤيته، من خلال تسريعه للخطط الاستيطانية وضغطه باتجاه شرعنة العشوائيات الاستيطانية، وتحويله للمبالغ الطائلة من الميزانية تجاه الاستيطان.

شاكيد: موقفي السياسي قمت بشرحه في غير مرة، أنا ضد ضم كل الضفة الغربية، أنا مع ضم منطقة "ج" التي تضم سبعين إلى تسعين ألف فلسطيني، وإعطاءهم امتيازات معينة، وتطبيق القانون الإسرائيلي عليهم، وأن يأخذوا مواطنة كاملة، ففي تلك المناطق يعيش 400 ألف إسرائيلي، ودولة "إسرائيل" تستطيع ضم مئة ألف عربي، ومثلما نعيش بسلام مع العرب وممثليهم في الكنيست هنا، نستطيع كذلك أن نتعايش مع فلسطينيي المناطق "ج"، أما فيما يتعلق بالمناطق "ب" و"أ"، فمن الممكن إعطائهم حكم ذاتي أو كونفدرالي مع الأردن، على أن يكون ذلك ضمن اتفاق حل الدولتين.

المبحث الثالث: مشروع الليكود، إدارة الصراع، والضبابية المطلقة

يُتهم الليكود بقيادة زعيمه رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، بأنه لا يملك رؤية لحل الصراع، بل يعتمد تكتيكياً على إدارة الصراع، وليس حله، من هنا لم يقدم بنيامين نتنياهو منذ توليه منصب رئاسة الوزراء منذ العام 2009، أي حلول ذات صلة بالصراع العربي–الإسرائيلي، سوى تحميل الطرف الفلسطيني المسؤولية عن تدهور عملية التسوية، داعياً إياهم العودة لطاولة المفاوضات دون شرط.

رغم ذلك، خلال السنوات الأخيرة، وما بعد انتفاضة القدس، داعبت العديد من الأفكار مخيلة بنيامين نتنياهو، لتحديد مصير الضفة والحفاظ على مستوطنيها ومستوطناتها، وهذا ما عبّر عنه خلال زيارته لواشنطن في تشرين ثاني من العام 2015، أنه من الممكن اتخاذ خطوات أحادية تجاه الفلسطينيين من أجل منع قيام دولة ثنائية القومية، مع الحفاظ على الحاجات الأمنية الإسرائيلية، مؤكداً أن القدس وجبل الهيكل غير قابلة للقسمة على اثنين، أمر عاد عنه نتنياهو بعد عودته، وبعد ضغوط من أحزاب اليمين.

استراتيجية نتنياهو التي كانت تعتمد على إدارة الصراع ووضع العصي في الدواليب، كاشتراطه الاعتراف بيهودية الدولة العبرية، وهذا معناه طرد العرب المتواجدين في الأراضي المحتلة منذ العام 1948، من أجل إقامة دولة فلسطينية، وفي ظل إدراكه عدم قدرته على مواجهة التيار الاستيطاني، الذي بات الشريك الأبرز له في الحكم، ورغم تأكيده في غير مرة، سعي "إسرائيل" للسلام، يتضح أن نتنياهو كان يسير في تدعيم أركان الاستيطان، والضبابية المطلقة فيما يتعلق بحل الصراع ومستقبل الضفة الغربية، كاستراتيجية منتهجة.

استراتيجية الضبابية المطلقة، تركها الليكود بقيادة نتنياهو مع وصول ترامب إلى الحكم في البيت الأبيض، وتحولت سياسة نتنياهو الداعمة للاستيطان، إلى مطالبة وبقوة بضرورة ضم غور الأردن، ومستوطنات الضفة الغربية، لا وبل بات الرجل الأكثر عملاً من أجل تحقيق هذا الحلم، وبات يُراهن عليه في سبيل تحسين واقعه الانتخابي عند المستوطنين، رافعاً شعار لن نقتلع أي مستوطن من أرضه.

المبحث الرابع: مشروع اليسار الإسرائيلي، من الحل السلمي إلى الانسحاب أحادي الجانب

ما يُطلق على نفسه اسم اليسار في "إسرائيل" والمتمثل بحزبي ميرتس، والعمل "هعبودا" الذي قاد عملية السلام مع الفلسطينيين، ووقع اتفاق اوسلو في تسعينات القرن الماضي، يعيش تخبطاً من الناحية السياسية، ويعيش أزمة حقيقية، حرمته من الوصول للحكم منذ خمسة عشر عاماً، بعد أن كان له الفضل في تأسيس الدولة، وقيادتها على مدار 37 عاماً، منها 29 منذ تأسيس الدولة حتى العام 1977.

حزب العمل والذي رفع شعار حل الدولتين، والانسحاب من كامل الأراضي المحتلة عام 1967، وجد نفسه مؤخراً، مضطراً للإقرار بحقيقة، أن التيار اليميني بات الأقوى على الساحة السياسية، وأمام الحقائق على الأرض، أقر يتسحاك هرتسوغ زعيم حزب العمل سابقاً، بأن تحقيق حلّ الدولتين بصيغته التي وُقعت في أوسلو من المستحيل تطبيقها، مشيراً إلى سعي حزبه للتعامل مع الوقائع المتجسدة على الأرض.

وكحل بديل اقترح هرتسوغ خطة الانفصال أحادي الجانب، والتي تحوي بين طيّاتها:

1. بناء جدار يفصل التجمعات الاستيطانية الكبرى، عن بقية المناطق في الضفة الغربية.
2. في حال الوصول إلى اتفاق في المستقبل، يتم نقل المستوطنات الصغرى إلى تلك التجمعات الاستيطانية الكبرى.
3. فصل المناطق العربية المحيطة بالقدس، لضمان أغلبية يهودية في القدس.

4. . إقامة لجنة سلام عربية مع دول الإقليم، من أجل التوصل لتفاهمات جديدة تناسب الواقع على الأرض.
5. خطة هرتسوغ أقرّها حزب العمل بالإجماع وكان لانتفاضة القدس دور بارز في إقرارها، حيث رأى اليسار أن الوقت قد حان لتقديم البديل، في ظل ارتفاع غضبة الجمهور الإسرائيلي من أحداث الانتفاضة في القدس والضفة الغربية، ووفق اليسار الإسرائيلي والمنظر التاريخي لخطة الانسحاب أحادي الجانب من الضفة الغربية، الوزير السابق حاييم رامون، فإن عوائد الانسحاب كبيرة، وذات فوائد كُبرى على المستوى السياسي والأمني، وقد تلخصت الفوائد من وجهة نظر التيار الداعم إلى:
   1. عودة القدس لتكون ذات أغلبية يهودية بواقع 80% يهود، 20% فلسطينيين.
   2. القضاء أو الحد من العمليات المنطلقة من مناطق محيط القدس.
   3. توفير ثلاثة مليارات شيقل (770 مليون دولار) على الميزانية الإسرائيلية، والتي يتم إنفاقها على سكان محيط القدس، اللذين يحملون الهوية المقدسية.
   4. خطة هرتسوغ هذه لم تختلف كثيراً عمّا يتبناه حزب العمل حالياً بزعامة عمير بيرتس، والذي وإن كان يرفض فكرة الضم أحادي الجانب، فإنّه يرى أنّ الضم قائم لا يمكن منعه، لكن على أن يكون ذلك بالتوافق مع الفلسطينيين، وبشراكة إقليمية ودولية للوصول إلى السلام.

إلى جانب حزبي اليسار ميرتس، الذي يطالب بضرورة تحقيق السلام والانسحاب من الضفة الغربية، والعمل الذي يُطالب بضرورة التوصل إلى اتفاق يحترم التغييرات التي طرأت مؤخراً على أرض الواقع. لا يبدو أنّ حزب أزرق أبيض، والذي يُحسب فكرياً على اليمين المعتدل، فيما في التقسيم السياسي الداخلي بات يُصنف على أنّه يسار، لديه رؤية واضحة حيال آلية التعامل مع السيطرة على الضفة الغربية.

فما بين الأصوات التي ترى ضرورة الضم وفق رؤية ترامب، هناك أصوات ترى ضرورة التريث ومحاولة أن يكون ذلك ضمن ترتيب سياسي وليس أحادي الجانب، ويبدو أنّ ذلك مرتبط بسعي حزب أزرق أبيض، إلى استمالة أصوات اليمين، وفي نفس الوقت عدم خسارة اليسار والشراكة المرجوة مع الأحزاب العربية.

المبحث الخامس: خطة افيجدور ليبرمان، تبادل المناطق والاحتفاظ بالتجمعات الكبرى في الضفة الغربية

إلى جانب الطروحات ذات الصلة بالضفة الغربية، بين الضم الكامل والانسحاب الجزئي مع الاحتفاظ بالتكتلات الاستيطانية الكبرى، فإن افيجدور ليبرمان، زعيم حزب "إسرائيل بيتنا"، ووزير الجيش حالياً، قدم ومنذ فترة طويلة رؤيته للحل السياسي مع الفلسطينيين، ويرى ليبرمان، أن الحل يكمن في إقامة دولتين تخلو كل منها من الطرف الآخر، حيث تكون هناك دولة فلسطينية من دون وجود اليهود، على أن تكون "إسرائيل" كذلك من دون أي فلسطيني، ويأتي ذلك وفق ليبرمان من خلال تبادل المناطق.

وقد تفاخر ليبرمان خلال الأيام الأخيرة، مشيراً إلى أنّ ترامب تبنى وجهة نظره فيما يتعلق بهذه الجزئية، مضيفاً أنّ الكل استهجن ما كان قد طرحه في العام 2014.

وترتكز خطة ليبرمان التي عرضها في مؤتمر هرتسيليا الخامس، وعاد وأكد عليها تباعاً خلال السنوات الأخيرة، على البنود التالية:

1. نقل المناطق ذات الأغلبية العربية في "إسرائيل" إلى السلطة الفلسطينية، وإخراجها من حدود "إسرائيل".
2. الاحتفاظ بالتجمعات الاستيطانية الكبرى، وربطها لتصبح جزء من الدولة العبرية.

قائمة المصادر والمراجع

1. سهيل حسين الفتلاوي، الصهيونية حركة استعمارية استيطانية توسعية، دراسة سياسية –وقانونية، بغداد، مطبعة عصام 1990
2. أحمد السقاف، العنصرية الصهيونية في التوراة، الكويت، (الطبعة الأولى– 1984)، د.
3. حبيب غانم، القدس تاريخياً وقضية لبنان، دار المنهل اللبناني، (الطبعة الأولى – 2002)
4. مصطفى السعدي، أضواء على الصهيونية، القاهرة، (الطبعة الأولى 1966)
5. جاك تني، الأخوة الزائفة، ترجمة أحمد الفاخوري، سوريا، (الطبعة الأولى–1979)
6. عبد الوهاب الكيلاني، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية بغداد 8–12 تشرين الثاني 1976، الصهيونية والعنصرية، المجلد الثاني، العراق – بغداد (الطبعة الأولى 1977)
7. عبد الله التل، خطر اليهود على الإسلام والمسيحية، القاهرة، (الطبعة الأولى 1964)
8. غورانوف، الصهيونية والعنصرية، مترجمات البلغارية، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية، بيروت (الطبعة الأولى 1977)
9. السيد ياسين، الصهيونية أيديولوجية عنصرية، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية، بيروت.
10. جودة السعدي، الأدب الصهيوني الحديث، بيروت (الطبعة الأولى 1981)
11. عبد الوهاب المسيري، نهاية التاريخ– دراسة في بنية الفكر الصهيوني، بيروت.
12. نجيب صدقة، قضية فلسطين، قدم له عبد الرحمن عزام باشا والسيد جمال الحسيني، بيروت (الطبعة الأولى – 1946).
13. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد 1972.
14. خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصدام 1908– 1918 منظمة التحرير الفلسطينية.
15. صبري جرجس، التراث اليهودي في الفكر– أضواء على الأصول الصهيونية لفكر الفريد – سيجمند فرويد، (د.م)، (الطبعة الأولى – 1970).
16. أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت، 1984.
17. ناصر موسى زيد الكيلاني، إسرائيل دول المهاجرين، عمان 1984.
18. أديب ديمتري، الماركسية والدولة الصهيونية، بيروت 1971.
19. هاني المندي، حول الصهيونية وإسرائيل، بيروت، (الطبعة الأولى – 1971).
20. أنيس صايغ يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ، بيروت، (الطبعة الثانية –1973).

21. عبد العزيز محمد عوض، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831- 1914، كلية الأداب جامعة اليرموك،١٩٨٣
22. الن تاير الحركة الصهيونية – تحليل الدبلوماسية الصهيونية 1897- 1947، ترجمة بسام أبو غزالة، بيروت (الطبعة الأولى-1966)
23. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت 1973
24. محمد شديد، الولايات المتحدة والفلسطنيون بين الاستيعاب والتصفية، بيروت، (الطبعة الأولى 1981)
25. عبد الوهاب الكيلاني، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، بيروت،1971
26. قسم الدراسات منشورات فلسطين المحتلة، التميز العنصري – أبرز معالم الصهيونية، بيروت، (الطبعة الثانية – 1982)
27. حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897- 1909، بيروت، (الطبعة الثانية _1980).
28. مجموعة من الكتاب اليهود، إسرائيل الثانية- المشكلة السفارديه، ترجمة فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، (د.ت).
29. أسعد رزوق "إسرائيل الكبرى" دار الحمرا للنشر والطباعة- 2002
30. كامل سعفان، "اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان"، القاهرة، دار الفضيلة- 2000.
31. محمد السماك،" الصهيونية المسيحية"، ط4، دار النفائس- 2004.
32. داوود عبد الغفور سنقرط، " اليهود في المعسكر الغربي" عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع-1987.
33. روجينا الشريف، "الصهيونية غير اليهودية جورها في التاريخ الغربي"، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- 1985.
34. أحمد الأحمدي، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، الكويت، مطبعة الكويت الكويت- 1990.
35. عبدالله التل، الأفعى اليهودية في محافل الإسلام، بيروت: المكتب الإسلام- 1971.
36. روجية جارودي، "الأساطيرالمؤسسة للسياسة الإسرائيلية "(ترجمة محمد هشام) ط٤، القاهرة، دار الشروق- 2002.
37. صبري جريس، (العرب في إسرائيل، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية – 1967)
38. إبراهيم الجارتي، من بابل إلى بوش، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم- 2005.
39. يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية إتجاه الصراع العربي- الصهيوني، بيروت- 1990.
40. جواد الحمد، المدخل للقضية الفلسطينية، ط2 عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط- 1999.
41. حسان علي حلاق، موقف اليهود من الحركة الصهيونية بيروت، دار الأحد البحري- 1978.

42. بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية، الشعب، الحضارة، ط1، بيروت دار الاستقلال للدراسات والنشر- 1991.
43. حسن صبري الخولي، فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار " الإسكندرية: مؤسسة دار التحرير للنشر والطباعة – 1986.
44. يحيى علي يحيى الدجني، تحدي الحركة الصهيونية للقوى العربية والإسلامية " دمشق: دار النمير- 1985.
45. عصام موسى قيبي، "الصراع على الديار المقدسة"، ط1، دمشق دار الطليعة- 2003.
46. عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، القاهرة دار الشروق- 2002.
47. عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي جذوره ومساره ومستقبله. ط1، دمشق: دار الفكر- 2003.
48. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ط. القاهرة: دار الشروق- 2006.
49. ندى الشقيقي، الهولوكوست: حقيقتها والاستقلال الصهيوني لها، ط2 بيروت باحث للدراسات- 2011.
50. رجا عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ. ط2 دمشق، الاوائل- 2006.
51. السيد وليد محمد علي، صهيونية الخرز وصراع الحضارات " ط1، بيروت: دار التضامن للطباعة- 1999.
52. عبد الفتاح الغنيمي، " شعوب إسرائيل وخرافة الانتساب للسامية " ط1، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع- 2002.
53. زهدي الفاتح، فضح التلمود، ط4، بيروت، دار النفائس- 1991.
54. هاني نهاد الكعبير، الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام 1991-2013(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الشرق الأوسط عمان الأردن، 2013.
55. جواد التباعي،" الحركة الصهيونية التعريف، ظروف النشأة والأهداف الأساسية "، مجلة الحوار المتمدن العدد3051- 2010.
56. نهاد الشيخ خليل، دور بريطانية من بلورة المشروع الصهيوني (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة فلسطين- 2003.
57. صالح حسن الرقب، نقض مزاعم ال٣ في هيكل سليمان. (رسالة ماجستير غير منشورة)- 2002.
58. Encyclopedia of Zionism and Israel, Vol.2Herzl.1 press and McGraw Hill, New York 1971p.1262